

المدائح النبوية في الشعر الأندلسي

المدائح النبوية في الشعر الأندلسي

# المدائح النبوية

في الشعر الأندلسي

تأليف

فاطمة عمراني

اسم الكتاب: المدائح النبوية في الشعر الأندلسي

المؤلف: فاطمة عمراني

الموضوع: أدب، تاريخ

الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

الطبعة: الأولى

المطبعة: لبلى

الكمية: 3000

تاريخ النشر: 1428 هـ

ISBN: 978-964-529-268-1

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

[www.ahl-ul-bayt.org](http://www.ahl-ul-bayt.org)

E-mail: [info@ahl-ul-bayt.org](mailto:info@ahl-ul-bayt.org)





## كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت (عليهم السلام) الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربي النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين، وتقدم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتزين لخُطى أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) - منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه - للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضيّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت (عليهم السلام) وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر.

إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في هذا المضمار فريدة في نوعها؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم إلى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) أن يقدم لطلاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة من خلال مجموعة من البحوث والمؤلفات التي يقوم بتصنيفها مؤلفون معاصرون من المنتمين لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، أو من الذين أنعم الله عليهم بالإلتحاق بهذه المدرسة الشريفة، فضلاً عن قيام المجمع بنشر وتحقيق ما يتوخى فيه الفائدة من مؤلفات علماء الشيعة الأعلام من القدامى أيضاً؛ لتكون هذه المؤلفات منهلاً عذباً للنفوس

الطالبة للحق، لتتفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر تتكامل فيه العقول وتتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد. ونتقدم بالشكر الجزيل للأخت الكريمة فاطمة عمراني لتأليفها هذا الكتاب، ولكل الإخوة الذين ساهموا في إخراجه.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

المعاونية الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة:

الحمد لله الذي ملأ قلوب الشاعرين بحكمته وزين نفوس العاشقين بمحبته والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد (صلى الله عليه وآله) الذي مدحه الواصفون بالقصائد والأشعار وعجزوا عن وصفه فاعترفوا بذلك وعلى آله (عليهم السلام) الذين هم مصدر الهدى وأهل التقى. وأما بعد: فلقد بعث الله تعالى الأنبياء والرسل لهداية البشر لإخراجهم من الظلمات إلى النور ولتزكية نفوسهم وإرشادهم لما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة. قال الله عز وجل (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي...) (1).

فالآية الشريفة تدل على أن اتباع الرسول (صلى الله عليه وآله) هو حب الله ورسوله وإطاعة أمره، ومحبته هي روح الإيمان وفلاح الأعمال والأحوال. عند ما تصفحت دواوين الشعر العربي وجدت أشعاراً كثيرة تختص بالنبى (صلى الله عليه وآله) ومدحه، وتشكل هذه المدائح النبوية جانباً هاماً من تراث الأدب العربي أنشدها الشعراء منذ صدر الإسلام إلى العصور التي تلتها، وقد تطور إلى يومنا هذا. حتى برز بعد ذلك كفن من فنون الشعر، وهو لون من التعبير الأدبي عن العواطف الدينية ومحور من الأدب الرفيع لأنه لا يصدر إلا عن قلوب مفعمة بالإيمان ملأى بالإعجاب بشخصية الرسول (صلى الله عليه وآله).

لم يحفل الشعر بشخصية من الشخصيات مثلاً حفل بشخصية الرسول (صلى الله عليه وآله)، فكانت شخصيته (صلى الله عليه وآله) يهتم بها جميع المسلمين وخاصة الشعراء، وإن مداحى النبى (صلى الله عليه وآله) في كل عصر ومصر كثيرون لا يحصيهم عد ولا يحيط بهم حد، ولو جمعت مدائح أهل عصر واحد منهم لبلغت عدة مجلدات، وكثير منهم نظموا في ذلك دواوين كثيرة على أنحاء مختلفة.

يقول المقرئ: «الأمداح النبوية بحر لاساحل له وفيها النظم والنثر زاده الله شرفاً وحباه أفضل الصلاة وأزكى السلام» (2).

ظلت شمس الإسلام في الأندلس ساطعة نحو ثمانية قرون استطاع المسلمون من خلالها أن يشيّدوا صرح حضارة فريدة امتزجت فيها مؤثرات الشرق بمؤثرات الغرب، وتميزت بالابتكار والتجديد في كثير من المجالات، لذلك خطر ببالي:

هل يوجد في الأندلس شعراء مدحوا النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته عليهم السلام؟ فعزمت على أن أنتخب هذا الموضوع «النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) في الشعر الأندلسي»، وأحببت أن أذكر شعراء الأندلس الذين أنشدوا أشعاراً تخص النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام)، ولكن حينما رأيت رسالة الدكتور الغزالي حول أدب التشيع في الأندلس وشاورته في الموضوع غيرتُ الموضوع إلى المدائح النبويّة التي قيلت هناك، ولكن أشرت في فصل قصير إلى أشعار مُدح فيها أهل البيت (عليهم السلام) على أساس أنها لون من ألوان المديح النبوي .

وقد أحببت أن أجمع طرفاً من تلك الأشعار وشيئاً من تراجم أولئك الشعراء في هذا الكتاب ليكون ذلك سهل التناول والمراجعة عند الحاجة وليكون مادة علمية وأدبية لطلبتنا ولكن لم يحالفني التوفيق.

وما يزيد من أهمية الموضوع أنّه موضوع جديد ولم يتطرّق إليه أحد من قبل في الدراسات السابقة ولم يحظ بعناية الباحثين والدارسين.

وكان بداية تجربة تخوض غمار البحث العلمي والمنهجي لأول مرة، وهي تجربة اكتسبت الكثير ووهبت القليل، لذلك يحتاج هذا البحث إلى تتبع كثير ودراسة معمقة تسهّل الوصول إلى معرفة هؤلاء الشعراء وتطلع القارئ على دورهم في الأدب العربي.

انقسم الكتاب إلى ستة فصول: يشير الفصل الأوّل منها إلى أحوال إسبانيا قبل الفتح الإسلامي، ثم دخول المسلمين فيها وما كانت عليه من أحوال قبل الإسلام وبعد دخولهم حتى تسميتها بالأندلس، ثم تُدرس بشكل عام بيئتها الجغرافية والطبيعة وفي الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية، وتدرجت مارّة بعصور المسلمين في الأندلس ليكون ذلك بمثابة مدخل لهذا التاريخ المبسط للأدب كي لا يبقى عالم الأندلس مغلقاً أمام القارئ.

ويتناول الفصل الثاني الشعر في الأندلس ومراحل تطوره وحركة سيره وعوامل ازدهاره وميزاته وخصائصه، وذكر الشعر الديني والمدح في الشعر العربي.

وأما الفصل الثالث فيركّز على المدائح النبوية ونشأتها وعوامل نضجها وازدهارها وأنواع المدائح مثل قصائد التشوق والمولديات والبديعيات.

وأما الفصل الرابع فيحتوي على مضامين المدائح النبوية في الأندلس مثل فضائل وصفات النبي (صلى الله عليه وآله) وحبّه ومعجزاته والمشفعات والحقيقة المحمّدية والصلاة على الرسول (صلى الله عليه وآله) والمعارضات.

والفصل الخامس يركز على الأشعار التي تشير إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) وتذكر نسبتهم إليه وفضائلهم.

ويتناول الفصل الأخير عدداً من شعراء المديح النبوي وشيئاً من تراجمهم وأنموذجاً من أشعارهم.

وفي الختام أتيت بخاتمة الكتاب وهي مجموعة النتائج التي توصلت إليها من خلال الدراسة، ثم المصادر التي اعتمدت عليها في هذا الجهد المتواضع.

وتجدر الإشارة هنا إلى الصعوبات التي واجهتها في سبيل إعداد البحث ومنها قلة المصادر مع صعوبة الحصول عليها، إلى جانب ندرة الأشعار وتفرقها في الكتب المتعددة، فكان العبء كبيراً والعمل شاقاً وعسيراً إذ كان البحث يحتاج إلى مراجع تختلف باختلاف العصور وإلى الكتب التاريخية والأدبية قديمة وحديثة، ودواوين الشعراء وغيرها.

ولكثر ما وقف عليه البحث من تراث الفترة المدروسة الممتدة زمنياً من أواخر القرن الأول إلى خروج المسلمين من الأندلس أي ما يقرب من ثمانية قرون، ونظراً لضخامة حجم هذا التراث فإنني كدت أن أمتنع عن مواصلة البحث ومتابعة العمل في الموضوع، فكنت أرى نفسي في بحر لا قعر له وكلما خضت فيه لا أتقدم إلى الأمام، لأن بحثي هذا يحتاج إلى زمن أكثر، فهذا المقدار من عملي كنت قد استعنت بالله على انجازه وإتمامه، ومتوسلةً بالنبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) وقد طلبت منهم الإرشاد والساداد والتوفيق في تجاوز ما يعتريني من عقبات، ملتزمة من الناظر في هذا العمل إذا عثر على شيء قد هفا به القلم أن يتفضل عليّ بإصلاحه لأن النقص من شيم البشر والعمل أكبر من أن يستوعبه كتاب واحد إذ الموضوع يشمل نتائج ثمانية قرون.

لقد استأنست بعدد وافر من المصادر في إعداد هذا البحث من الكتب التاريخية والأدبية ودواوين الشعراء والمعاجم مثل: تاريخ عمر فروخ، جرجي زيدان، حنا الفاخوري، محمد عبد الله عنان، إحسان عباس، بروكلمان... وعشرات من الدواوين كديوان ابن هانيء، ابن زمرك، ابن سهل، ابن الأبار، ابن الجنان، ابن سارة، ابن الحداد، أبي الحيان، ابن عربي، ابن خفاجة، ابن شهيد، ابن عبدربه، ابن زيدون...

وكذلك كتب الأدب القديم منها: نفح الطيب، الذخيرة، أزهار الرياض، الإحاطة، بغية الملتمس، البيان المغرب، أخبار مجموعة... وكتب الغدير، أدب الطف، أعيان الشيعة،

دائرة المعارف الشيعية، الإسلامية، الحسينية والأغاني، الأعلام للزركلي، الوافي بالوفيات، معجم الأدباء، معجم المؤلفين، وفيات الأعيان والمدايح النبوية لناظم رشيد و... وكثير من الكتب القديمة والجديدة الأخرى.

كان أكثر الكتب في مجلدات متعددة وصفحات كثيرة، وإن قلت إنني لأجل هذا البحث تورقت وتصفح ما يقرب من مليون صفحة فليس فيه إغراق ومبالغة ومع هذا كلما حصلت عليه ليس أكثر من لبنة صغيرة إذ لا أدعي أن هذا الكتاب بلغ حد الإنجاز ومستوى القبول في الوفاء بالغرض، بل اعترف بوجود الضعف والنقصان فيه؛ الأمر الذي يعود إلى قلة المعرفة العلمية لديّ وعدم تمتعي بقدر من الذوق الأدبي يناسب عمل شامل ودراسة وافية. ولست أزعم أنني قد أتيت بالجديد الخارق في هذا الكتاب، ولا أدعي كذلك أنني برئت من الزلة أو أوفيت البحث حقّه، فالمجال فسيح للنقد والتوجيه والتعقيب والدلالة والله وحده الكمال.

واعتقد أن هذه الدراسة ليست إلا تافهاً من جم أوقطرة من يم في الأدب الأندلسي وخاصة في أشعار المدح النبوي وشمعة في الطريق ولكنني أمل أن تكون هذه بمثابة خطوة تمهيدية تدفع الطلاب والباحثين إلى دراسة أوسع وأشمل. وإن يكن في هذا الجهد المتواضع من توفيق فبفضل الله وإن يكن غير ذلك فمن تقصيري.

إذا كان هناك شيء جدير بالذكر في مستهل هذه الدراسة فهو شكري لله تعالى على ما منّ وأنعم، وعرفانه بالجميل وإحساسي الدائم بالامتنان للذين أعانوني على هذا العمل، ويأتي على رأسهم الأستاذ الدكتور جلال مرامي، والأستاذ الدكتور خليل باستان والأستاذ الجليل الدكتور سعيد النجفي الأسد الله، وأيضاً الأساتذة الكرام الذي سقوني من معين أدبهم. وفي الختام أهدي هذا السفر الى سيدي ومولاي رسول الله(صلى الله عليه وآله) وآله(عليهم السلام) راجياً التفضل عليّ بالقبول...

والى روح أبي المرحوم تغمّده الله برحمته الواسعة وأمي الحنون ذلك النبع الذي سقاني بلسم الحياة حفظها الله ورعاها وأطال في عمرها.

ولله الحمد أولاً وأخيراً

فاطمة عمران

## التمهيد

إنّ لكل عمل أدبي مجاله الزماني والمكاني الذي يولد فيه، ومن الضروري أن نتعرف على الخطوط الرئيسية للبيئة والعصر والمجتمع حتى تزداد معرفتنا بالعمل الأدبي أصالة وعمقاً، والأندلس في المفهوم العربي الإسلامي يشمل الفترة التي تبدأ بالفتح العربي سنة 92 هـ وتمتد حتى سقوط غرناطة سنة 898 هـ. وفي هذه المدة قد وقعت على أرض الأندلس أحداث لا حصر لها. ينفرد الأدب الأندلسي من بين المراحل المختلفة بأنه يجمع مزايا كثيرة حيث إنه جزء مهم من تاريخ الأدب العربي والإنتاج الفكري العربي عامة فهو امتداد طبيعي للأدب العربي في المشرق، وإن هذا الامتداد والانتساع في الأدب العربي إضافة إلى أهميته التاريخية والقومية والإنسانية، فإن له من ناحية أخرى ميزات خاصة التي تجعله في كثير من الجوانب ذا أهمية أكبر وأخطر.

لذا علينا أن نسلم حقاً على الأندلس تمجيداً للحضارة وللإنسانية وللبناء والتقدم من أجل سعادة الإنسان وإعجاباً بالروح الإسلامية العربية الطامحة إلى أعلى درجات العزة والسؤدد. كانت الأندلس عند العرب بمثابة الفردوس وهذا المعنى عبّر عنه ابن خفاجة في أبيات مشهورة<sup>(3)</sup>.

يا أهل أندلس لله دركم \*\*\* ماء وظل وأنهار وأشجار

ما جنة الخلد إلا في دياركم \*\*\* ولو تخيرت هذا كنت أختار

لا تخشوا بعدها أن تدخلوا سقرا \*\*\* فليس تُدخل بعد الجنة النار

«بلد الأندلس: بلد كريم البقعة، طيب التربة، خصب الجنب، منبجس الأنهار الغزار والعيون العذاب، قليل الهوام، ذوات السموم، معتدل الهواء والجو والنسيم، ربيع وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال... تتصل فواكه أكثر الأزمنة وتدوم متلاحقة غير مفقوده... وللأندلس المدن الحصينة والمعازل المنيعه والقلاع الحريزة والمصانع الجليلة ولها البر والبحر والسهل والوعر...»<sup>(4)</sup> ولا شك في أن كل هذه المحاسن التي حبت الطبيعة بهذه البقعة من الأرض كان لها الأثر القوي في عقول أبنائها وأخلاقهم وأمزجتهم وصفاء أخيلتهم.

(3) ديوان ابن خفاجة ص 364.

(4) تاريخ الأدب العربي. د. عتيق ص 14.

إنّ للأندلس ببيتها وظروفها الاجتماعية والسياسية موقفاً لا يمكن إغفاله في الأدب العربي ولذلك وجبت العناية به وفاءً بحق ما يقرب من ثمانية قرون من تاريخ الأدب العربي.

إن حضارة الأندلس الإسلامية العربية حضارة شامخة، خالدة على مرالزمان، حضارة هزت الدنيا وخلدت على صفحات التاريخ، ولا تزال حديثة ندية لهاطعم في الأفواه، إن قصة الحضارة الإسلامية العربية في الأندلس لا يمكن أن يستوعبها باحث، فقد ضاع الكثير من وثائقها من مأساة مصرع الأندلس وطرد العرب عنها حين هب الإسبان يحرقون الكتب العربية ويهدمون المكتبات والجامعات ويذبحون العلماء والأدباء والمفكرين ويقضون على آثار العرب في الأندلس القضاء الجائر.

وقد كانت حركة الحياة الأندلسية حركة غزو وحرب واضطراب وفتن سياسية عليها صفة الدين إلى آخر تاريخها العربي، وربما تلك المحن السياسية والاجتماعية التي تعرضت لها الأندلس في العصور المختلفة تكون من العوامل التي توجب ازدهار الشعر الديني، وصار من أوسع الموضوعات التي تناولها الشعراء واتسعت موضوعاته وتنوعت فازدهر فن المديح النبوي الذي نحن بصدد دراسته في هذا الكتاب.



- اسم الأندلس
- جغرافية الأندلس
- إسبانيا قبل الفتح
- فتح إسبانيا
- الحياة السياسية
- 1- عهد الولاة
- 2- العهد الأموي
- 3- عهد ملوك الطوائف
- 4- دولة المرابطين
- 5- دولة الموحدين
- 6- دولة بني الأحمر
- الحياة الاجتماعية
- 1- عناصر الشعب الأندلسي
- 2- صفات أهل الأندلس
- الحياة الثقافية
- الحياة الدينية

## اسم الأندلس

علينا أن نتوقف قليلاً لدى كلمة الأندلس التي أطلقت على شبه جزيرة إيبيريا بعد فتحها لأن هذا البلد حمل أسماءً متعددة حسب الأزمنة التي مرت عليه والأقوام التي عاشت فيه. «أصل هذا الاسم مشوب ببعض الغموض، شأنه في ذلك شأن الاسمين القديمين: إيبيريا عند اليونان وإسبانيا عند الرومان».<sup>(5)</sup>

لذلك «عرفت الأندلس في أقدم عصورها باسم إيبيريا نسبة إلى الإيبيريين الذين كانوا من أقدم من سكن هذه البلاد من البشر ثم عرفت شبه الجزيرة بعد ذلك باسم إسبانيا، وهذا الاسم هسبانيا قد أطلقه الرومان على شبه الجزيرة حين حكموها».<sup>(6)</sup>

وهذا الاسم - في رأي بعض المؤرخين الإسبان - مأخوذ من كلمة ذات أصل فنيقي وهذا التعبير الفنيقي يعني شاطئ الأرانب<sup>(7)</sup> لأن شبه الجزيرة كان غنيا بهذا الحيوان.

وقد ذهب بعض المؤرخين المعاصرين في إطلاق كلمة الأندلس إلى هذا القول: «إنه مشتق في الأرجح من كلمة فندال والفندال هم قبائل غزت بلاد إسبانيا في القرن الخامس للميلاد وأطلق اسمهم على الإقليم الذي احتلوه، ولما دخل العرب إسبانيا أطلقوا ذلك الاسم على جميع البلاد التي وقعت في حوزتهم»<sup>(8)</sup>. ونرى أن المراجع الحديثة متفقة على هذا القول.<sup>(9)</sup>

ومهما يكن من أمر فإن كلمة الأندلس قد استعملها المؤرخون والجغرافيون معاً وحاز ذلك بالقبول، وانتشر في جميع الأوساط بكل سهولة وبسرعة، وكانت تدل بادية ذي بدء

(5) دائرة المعارف الإسلامية 35/3.

(6) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ص 13.

(7) المصدر السابق ص 13، في تاريخ المغرب، والأندلس، العبادي ص 5.

(8) تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري ص 787.

(9) دائرة المعارف الإسلامية 35/3، الأدب الأندلسي من الفتح... ص 13. في الأدب الأندلسي د. جودت الركابي ص 9.

في الأدب الأندلسي، د. محمد زكريا عناني ص 8.

في الأدب الأندلسي محمد رضوان الداية ص 17. ومراجع أخرى....

على إسبانيا كلها، ثم أخذت تقتصر على المنطقة التي احتلها المسلمون من أراضي إسبانيا، وكان هذا الاسم مرتبطاً بالدولة الإسلامية وحدها مهما كان امتدادها ولم يذهب هذا الاسم بنهاية دولة الإسلام في الأندلس.

هناك آراء متعددة ونظرات مختلفة تتعلق بما أطلق على شبه جزيرة إيبيريا من أسماء وبما يستدل به، ولسنا بصدد ذكرها كلها بل نترك المجال لدراسات أخرى تعنى بالبحث عنها.

ولا يزال هذا اللفظ (الأندلس) يستخدم في إسبانيا ويراد به بعض مناطق إسبانيا الجنوبية: «هي المرية، غرناطة، مالقة، جيان، قرطبة، إشبيلية، قادس وولبة»<sup>(10)</sup>.

ثم لم يعد يُعرف به بعد ذلك سوى إقليم صغير هو مملكة غرناطة<sup>(11)</sup> ونرى إلى يومنا هذا أن مقاطعات إشبيلية وقرطبة وغرناطة قد حافظت على هذا الاسم.

«وعلى هذا وإن كلمة الأندلس كانت تدل على مختلف العناصر التي سكنت القسم الذي احتله المسلمون من الجزيرة الإسبانية سواء أكانوا من الفاتحين العرب أم من سكان الجزيرة الأصليين الذين خضعوا للإسلام أولم يخضعوا؟ ولهذا لم تكن كلمة الأندلس لتدل إلا على وحدة خيالية، وكان على الحكام المسلمين أن يواجهوا في جميع عصور احتلالهم للأندلس معضلة العناصر والأجناس، فنراهم أحياناً يعملون من ناحية على قمع ثورات وطنية يقوم بها الإسبان المفلوجون على أمرهم، ونراهم من ناحية ثانية يضطرون في أوقات كثيرة إلى قمع حركات داخلية تقوم بها العناصر الفاتحة التي جاءت من مختلف المناطق: من الشرق ومن إفريقيا ومن المغرب، وهكذا سنرى أن تاريخ الأندلس السياسي كان دائماً مهدداً بخطر من خطر سكان البلاد الأصليين وخطر العناصر الفاتحة ولا سيما البرابرة»<sup>(12)</sup>.

وكثيراً ما يطلق على الأندلس اسم «جزيرة الأندلس»<sup>(13)</sup> وفي الواقع أنها شبه جزيرة لاجزيرة وإنما سميت جزيرة بالغبلة.

(10) فصول في الأدب الأندلسي ص 23. - الأدب الأندلسي من الفتح ص 15.

(11) دائرة المعارف الإسلامية 26/3.

(12) في الأدب الأندلسي، د. جودت الركابي ص 9-10.

(13) معجم البلدان 262/1. - البيان المغرب 2/1.



## جغرافية الأندلس

من الناحية الجغرافية نستطيع أن نقول «إن الأندلس شبه جزيرة طولها ألف ومائة ميل وعرضها ستمائة ميل<sup>(14)</sup>» تقع في الجنوب الغربي من أوربا، والمياه تحيط بها من كل جوانبها عدا جانباً واحداً هو الشمال الشرقي، حيث تحدها جبال البرانس الفاصلة بينها وبين فرنسا<sup>(15)</sup> وكانت تسمى بالجبل الحاجز أبواب الأندلس، ولصعوبة مسلكه كان لا يرام ولا يمكن أحداً من الدخول منه<sup>(16)</sup>.

«يحدّ الأندلس من الغرب المحيط الأطلسي ومن الجنوب مضيق جبل طارق وجزء من البحر المتوسط الذي يكتنفها ممتداً إلى شرقيها. أما في الشمال فتحدها فرنسا التي كان يطلق عليها العرب بلاد الفرنجة»<sup>(17)</sup>.

قسّم علماء الجغرافية من العرب تلك البلاد إلى الوسطة والشرق والغرب. «فالوسطة فيها من القواعد المهمة التي كل مدينة منها مملكة مستقلة لها أعمال ضخام وأقطار متسعة مثل قرطبة، طليطلة، جيّان، غرناطة والمرية ومالقة.

وأما شرق الأندلس ففيه من القواعد: مُرسية وبلنسية ودانية والسهلة والثغر الأعلى. وأما غربها ففيه: إشبيلية، ماردة، أشبونة وشلب»<sup>(18)</sup>.

تمتاز طبيعتها بالجمال الرائع، حيث تكسو الزروع سفوح جبالها، وبوعورة مسالكها في المناطق الجبلية خصوصاً في الشمال حيث جبال البرنس، وبخصب سهولها الممتدة على السواحل، وبكثرة مواردها المائية وقد نشأت على ضفاف الأنهار الكثيرة التي كانت فيها مدن وحوضر عامرة ظهرت فيها حضارة زاهية عاشت لقرون طوال.

(14) البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف ص21.

(15) الأدب الأندلسي من الفتح... ص16.

(16) معجم البلدان 1/264.

(17) الأدب العربي في الأندلس، د. عتيق. ص11.

(18) نفح الطيب. 156-157/1.

وقد كثرت أقوال العلماء في وصف بلاد الأندلس وبيان محاسنها لكثرة أوصافها وشدة جمالها. يقول لسان الدين بن الخطيب: «خصّ الله تعالى بلاد الأندلس من الربيع وغدق<sup>(19)</sup> السقيا ولذا ذاة الأقوات، وفراهة<sup>(20)</sup> الحيوان، ودرور الفواكه وكثرة المياه وتبحر العمران، وجودة اللباس وشرف الآنية وكثرة السلاح وصحة الهواء وابيضاض ألوان الإنسان وتبل الأذهان وفنون الصنائع وشهامة الطبائع ونفوذ الإدراك وأحكام التمدن والاعتماد<sup>(21)</sup> بما حرّمه الكثير من الأقطار مما سواها»<sup>(22)</sup>.

ومن تلك الأقوال قول أبي عبيد البكري: «الأندلس شامية في طبيعتها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظم جبايتها، صينية في جواهر معادنّها، عدنية في منافع سواحلها فيها آثار عظيمة لليونانيين أهل الحكمة وحاملي الفلسفة»<sup>(23)</sup>.

إن المسلمين قد سكنوا في الأندلس أخصب أراضيها نمت حولهم أشجار الكروم والتين والزيتون والرمّان والبرتقال والنارنج وغيرها «وفواكهها تتصل طوال الزمان»<sup>(24)</sup>.  
إن هذه الطبيعة «قد شجعت المسلمين على تشييد القصور وعمل الحدائق»<sup>(25)</sup>.

«يلاحظ على شبه الجزيرة اختلاف درجات الحرارة اختلافاً كبيراً بحسب الأقاليم، تماماً كاختلاف أحوال الطبيعة وأنواع المزروعات والأشجار والمحاصيل الزراعية. والمناخ يقترب من أوربا في الأقاليم الشمالية ويقترب من المغرب في الأقاليم الجنوبية»<sup>(26)</sup>.  
تلك الطبيعة «كانت سلاحاً ذاحدين، أعطت المسلمين خيراً فنعموا وعمرّوا، وأنتجوا علماً وأدباً وفناً، وخلق تنوع بيئاتها وصعوبة المواصلات فيها كثيراً من المشكلات السياسية، وشجعت على الانفصالية والثورات الداخلية»<sup>(27)</sup>.

وما من شك في أنّ لكل هذه المسائل الأثر القوي في عقول أبناء هذه البقعة من الأرض وأخلاقهم وأمزجتهم وصفاء أخيلتهم لاسيما في أدبهم وسأعرض فيما بعد سيرة المسلمين وأحوالهم السياسية والثقافية والاجتماعية وسط هذه الطبيعة.

---

(19) الربيع: الخصب والغدق: الماء الكثير.

(20) فراهة الحيوان: نشاطه وخفته.

(21) الاعتماد: أراد به التعمير.

(22) نفح الطيب 124/1.

(23) نفح الطيب 125/1.

(24) دائرة المعارف البستاني 475/4.

(25) البيئة الأندلسية و... ص 24.

(26) في الأدب الأندلسي، محمد رضوان الداية ص 20.

(27) البيئة الأندلسية و... ص 26.

## إسبانيا قبل الفتح

كانت إسبانيا في الوقت الذي أخذت تجذب فيه أنظار العرب على أسوأ حالة من الضعف السياسي والاجتماعي وهذا ما ساعد على فتحها.

«فالضرائب الباهظة أثقلت كاهل الطبقات الشعبية»<sup>(28)</sup> واستبد الموسرون على قلتهم، بأراضي الشعب الخصبة وأخذوا يستغلونها لترفهم وملذاتهم في حين كان الفلاحون عبيداً مرهقين.

و «لم تبدل النصرانية، على رغم انتشارها في إسبانيا، كثيراً من الشرائع الرومانية القديمة. فظلت السيادة لأصحاب الإقطاعات والعبودية للفلاحين والضعفاء»<sup>(29)</sup>.

هذه حالة إسبانيا في ظل الحكم الروماني الذي ظل يحكمها من القرن الثاني عشر قبل الميلاد وحتى القرن الخامس الميلادي.

ثم دخل القوط في هذه البلاد في القرن الخامس للميلاد ونجحوا في القضاء على سلطان الرومان وأقاموا سلطانهم. وسيطروا على سائر الجزيرة الإسبانية «وأسسوا ملكاً كبيراً عاصمته طليطلة»<sup>(30)</sup> واستمرّ هذا الحكم حتى الفتح الإسلامي وكان هؤلاء القوط قد اعتنقوا المسيحية وظلوا يحتقرون الرومان لغلبتهم عليهم «وقد أساء القوط في إدارة شؤون البلاد لأنهم أخذوا إلى الملذات ولم يهتموا بأمور الشعب بل جعلوا منه عبيداً أشقياء، وكثرت المنازعات بين زعماء القوط حول الوصول إلى الحكم»<sup>(31)</sup> من ناحية وبين حكام القوط وأهل البلاد بسبب الخلافات الدينية من جهة أخرى، فكانت هذه الخلافات تهزّ العرش القوطي هزاً عنيفاً وقد كان الاضطراب الطابع العام للعصر كله لا في إسبانيا فحسب بل في الدول الأوروبية الأخرى أيضاً.

(28) الأدب العربي في الأندلس، د. عليّ محمّد سلامة ص13.

(29) في الأدب الأندلسي، د. جودت الركابي ص10.

(30) تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري ص788.

(31) الأدب العربي في الأندلس، د. عليّ محمّد سلامة ص13.

«فإذا أضفنا إلى هذه المساوىء، الاضطهاد الديني الذي مارسه القوط حينما كانوا آريين ضد الكاثوليك ثم اضطهادهم الشديد لليهود أثناء حكم لوزريق. كان يحكم إسبانيا قبل الفتح - الشيء الذي جعل هؤلاء يتوقون إلى الخلاص من حكمهم البغيض»<sup>(32)</sup> لتوضحت في أذهاننا صورة هذا العصر وأحواله الاجتماعية المضطربة.

لذلك نرى في أواخر العهد القوطي قد تجمعت عوامل الفشل السياسي والضعف الحربي والتفكك الاجتماعي والظلم الطبقي كأنها قطع الليل المظلم، الذي تتطلع فيه العيون متلهفة إلى فجر جديد.

---

(32) فصول في الأدب الأندلسي ص12.

## فتح إسبانيا

كان المسلمون قد فتحوا بلاد المغرب على مراحل، كانت أولاها من خلال حملة عقبة بن نافع الفهري سنة 21 هـ وأخرها حملة موسى بن نصير سنة 91 هـ وبها تم إخضاع كل مناطق المغرب تحت لواء الدولة الإسلامية في هذا الزمان «فتطلع موسى إلى فتح جديد يجدد به معجزات البطولة العربية فلم يجد أمامه إلا بلاد الأندلس»<sup>(33)</sup> لما عليها من ضعف واضطراب وسوء حال.

وفي هذه الفترة كان على إسبانيا ملك يقال له لودزيق (رودريك) الذي اعتلى العرش بعد وفاة غيطشة، بينما كانت مدينة سبتة - الواقعة في أقصى شمالي المغرب - تحت حكم ملك يدعى يولييان وهو عامل لقيصر الروم، وكانت بينه وبين لودزيق عداوة شديدة وهذه العداوة حملت يولييان على السعي لاسقاط لودزيق، واغتنم يولييان الفرصة السانحة حينما وجد العرب قد استقرّوا بالمغرب على مقربة منه فأخذ يُزيّن لهم فتح هذه البلاد؛ فيضمن بهذا الفتح القضاء على مناوئه.

فكتب إلى موسى بن نصير - عامل الوليد بن عبد الملك في المغرب - يُزيّن له فتح الأندلس ويصف خصب أراضيها ووفرة أموالها وسهولة فتحها لما تعانيه البلاد من تفكك وانقسام ووعدته بالمساعدة. فاستأذن موسى بن نصير الخليفة بغزو الأندلس فأذن له على شريطة أن يخوضها بالسرايا أولا، ولا يغرّر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال.

فأرسل موسى طريف بن مالك - الذي كان مولى له من البرابرة - في حملة إلى بلاد الأندلس طليعة للجيش، فعبروا البحر على أربع سفن أعدها لهم يولييان إلى جزيرة الفندال وأقاموا بها أياما وعادوا إلى المغرب ومعهم أموال هائلة وسبايا لم ير المسلمون مثلهن حسناً وبهاءً.

(33) الأدب الأندلسي عبد المنعم خفاجي ص68.

وأغرى هذا التوفيق الميسر موسى بن نصير فاختر في عام 92 هـ / 711 م طارق بن زياد - هو مولى من البرابرة أيضاً - على رأس جيش للقيام بمهمة الفتح، وحملتهم سفن فعبرت بهم بحر الزقاق - في هذا الزمان يسمى جبل طارق - من سبتة إلى جزيرة الفندال<sup>(34)</sup>.

لأنريد أن ندخل في تفصيل الحوادث فقصة الفتح ومارافقها من زيادة أو نقص موجودة في مختلف الكتب التاريخية ولكننا نشير فقط إلى أن العنصر البربري كان هو الغالب في هذه الحملة وأن المقاومة التي لاقاها العرب في هذا المكان لم تكن شديدة. عندما علم ملك الإسبان - لو ذريق - بتقدم المسلمين حشد الجيوش واستعد لمحاربة طارق....

والتحم الجيشان في حرب مستعرة استمرت ثمانية أيام وكان النصر في نهايتها حليف المسلمين وتم ذلك في رمضان سنة 92 هـ. ولحق موسى بطارق وواصل الفتوحات إلى أن جاء أمر من الوليد يدعوها إليه، ورجع القائدان إلى الشام. «خلف موسى مكانه ابنه عبد العزيز أميراً في قرطبة وجعل مقره في إشبيلية»<sup>(35)</sup>.

إنهما مدا سلطان بني أمية بالأندلس فلم تمض سبعة أعوام على الفتح الذي بدأ سنة 92 هـ حتى صارت الأندلس ولاية أموية يعين لها الولاة من دمشق أو من حكومتها الفرعية في شمال إفريقية واستمرت الأندلس أموية حتى بعد قيام الدولة العباسية في المشرق. مهما يكن من أمر... فإن فتح الأندلس له شأن كبير في تاريخ الإسلام والمسلمين وعندما نلقي الضوء على هذا الفتح يسهل فهم تاريخ العرب المسلمين في الأندلس بكل أحداثه وأبعاده وتطوراتاه.

---

(34) سرد الحوادث التاريخية مأخوذة بتصريف من كتب: في الأدب الأندلسي. د. محمد رضوان الدايه ص 26. في الأدب الأندلسي. د. جودت الركابي ص 10-13. الأدب العربي في الأندلس. د. علي محمد سلامة 14-15. الأدب العربي في الأندلس. د. عتيق ص 28-43. نفح الطيب 234/1 وما بعده. أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث بطرس البستاني 2/3 وما بعده.

(35) تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري ص 788.



## الحياة السياسية

إن العصر الأندلسي هو العهد الذي حكم فيه العرب إسبانيا والبرتغال طيلة ثمانية قرون يبدأ بفتح العرب للأندلس 92 هـ / 711 م. وينتهي بسقوط دولة بني الأحمر سنة 897 هـ / 1492 م. ونرى أن الأحوال السياسية في هذه المدة بين قوة وضعف. تنقسم هذه الفترة إلى أقسام: عهد الولاة، العهد الأموي، وعهد ملوك الطوائف ودولة المرابطين والموحدين ثم بني الأحمر.

### 1- عهد الولاة<sup>(36)</sup> 92-138 هـ / 711-755 م

أشرنا قبل قليل بأن عهد الولاة بدأ في الواقع بطارق بن زياد ثم بموسى بن نصير ثم بابنه عبد العزيز الذي اتخذ من إشبيلية عاصمة للأندلس واستمر حتى استيلاء الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل على مقاليد الأمور في قرطبة سنة 138 هـ / 755 م. وليس ثمة شك في أن الفترة الأولى من حكم الولاة بعد الفتح لم تكن فترة استقرار ورغد لكثرة ما تخللها من حروب وفتوح وتوسع. ولم تكن الأندلس ذات صبغة خاصة مستقلة بل كانت تابعة لسياسة الدولة الأموية بالمشرق. وقد نهض عبد العزيز لمواصلة الفتح ورسخ قواعد الحكم ووطد الأمن في جميع أنحاء البلاد التي خضعت لسلطانه. وبالرغم من روح المنافسة على السلطة التي كانت أبرز سمات هذا العهد فإن حروب المسلمين للفرنجة ظلت مستمرة وبضراوة، وكان النصر في معظم الأحيان للمسلمين.

---

(36) المضمون مأخوذ من هذه المصادر: في الأدب الأندلسي. محمد رضوان الداية ص 28-29/ في الأدب الأندلسي. د. زكريا عنان ص 18./ في الأدب الأندلسي. د. جودت الركابي ص 14-15./ الأدب العربي في الأندلس. د. عتيق ص 44-45./ الأدب العربي في الأندلس. د. علي محمد سلامة ص 16-17.

فعهد الولاة كان عهداً مضطرباً، إذ قامت فيه ثورات بين البرابرة والعرب من ناحية، واستحكم الشقاق والتنافس من ناحية أخرى بين مختلف الولاة القادمين من الشرق، وانتقلت معهم العصبية القبلية فاشتد الصراع بين القيسية واليمنية.

وكان يحرك ثورة البرابرة إدّعاؤهم بأن الفتح تم على عاتقهم، كما أن قائد الفتح منهم، فهم أولى بحكم الأندلس من العرب؛ ولهذا السبب كانت نجدات هشام بن عبد الملك للأندلسيين من الشاميين بقيادة بلج بن بشر ليحفظ التوازن بين العرب والبربر، وليقضي على تلك الثورات التي لا يستفيد منها إلا العدو، فنجح في ذلك.

وقد امتدّ عهد الولاة إلى سنة 138 هـ، وفي هذه الفترة لم يكن للأندلس طابع متميز في العلم أو الأدب لانصراف الولاة إلى توطيد الملك وإخماد الفتن وتأسيس الدولة ولتبعيتهم التي صرفتهم عن التفكير في تشجيع العلماء وتقريب الأدباء والشعراء فذلك شأن الملوك ولعدم تمتعهم بطول مدة الحكم فقد بلغوا في هذه الفترة نحو العشرين والياً.

نستطيع أن نقول: «هذا العصر عصر فتح وغزو وصراع سياسي»<sup>(37)</sup> بين العصبيات القبلية من أجل الحكم. ولم يُتَح للعلم ما تتطلبه طبيعته من الهدوء المشجع على الاشتغال به. وعندما استقرت أحوال الأندلس نسبياً بقيام إمارة قرطبة، بدأ المسلمون يفكرون في العلم ويعنون به. ولأنهم كانوا لا يزالون يعيشون في جوّ الفتوح المشبّع بالحماس الديني، فإن أول ما فكروا فيه هو الدين، ثم تلا بعد ذلك اهتمامهم بالعلوم الأخرى.

فهذا عرض موجز لتاريخ عهد الولاة، والواقع أن ما استجد في هذا العصر من أحداث ستكون لها نتائج يظهر أثرها فيما يلي من مراحل تاريخ المسلمين بالأندلس.

«ففيه توغل العرب في شجاعة إلى أن وصلوا إلى قلب فرنسا عند مدينة توروبواتية، وفيه قامت الولايات المسيحية الإسبانية في شمال غربي الجزيرة وشمالها، وفيه نشأ الصراع القبلي بين البربر والعرب وبين البلديين والشاميين وبين المضرية واليمنية. وكلها ظواهر تاريخية ذات آثار ومضاعفات تاريخية دائمة»<sup>(38)</sup>.

(37) أخبار مجموعة ص 37 - 58.

(38) فجر الأندلس ص 354.

## 2- العهد الأموي 138-400 هـ / 755-1019 م

سقطت الخلافة الأموية في دمشق واستولى العباسيون على السلطة في المشرق سنة 132 هـ، وقضوا على الدولة الأموية، وقد لاحق بنو العباس الأسرة الأموية ونكلوا بأفرادها ولكنّ أميراً واحداً من البيت المرواني - وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان - «فرّ واستطاع بمعونة أخواله البربر وموالي المروانية في الأندلس والمغرب أن يدخل الأندلس فيزيل سلطة بني العباس ويؤسس دولة أموية جديدة عاصمتها قرطبة، وقد لقب عبد الرحمن بالداخل وبصقر قریش»<sup>(39)</sup>.

وإن نجاحه في تأسيس الدولة الأموية في الأندلس يعدّ حدثاً هاماً في تاريخ العرب، وإذا كانت الدولة الأموية قد وطّدت دعائمها في هذا العهد فأصبحت قرطبة قبلة الملوك استقطبت العلماء من كل حذب وصوب فصارت الملاذ للعلم والحضارة والثقافة، «فإنها بلغت أوجها من الرقي والحضارة في عهد عبد الرحمن الثالث»<sup>(40)</sup>. الذي ملك طيلة نصف قرن وأعلن نفسه خليفة المسلمين ولقب بأمر المؤمنين الناصر لدين الله.

وفي هذه الفترة استقل الملوك بالبلاد دون تبعية وأصبحوا يصرفون أمورها ويديرون سياستها بكل قوة وعناية، حتى كان هذا العصر من أزهى عصور الحكم العربي في الأندلس، راجت فيه مختلف العلوم ونهض الأدب وازدهر الفن وظهرت بواجر الحضارة وارتقت فيها، وهم عرب في طبعهم ولأكثرهم ملكات شعرية وأدبية. فلا عجب إذا رأينا قرطبة في عهدهم تنافس بغداد، ولا عجب أن تكون المدينتان كعتي العلماء ومنبعي العلوم والفنون.

«قام بعد الناصر ابنه الحكم فتابع سيرة أبيه من حيث الحزم وحسن السياسة والتدبير ثم اضطربت شؤون الدولة، وتعاقب عليها خلفاء ضعاف لم يحسنوا ضبط أمورها فاندثرت هيبتها بخلع آخر خلفائها المعتضد بالله هشام بن محمد وكان ذلك سنة 422 هـ / 1030 م»<sup>(41)</sup>.

(39) تاريخ التمدن الإسلامي. جرجي زيدان 493/3.

(40) في الأدب الأندلسي. جودت الركابي ص18.

(41) المفيد في الأدب العربي 608/1 .

«كانت سياسة الأمويين في الغرب غير سياستهم في الشرق؛ فقد كانوا في دولتهم الأولى يترفعون عن مخالطة الموالي ويعتزون بعصبية الجنس، فأصبحوا في هذه الدولة مدنيين يمدون إلى القوط أسباب الاتصال بهم، ويمهدون لهم سبل الاندماج فيهم، كما صنع بني العباس في أبناء الفرس.

فكان من نتيجة هذا الارتباط أن حدث في الأندلس ما حدث في العراق من امتزاج الجنسية السامية بالجنسية الآرية ونضج العقلية العربية وازدهار الأندلس بحضارة إسلامية مادتها من الشرق وبناتها من العرب لأن أوربا يومئذ كانت تتخبط في دياجير الجهالة فاقتبس الإسبان ثقافة العرب فاعتقدوا دينهم وتعلموا أدبهم.

وكان الأمويون يحذون في سياستهم وإدارتهم حذو العباسيين فشيّدوا المدارس الجامعة وأنشأوا المكاتب العامة ونشطوا حركة التأليف وأذكوا نهضة الأدب ورفعوا مجد الفنون»<sup>(42)</sup>.

«ولعلّ خير ما تميز به أمراء قرطبة أنهم كانوا على كثير من التسامح الديني فقد منحوا أهل بلاد الأندلس الحرية في إقامة شعائرهم الدينية، وكثيراً ما حارب المسيحيون مع المسلمين جنباً إلى جنب، كما كانوا يعيّنون في أرقى المناصب السياسية والحربية. وقد كان لهذا السلوك مع أهل البلاد أثره في اعتناق كثير منهم للإسلام، وفي تخلّصهم بأخلاق العرب وعاداتهم»<sup>(43)</sup>.

وبانتهاء الخلافة الأموية بالأندلس، «يبدأ عهد جديد مليء بالفتن والدسائس والتفكك والتطاحن وهو عصر ملوك الطوائف الذي كان سبباً في تصدع بنيان الصرح الشامخ الذي بناه المسلمون بالأندلس بدمائهم وكفاحهم حين اقتسموا البلاد فيما بينهم»<sup>(44)</sup>.

### 3- عهد ملوك الطوائف 400-536 هـ / 1019-1141 م

ذكرنا قبل قليل أن عصر ملوك الطوائف بالأندلس بدأ بعد انتهاء ملك الأمويين فيها سنة 422 هـ والواقع أن عصر ملوك الطوائف قد بدأ قبل هذا التاريخ بنحو عشرين سنة وعلى التحديد بعد ذهاب دولة المنصور بن أبي عامر، مع أننا نرى أن «الأندلس بلغت إبان مجدها

(42) تاريخ الأدب العربي. أحمد حسن الزيات ص 227-228.

(43) الأدب العربي في الأندلس. د. عتيق ص 59.

(44) الأدب العربي في الأندلس. د. عليّ محمد سلامة ص 22-23.

في أيام عبد الرحمن الناصر المتوفى سنة 350 هـ وقد كان عاقلاً كريماً توفرت الثروة في خلافته... وكان ابنه الحكم المستنصر محباً للعلم والعلماء وبلغت مملكة الأندلس في أيام هذين الخليفين إلى أوج مجدها سطوة وأبهة وثروة، وأخذ شأن الخلافة بعدهما في الاضمحلال فاستبد أهل الدولة وجندها بالسلطة، وهم موالي الأمويين من البربر والصقالبة»<sup>(45)</sup>.

فلما استبدّ الصقالبة والبربر بالمناصب والأعمال أخذت شوكة العرب في الضعف تدريجياً، «فاستبد بالأمر ابن أبي عامر وزير الحكم بن الناصر، وقام رؤساء الولايات من عرب وبربر فاستقلوا بمناطقهم»<sup>(46)</sup> فانقسمت مملكة الأندلس في أوائل القرن الخامس للهجرة إلى إمارات تولاها أصحاب الأطراف والرؤساء فصاروا دولا صغيرة متفرقة ولذلك سمّوا بملوك الطوائف.

وقد أصبحت المدن الهامة في الأندلس عواصم لهذه الدويلات ومن أهم هذه الدويلات<sup>(47)</sup>.

1 - الدولة الزيرية: استقلت في غرناطة سنة 403 هـ / 1012 م وهي دولة بربرية ظل ملكها إلى سنة 483 هـ / 1090 م.

2 - الدولة الحمودية: في جنوب الجزيرة استقلت في عهد المستعين الأموي سنة 407 هـ / 1016 م وهي شيعية من المغرب، تنتسب إلى إدريس من سلالة الحسن بن عليّ وتنقلت بين قرطبة ومالقة والجزيرة الخضراء وانقرضت سنة 450 هـ / 1058 م.

3 - الدولة الهودية: في سرقسطة من سنة 410 هـ / 1019 م إلى سنة 536 هـ / 1141 م وهي دولة عربية وأشهر ملوكها المقتدر بالله وابنه المؤتمن.

4 - والدولة العامرية: في بلنسية من سنة 412 هـ / 1021 م إلى سنة 478 هـ / 1058 م وهم من موالي بني عامر.

5 - الدولة العبادية: في إشبيلية من سنة 414 هـ / 1023 م إلى سنة 484 هـ / 1091 م وهي عربية من بني لخم كانت هذه الدولة من أبهج الدول كرمًا وفضلاً وأدباً، وأعظم ملوكها

---

(45) بتصرف من تاريخ التمدن الإسلامي. جرجى زيدان 496/3.

(46) المصدر السابق 496/3.

(47) قد ذكرت هذه الدول في: نفح الطيب 414/1 - الأدب العربي في الأندلس. د.عتيق ص 94-100 - في الأدب الأندلس. د. زكريا عناني ص 20-21. تاريخ التمدن الإسلامي 497/3. تاريخ الأدب العربي حنا الفاخوري ص 789. - الأدب العربي في الأندلس د. عليّ محمّد سلامة ص 24-25.

المعتمد بن عبّاد الذي عرف بذكائه وميله إلى الأدب والعلم واتصل بملوكها الشعراء وأفاضل الأدباء.

6 - دولة بني الأفطس: في بطليوس من سنة 421 هـ / 1030 م إلى سنة 487 هـ / 1094 م وكانت دولة ذات حضارة في العلوم والآداب.

7 - الدولة الجهورية: في قرطبة من سنة 422 هـ / 1030 م إلى سنة 461 هـ / 1068 م قامت بعد سقوط الخلافة الأموية.

8 - دولة بني ذي النون: في طليطلة من سنة 427 هـ / 1035 م إلى سنة 487 هـ / 1094 م وأصلهم من بربر المغرب.

«عرف هذا العصر بالضعف والاضطرابات والصراع على السلطة في كل الأنحاء، كما تميّز العصر بتقصير الولاة في الدفاع عن ديارهم أمام هجمات الفرنجة مما دفع أمير المغرب يوسف بن تاشفين إلى التدخل وخلع ملوك الطوائف جميعاً وأخضع البلاد لسيطرته المباشرة»<sup>(48)</sup>.

والجدير بالذكر أن من أبرز خصائص هذه الدويلات كثرة الحروب التي أشعلوها فيما بينهم طلباً للتوسع والمجد الشخصي، وكان القوي فيهم يغلب الضعيف فيزيل سلطانه ويضم مملكته إلى ملكه أو يضم جزءاً منها.

«ومن الخزي والعار أن نسجل عليهم أن بعضهم لكي يبقى على عرشه استعان بملوك الفرنجة لمساعدته في القضاء على منافئيه من إخوانه المسلمين، ونتيجة لهذه الخلافات والنزاعات استولى الفرنجة على كثير من بلاد الأندلس واحدة بعد أخرى. ولكن من الإنصاف أن نسجل لهم أنه بالرغم من جنائتهم على وحدة الأندلس واستقلاله فإنهم دعموا حركة الأدب وكانت أكثر عواصمهم أسواقاً رائجة لها»<sup>(49)</sup>.

نرى في هذا العصر قد تعددت مراكز الثقافة بتعدد عواصمهم وملوكهم «راحوا يتنافسون في استمالة العلماء والأدباء والشعراء إلى عواصمهم، ويعمل كل واحد منهم على تشجيع الحركة العلمية والأدبية والفنية في وطنه ومقر حكمه وملكه ويستقدم أكابر علماء المشرق للإفادة من علمهم. وهكذا نرى الأندلس بفضلهم تنهض في القرن الخامس وأوائل القرن السادس نهضة واسعة في أدبها من شعر ونثر، حتى ليعد عصرهم من أزهى عصور

(48) لسان الدين بن الخطيب عصره. ص 8-9.

(49) الأدب العربي في الأندلس. د. عليّ محمّد سلامة ص 25.

الأندلس الأدبية»<sup>(50)</sup>; لذلك تميز هذا العصر بازدهار الحركة الأدبية وكثرة الشعراء والشاعرات وشاع فن الموشح بعد أن ظهرت طلائعه في مطلع هذا العصر.

«دام أمر الطوائف نحو مائة سنة تقريباً استطاع في أواخرها ملوك الفرنجة من جمع كلمتهم فهاجموا هذه الدويلات واحدة واحدة واستولوا على معظمها حتى بلغوا إشبيلية عاصمة بني العباد فضايقوا المعتمد حتى اضطر أن يطلب النجدة من يوسف بن تاشفين أمير المرابطين في المغرب فجاء يوسف بجيشه الباسل، وأسقط ملوك الطوائف إلا دولة سرقسطة فإن صاحبها اعتصم بالفرنجة فحموه حيناً إلى أن تمكن منها المرابطون - سنة 503 هـ / 1109 م واستعاده الفونس الأول ملك أرغونة سنة 512 هـ / 1118 م»<sup>(51)</sup>.

وهكذا استولى المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين على الأندلس وجعلوا منها ومن المغرب دولة واحدة قوية عاصمتها مراكش ابتداءً من سنة 495 هـ / 1101 م.

#### 4- دولة المرابطين 495-555 هـ / 1101 - 1160 م

عرفنا كيف استولى المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين على الأندلس ولذلك بعد عهد ملوك الطوائف صارت الأندلس خاضعة لدولة المرابطين، وينتسب أمراء هذه الدولة إلى قبيلة لمتونة من برابرة صنهاجة في المغرب، وكان من عاداتهم أن يضعوا لثاماً على وجوههم لذا لقّبوا بالملثمين<sup>(52)</sup>، وسُمّوا بالمرابطين لأن مؤسسها يحيى بن إبراهيم الكدالي «جاء بفضله يدعى عبدالله بن ياسين ليعلّم قبيلته القرآن وأحكام الدين، فلما مات يحيى تفرق قومه عن عبدالله، غير أن ذلك لم يفت في عضده فاعتزل بهم في جزيرة من السنغال، وابتنى لهم رباطاً»<sup>(53)</sup> يتعبدون فيه.

(50) الأدب العربي في الأندلس. د. عتيق ص100.

(51) بتصرف من كتاب في الأدب الأندلسي. د. جودت الركابي ص25.

(52) الحلة السيرة 250/2. - المغرب في حلى المغرب لابن سعيد 467/2. - دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ص296.

(53) في الأدب الأندلسي. د. جودت. الركابي ص 26. (والرباط في الأصل: الإقامة في الثغر على جهاد العدو بالحرب وهو هنا مكان ينفرد به المسلمون للعبادة ويتأهبون فيه للجهاد فهو بيت دين وحرب).

فأخذ يربيهم تربية دينية وروحية ثم حربية، ولمّا كثّر عددهم وقويت شوكتهم حثهم على الجهاد وآلت قيادتهم فيما بعد إلى يوسف بن تاشفين الذي وحد المغرب بجيشه ونقل عاصمة ملكه من فاس إلى مراكش.

إذاً قامت هذه الدولة على العلم والدين وكان هدفها الإصلاح ونشر الفضائل على أساس الشريعة الإسلامية ومن هذا المنطلق لبّى يوسف بن تاشفين نداء الأندلسيين ونصرهم مرتين «وضم الأندلس إلى ملكه ونفّذ فيها دستور المرابطين القائم على تطبيق الشريعة الإسلامية»<sup>(54)</sup>.

ومن اللافت للانتباه أن ابن تاشفين قد أعاد البلاد إلى سلطة الخلافة العباسية في بغداد ولكنه سرعان ماتوفي سنة 500 هـ وخلفه ابنه عليّ الذي سار على طريقة والده في الغزو والجهاد، ولكن الضعف بدأ يتسرب إلى دولته في أواخر أيامه «فثار أهل إشبيلية سنة 540 هـ / 1145 م وخرجوا عن طاعة المرابطين وبايعوا عبدالمؤمن بن عليّ خليفة المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين بالمغرب تلك التي أطاحت بدولة المرابطين؛ فعادت الأندلس إلى مثل حالتها في عهد ملوك الطوائف وتعدّد الثوار في أعقاب دولة المرابطين وعاد الإسبان يجدّدون هجماتهم على المدن الإسلامية وعاد الأندلسيون يلتمسون النجدة من الموحدين، فعبر عبد المؤمن بن عليّ الأندلس سنة

555 هـ / 1160 م واستولى على كثير من مدنها وضمّها إلى ملكه واتخذ من إشبيلية حاضرة لدولته في الأندلس وولى ابنه أبا يعقوب يوسف عليها وكان ذلك نهاية المرابطين في الأندلس وبداية الموحدين فيها»<sup>(55)</sup>.

«حكم المرابطين في الأندلس كان - مثل كل حكم في كل مكان آخر وكل زمان آخر - أمناً وعدلاً وازدهاراً في أيام قوتهم، ثم ضعفاً واضطراباً عاماً في أيام ضعفهم حينما مال أمرهم إلى الزوال»<sup>(56)</sup>.

اتسم دور المرابطين بالتعصب الديني وبتسلط البرابرة وضعف الحركة الأدبية وظهور الزجل، هذا الشعر العامي الشعبي الذي لاقى رواجاً كبيراً في هذا العهد وكاد ينافس الشعر التقليدي.

(54) الأدب العربي في الأندلس. د. عتيق ص 105.

(55) الأدب العربي في الأندلس. د. عتيق ص 107.

(56) تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ 35/5.

وقد استمرت دولة المرابطين ستين سنة، وحكموا خلالها الأندلس أي يبدأ حكمهم باستيلاء يوسف بن تاشفين على الأندلس وينتهي بحلول الموحيدين محل المرابطين.

#### 5- دولة الموحيدين 526 - 667 هـ / 1129-1268 م

قامت الدولة الموحدية في أعقاب دولة المرابطين وعلى أساس دعوة دينية، «ويرجع الفضل في تكوينها إلى رجل ينتسب إلى آل البيت (عليهم السلام) يدعى محمد بن تومرت الذي ينحدر من أسرة بربرية من قبيلة مصمودة»<sup>(57)</sup> وهي قبيلة شديدة البأس، كثيرة العدد. ابن تومرت تتلمذ على يد الغزالي في نظامية بغداد فأخذ عنه طرفاً من العلم واصل الدين<sup>(58)</sup> كما تتلمذ على يد أئمة الأشعرية وأخذ عنهم واستحسن طريقهم في الانتصار للعقائد السلفية.

فلما رجع إلى المغرب شرع في تدريس العلم والدعاء إلى الخير من غير أن يظهر إمرة ولا طلبه ملك، ولما استوثق من أصحابه دعاهم إلى القيام معه أولاً «على صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»<sup>(59)</sup>، كان يدعو «الناس إلى التمسك بأهداف الشرع وإقامة أحكام السنة ويبين لهم فساد الملوك والأمراء وظلمهم ويدعوهم إلى عصيانهم، وأطلق على طريقته اسم التوحيد فتبعه خلق من بني قومه عرفوا بالموحيدين»<sup>(60)</sup>.

كان ابن تومرت ذا فصاحة وبيان وحجة قوية، إلى جانب ورع ونسك وغيره شديدة على الدين. وكان لهذه الفضائل أثر كبير في كثرة أتباعه ومريديه.

«خطأ ابن تومرت في دعوته خطوة أخرى، فأخذ يذكر المهدي، ويجمع الأحاديث التي جاءت فيه وظل يزيّنه في عيون أصحابه حتى استقر في أنفسهم فضله، فصرح بدعوى العصمة لنفسه ورفع نسبه إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وادعى أنه المنتظر الذي سيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»<sup>(61)</sup>، فبايعوه وساروا في ركابه يبتئون دعوته ويحمونها حتى كثر أتباعه ورسّخت تعاليمه فدعاهم إلى جهاد المرابطين وأباح لهم فبايعوه على الموت، وراحوا يقاتلون المرابطين وحققوا عليهم الانتصارات المتلاحقة حتى وصلوا

(57) وفيات الأعيان 35/5.

(58) وفيات الأعيان 46/5.

(59) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص 254.

(60) في الأدب الأندلسي. د. جودت الركابي ص 28.

(61) الشعر الأندلسي في عصر الموحيدين ص 19.

مراكش فحاصروها ولكنها امتنعت عليهم ومات ابن تومرت سنة 524 هـ (62) قبل أن يفتحوها.

حمل راية الجهاد بعده تلميذه عبد المؤمن بن عليّ فبايعه الموحدون وتلقب بأمر المؤمنين، وتابع عبد المؤمن جهاده حتى أزال دولة المرابطين وأقام دولة الموحدين، وانفتح الطريق أمامه لتكوين مملكة مترامية الأطراف «لم تنتظم لأحد قبله منذ اختلت دولة بني أمية إلى وقته» (63).

«وإذا كان المهدي هو المؤسس الروحي للدولة الموحدية، فإن عبدالمؤمن بن عليّ هو المنشئ الحقيقي لتلك الدولة، وعلى يديه توطد سلطانها بالمغرب وإفريقية والأندلس وفي ظلّه تحولت الخلافة الموحدية شيئاً فشيئاً من إمامة دينية إلى خلافة دنيوية يتوارثها أبناؤه، وإلى ملك سياسي باذخ وذلك مع الاحتفاظ برسوم الإمامة المهدية» (64).

«توفي عبدالمؤمن سنة 558 هـ / 1162 م فتولى الحكم بعده ابنه أبويعقوب بن يوسف» (65) وواصل الجهود التي بدأها أبوه في الأندلس «وهو أول ملك من ملوك الموحدين يقود الجيش ضد النصارى في إسبانيا» (66) بلغت دولة الموحدين في عهده أوج عزها وعظمتها داخلياً وخارجياً.

مع تمسك الموحدين بأمور الدين فإنهم كانوا أكثر ميلاً إلى تشجيع العلوم والآداب وأعلق منهم بالحضارة. ففي ميدان العلوم نرى الكثير من العلماء لهم إقبالاُ زائداً على الاشتغال بالتأليف في شتى العلوم الإسلامية والعربية.

فأبو يوسف يعقوب استقدم الفلاسفة إلى بلاطه كابن طفيل وابن رشد وأكرم وفادتهم وشجعهم على التأليف و«أيضاً ظهر في عصرهم بعض كبار الصوفية من ذوي النزعات الفلسفية من أمثال ابن عربي، وابن سبعين والششتري، وقد أثرت النهضة الموحدية على العقول في الأندلس» (67). ولم يكن اهتمام الموحدين بالحركة الأدبية أقل من اهتمامهم بالحركة العلمية. ذلك لأن أغلبهم كانوا من ذوي الثقافة العلمية والأدبية.

---

(62) العبر للذهبي 571/4.

(63) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص300.

(64) عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس 616/2.

(65) المصدر السابق 573/2.

(66) تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين 76/2.

(67) الأدب العربي في الأندلس د.عتيق ص116.

وقد انعكست أصداء الدعوة الموحدية في شعر الشعراء الأندلسيين فأكثر الشعراء من ترديد الأفكار المتصلة بفكرة المهدوية فتحدثوا عن عصمة الإمام، وأشاروا إلى صدق دعوته واستندوا إلى ما ذكره من أحاديث في هذا الشأن وأنه المهدي «يملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً» ويعبر عن هذه المعاني ابن طفيل في قصيدته هذه<sup>(68)</sup> حينما يمدح بها عبد المؤمن.

سلام على المهدي، أما قضاؤه \*\*\* فحتم وأما أمره فمؤكد  
امام الورى عمّ البسيطة عدله \*\*\* على حين وجه الأرض بالجور أربد  
«وقد دام ملك الموحدين نحو مائة وثلاثين سنة»<sup>(69)</sup>، وفي نهايتها تمكن النصارى من الاستيلاء على معظم الأقاليم التي كانت في أيدي المسلمين وإخراجهم من الأندلس وكان سقوط إشبيلية آخر معقل للموحدين.

كان هذا العصر أكثر العصور الأدبية في الأندلس احتفاءً بالشعر الديني، فقد ازدهر هذا اللون من الشعر ازدهاراً كبيراً، وصار من أوسع الموضوعات التي تناولها الشعراء واتسعت موضوعاته وتنوعت فازدهر فن المديح النبوي وراج شعر الزهد وظهر الشعر الصوفي كموضوع جديد، وانصرف له شعراء كبار، وتغنوا بالحب الإلهي ووصفوا لحظات الجذب والفناء التي عاشوها.

وكان وراء ازدهار الشعر الديني بواعث عديدة لعل أهمها يكمن في تلك المحن السياسية والاجتماعية التي تعرضت لها الأندلس في هذا العصر بالإضافة إلى الطابع الديني الذي كانت عليه دولة الموحدين والذي أسهم في نمو بعض الموضوعات الدينية كالزهد. تتميز دور الموحدين بالحماسة الدينية ولكنها لم تقيد الفلاسفة، فنمت الحركة الفلسفية نمواً دعا إلى التأمل الديني من ناحية والتفكير الفلسفي الحر من ناحية أخرى.

#### 6- دولة بني الأحمر 635-898 هـ / 1237-1492 م

ومع ضعف الموحدين - في المغرب والأندلس - ظهر على الساحة السياسية عدد من الطامحين والطامعين من الولاة والقادة وغيرهم. فثار عليهم محمد بن يوسف بن هود و«استطاع أن يبيسط سلطانه على كثير من المدن الأندلسية حتى صار ملكه يشمل بطليوس،

(68) نفح الطيب، 609/7 وما بعدها.

(69) الأدب العربي في الأندلس. د. علي محمد سلامة ص30.

إشبيلية، قرطبة ومرسية»<sup>(70)</sup>، وكان يرى أنه إذا قاتل كل أعدائه النصارى، دعم من قدرته ومكّن لسلطانه، ولكنه كان أضعف من أن يردّهم عن مملكته ويحرس استقلالها.

وفي هذا الوقت الذي كانت فيه الأندلس تزرح تحت أعباء الفتنة والضعف ظهر بنو الأحمر، «وهم آخر ملوك العرب في الأندلس وبسببهم استولى النصارى على جميعها، أصلهم من أرجونة من حصون قرطبة ولهم فيها سلف من أبناء الجند، ويعرفون ببني نصر وينتسبون إلى سعد بن عبادة الخزرجي»<sup>(71)</sup>. وكان عميد هذه القبيلة محمد بن يوسف النصري المعروف بابن الأحمر سليل بني نصر، «فقام هذا أيضاً بقتال النصارى، ولكن روح التنافس والضعف لم تكن لتسمح للمسلمين بالتفوق، واستطاع الإفرنج أن يستولوا على المدائن والحصون حتى بلغوا قرطبة فحاصروها ستة أشهر»<sup>(72)</sup> وفي نهايتها سقطت في أيديهم سنة 633 هـ / 1235 م وكان سقوطها كارثة خطيرة بعد أن لبثت نحو خمسمائة وعشرين سنة عاصمة للأندلس، وقتل ابن هود في المرية ولم يبق للمسلمين غير غرناطة والمرية وماحولهما ويتولى غرناطة ابن الأحمر أمير المسلمين من قبل فرديناند الثالث.

تمكنت هذه الدولة الصغيرة أن تقف في وجه التوسع الإفرنجي مدة قرنين ونصف من الزمان ويعود ذلك إلى أن ملوك إسبانيا «كانوا يشغلون عنها بمحاربة بعضهم بعضاً، وأنها كانت تستنجد سلاطين المغرب في ضنكها

فيجيزون إليها جيوشهم لدفع المسيحيين عن أرباضها»<sup>(73)</sup>.

ومن الناحية السياسية «يعد هذا العصر من أسوأ عصور الأندلس لكثرة فتنه وانقلاباته وفيه حروب مقدسة متصلة بين أبناء الديانتين تنحسر فيها رقعة المسلمين على أرض الأندلس شيئاً فشيئاً أمام المدّ المسيحي، غير أنه يعتبر عسراً مزدهراً من الناحية الحضارية؛ ففيه شيدت قصور الحمراء»<sup>(74)</sup> التي لاتزال ماثلة حتى اليوم. وامتاز عصرهم بتعزيز

---

(70) بتصرف من: في الأدب الأندلسي، د. جودت الركابي ص30. الأدب العربي في الأندلس د. عتيق ص119.

(71) نفح الطيب 421/1.

(72) في الأدب الأندلسي، د. جودت الركابي ص30.

(73) في الأدب الأندلسي، د. جودت الركابي ص30.

(74) الأدب العربي في الأندلس. د. عليّ محمد سلامة ص31.

الآداب فنّبع في دولتهم جملة من الشعراء، فأكبرهم «لسان الدين بن الخطيب وتلميذه ابن زمرك»<sup>(75)</sup>.

وفي سنة 898 هـ / 1492 م أي بعد نحو ثمانية قرون من الفتح الإسلامي للأندلس هاجم فرديناندوايزابيل بني الأحمر وهزموهم هزيمة مروعة وسقطت غرناطة في 21 محرم سنة 898 هـ / نوفمبر 1492 م<sup>(76)</sup> وبسقوط غرناطة انتهت حضارة المسلمين ووجودهم في بلاد فتحوها وعمروها وأقاموا فيها حوالي ثمانية قرون من الزمان.

وأما هذا الدور أي «دور بني الأحمر فقد عُرف بحياة الرخاء وحياة القلق، رخاء داخلي وقلق بيّنه في النفوس عدوّ متربص شعر بضعف الفاتحين واستسلامهم فأخذ ينزل بهم النكبة تلو النكبة، وفي هذه الغمرة أخذت النفوس الحساسة تنشر شعر الأنين حيناً وتجأر بشعر الاستجداد والصريخ حيناً آخر وقد بلغ كمال نضجها في هذا الدور تلك الفنون الأدبية التي استحدثت في الأندلس من الموشحات والزجل.

وقد شهد هذا الدور أعظم محنة نزلت بالعرب على أيدي ملوك الإفرنج وزعمائهم الدينيين، وتجلّت في ألوان من الاضطهاد الديني والقسوة والتعذيب الذي لم ينته إلا بعد أن تم الجلاء الأخير سنة 1492 م.

وكانت دواوين التفتيش التي أنشأها الإفرنج لمحو كل أثر للإسلام والعرب، لطخة عار في تاريخ المدينة. وقد أحرقت تحت تأثير هذه الحملة التعصبية الكتب العربية الكثيرة وأبيدت روائع الفكر الإسلامي وأتلفت آثار العبقريات»<sup>(77)</sup>.

وقد شهدت بلاد الأندلس طوال هذه الأدوار مختلف المعارك وضروب المحن واللهو والاضطهاد والتساهل وجرى فيها كثير من الاختلاط بين الأجناس والأقوام، فالعرب الذين تحدّروا إلى الأندلس، جاءوها بطوائفهم الكثيرة وقبائلهم المختلفة ومواليهم الذين ينتمون إلى شتى الجنسيات في الشرق، والبربر إنّما نزلوا بها مع الفاتحين، وامتزجوا جميعاً بسكان الجزيرة الأندلسية وما يجاورها من قوط وإسبان وصقالبة وغيرهم من شعوب الفرنجة.

ونشأ من هذا الاختلاط أجيال جديدة مولدة، لم تتصف بها الأقطار الأخرى التي دخلها العرب في فتوحاتهم.

(75) الأدب العربي في الأندلس. د. عتيق ص 129.

(76) نفح الطيب 525/4.

(77) في الأدب الأندلسي، د. جودت الركابي ص 32.

وسنذكر تفصيل هذه العناصر التي كوّنّت الشخصية الأندلسية فيما بعد.

## الحياة الاجتماعية

للتعرف على الحالة الاجتماعية في الأندلس نحتاج إلى دراسة عناصر الشعب الأندلسي وصفات أهله.

كان الشعب الأندلسي في عهد العرب مزيجاً من عناصر متباينة وأجناس مختلفة، ولكل من هذه الأجناس خصائص حضارية ودينية ووراثية، تفاعلت كلياً وأجزئياً لتؤلف شعباً واحداً ذا خصائص مميزة انعكست جميعها في مجالات الحياة المختلفة فظهرت حركات التجديد في العمران والفنون والآداب.

### عناصر الشعب الأندلسي

يمكننا تقسيم العناصر التي يتكون منها المجتمع الأندلسي إلى: العرب والبربر والموالي والمولدون وأهل الذمة من نصارى ويهود.

1- العرب: (78) وهم الذين فتحوا البلاد وسادوا الديار، وكانوا يؤلفون الطبقة الحاكمة ويشعرون بأنهم أفضل العناصر الموجودة وأعلى شأنًا وأرفع مكاناً لغلبتهم على الإسبان والبربر وإدخالهم في الإسلام وكذلك من لغتهم التي تفوق غيرها، وبحكم مواقعهم في مراكز السلطة تعاملوا مع العناصر الأخرى بشيء من الاحتقار مما حمل البربر على الانتفاض والثورة أكثر من مرة.

2 - البربر: (79) وهم سكان شمالي إفريقيا، أسلموا وانخرطوا في صفوف الجيش وساهموا في الفتوحات جميعها وخصوصاً فتح الأندلس. كانوا في أول أمرهم أكثر عدداً وقوة من

---

(78) ظهر الإسلام 2/3 - في الأدب الأندلسي، د. جودت الركابي ص 35-38. - الأدب العربي في الأندلس د. عتيق ص

133-134. ابن هاني الأندلسي حياته... ص 15. - في الأدب الأندلسي د. محمد رضوان الداية ص 21. - الأدب

العربي في الأندلس د. علي محمد سلامة. ص 35. - في الأدب الأندلسي د. محمد زكريا عناني ص 18.

(79) المصادر السابقة.

العرب ثم تدفقوا حتى شكّلوا الأكثرية الإسلامية مما ضاعف من عددهم وأهميتهم في العهد الأموي.

وقد تأثرت جماعات البربر المستقرة في الأندلس بالبيئة الجديدة تأثراً عظيماً ولم يفتأ الجيل الأول منهم أن ينقضي حتى طلع الجيل الثاني أندلسياً، ومن الناحية العقلية كانوا يجتهدون في التعرّب، يتعلمون العربية، ومن الناحية المعاشية ارتبطوا بجيرانهم من أهل البلاد عن طريق المصاهرة.

وكانوا أسرع اندماجاً من العرب في البيئة الجديدة. ومع مرور الزمن أصبحت غالبيتهم في جملة العرب الأندلسيين وكان لهم أعظم الأثر في بناء الأندلس الإسلامي.

3 - الموالى: وهم موالى بني أمية، فقد أتوا في ركاب العرب منذ عبروا إلى الأندلس إذ كانوا مرتبطين بهم تابعين لهم وقد كان لهؤلاء الموالى اليد الطولى في إقامة دولة عبد الرحمن الداخل<sup>(80)</sup>.

هذه العناصر الثلاثة هي التي دخلت الأندلس مع الإسلام ووضعت أساس إسلام الأندلس وعروبتة.

أما الجزء الأكبر من عناصر الشعب الأندلسي فهم المولدون وأهل الذمة من نصارى ويهود.

4 - المولدون<sup>(81)</sup>: وهم الجيل الجديد الذي نشأ من تزاوج العرب بالبربر أو العرب بالإسبانيات والصقالبة. وهذا يشبه بما كان في الشرق من تزاوج بين عربي وفارسية. وكان المولدون يؤلفون زمن الأمويين القسم الهام من شعب الدولة الأموية.

وظلّ اسم المولدين يطلق على هذا العنصر حتى نهاية القرن الثالث الهجري ثم تلاشت هذه التسمية بعد ذلك حيث اندمجت كل الأجناس في بوتقة واحدة وطنية هي أندلسيتهم فصار الجميع شعباً له خصائصه ومزاياه ولغته وحضارته.

5 - أهل الذمة<sup>(82)</sup>: وهم الإسبان من المسيحيين واليهود الذين ظلوا على ديانتهم ولم يعتنقوا الإسلام، وقد أذعن هؤلاء لحكم الإسلام لقاء جزية يدفعونها بمقتضى الشريعة الإسلامية وهم

(80) بتصرف من: الأدب العربي في الأندلس. د. عتيق ص134. الأدب الأندلسي من الفتح.... ص30.

(81) بتصرف من كتب: في الأدب الأندلسي د. محمد زكريا عناني ص32. في الأدب الأندلسي د. جودت الركابي

ص35. الأدب العربي في الأندلس د. عتيق ص135. الأدب العربي في الأندلس. د. عليّ محمد سلامة ص36.

يعملون في التجارة غالباً وفي مختلف نشاطات المجتمع بوجه عام واحتلوا مراكز متقدمة في الحكم وتسمنوا مراتب ممتازة في الحياة العامة فكان منهم الوزراء والشعراء والأطباء والموسيقيون. وكانت نظرتهم إلى العرب والبربر هي نظرة صاحب الأرض إلى الدخيل المغتصب.

هناك طبقة اجتماعية أخرى أخذت تلعب دوراً هاماً في حياة الأندلس السياسية والاجتماعية ولاسيما في قرطبة كان يسميهم العرب الصقالبة<sup>(83)</sup> أولئك ينحدرون من أصل أجنبي أتوا البلاد وكان أكثرهم أسرى الحروب من جميع البلاد الأوربية سرعان ما تعلموا اللغة العربية واعتنقوا الإسلام، وأنشأ الخليفة عبد الرحمن الناصر جيشاً منهم. نستطيع أن نقارب أدوارهم الاجتماعية والسياسية في المجتمع إلى حدّ ما مع دور الأتراك في الحكم العباسي. فقد تغلغلوا في بلاطات الملوك والأمراء وتقلدوا المناصب المدنية الرفيعة والقيادات العسكرية الكبرى.

«هذا الاستعراض لمختلف العناصر الجنسية التي تألفت منها الدولة الأموية يبين لنا كيف كانت هذه الدولة مزيجاً متبايناً من عناصر تختلف في العرق وفي الدين وفي الأهواء والغايات، وقد أدى هذا المزيج إلى أن تتصف الدولة بصفة خاصة تميزها عن باقي الدول الإسلامية ; ولهذا كان الشاغل الأول الذي يشغل حكامها وخلفاءها هو أن يحققوا ضمن هذا المزيج وحدة تستند قبل كل شيء إلى القوة، وأن يمنحوا دولتهم بناءً متيناً يشبه بناء الخلافة الشرقية في أوج مجدها أو بناء الدولة الفارسية أو البيزنطية، آخذين بعين الاعتبار العناصر المختلفة التي يجب أن تبقى دائماً في خضوع تام للسلطة الحاكمة.

وقد استطاع هؤلاء الحكام أن يحققوا الغاية التي يرمون إليها مدة من الزمن. ولكن عندما بدأ يضعف السلطان الأموي وتظهر الرغبات الكامنة في قلوب هذه العناصر المختلفة، أخذ ذلك البناء الذي شاده عبد الرحمن الثالث بحزمه وقوته يتأرجح شيئاً فشيئاً، حتى جاءت الفتنة

---

(82) بتصرف من: في الأدب الأندلسي د.جودت الركابي 40-41 / د. محمد رضوان الداية ص24. / الأدب العربي في الأندلس د.عتيق ص135. - الأدب العربي في الأندلس د. عليّ محمد سلامة ص 35-36. - ابن زيدون شاعر العشق والحنين ص45.

(83) بتصرف من: تاريخ التمدن الإسلامي 495/2. - ظهر الإسلام 6/3، المصادر السابقة.

إثر الفتنة، وكان هذا الاختلاف الجنسي من أعظم الأسباب التي أزلت ملك الإسلام في الأندلس (84)

### صفات أهل الأندلس

على كل حال فإن هذه العناصر المختلفة التي ذكرناها آنفاً قد اندمجت وتضافرت لتؤلف شعباً واحداً كسائر الشعوب له عاداته وصفاته وتقاليده التي تمسك بها وحافظ عليها واعتز بها. وفيما يلي عرض لأهم صفات الأندلسيين وعاداتهم التي اشتهروا بها:

عاداتهم: «هم أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال» (85) ولهذا فهم أبعد الناس عن الإسراف والتبذير، وهم أيضاً يكرهون التسول والمتسولين وإذا رأوا شخصاً صحيحاً قادراً على العمل يستجدي الناس في الطرق والأسواق سبّوه وأهانوه فضلاً عن أن يتصدقوا عليه «فلا تجد بالأندلس سائلاً إلا أن يكون صاحب عذر» (86).

ومن عاداتهم الحسنة حبُّهم للنظافة وهم «أشد خلق الله اعتناءً بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك مما يتعلق بهم، وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه، فيطويه صائماً» (87) ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها» (88).

زيّهم: يغلب على أهل الأندلس ترك العمائم ولاسيما في شرقها، أما في غربها فكان الفقهاء والقضاة يضعونها، أما السلاطين والأجناد فكثيراً ما تزىوا بزىّ النصارى المجاورين لهم. ومن أهم ما لبسوا: الطيلسان (89)، «ولا تجد في خواص الأندلس وأكثر عوامهم من يمشي دون طيلسان إلا أنه لا يضعه على رأسه منهم إلاّ الأشياخ المعظمون» (90).

وكثيراً ما يلبسون غفائر (91) الصوف حمراً وخضراً، أما الصفر فكانت مخصصة لليهود والجدير بالذكر أن البياض كان لباسهم في الأحزان.

(84) في الأدب الأندلسي. د. جودت الركابي ص 42-41.

(85) نفح الطيب 208/1.

(86) المصدر السابق 205/1.

(87) يطويه صائماً: يقضيه صائماً.

(88) نفح الطيب 208/1.

(89) الطيلسان: ثوب يحيط بالبدن ينسج لليس خال عن التفصيل والخياطة.

(90) نفح الطيب 208/1.

(91) غفائر: جمع غفيرة وهي لباس يغطي العنق والقفا.

حبهم للغناء: «ومن صفات الأندلسيين شغفهم بسماع الغناء وقد شاع في بلدهم الترف واللهو والغناء شيوعاً عظيماً، ويرجع الفضل في ظهور حركة الغناء وانتشارها في الأندلس إلى شغف بعض أمراء الأمويين بالغناء»<sup>(92)</sup> وأيضاً كانت الأندلس بلاد خير ونعمة وجمال طبيعي وغنية بمصادر الثروة، وكذلك ذوق الأندلسيين، كل هذه من المسائل التي كانت قد جعلت هذا الشعب يميل إلى اللهو فتعلقوا بالغناء واستمعوا إليه وتلذذوا بالأصوات الحسنة.

«وقد كان لقدوم زرياب المغني إلى الأندلس في القرن التاسع للميلاد أثر كبير في الحياة الاجتماعية والفنية لما نقله من عادات شرقية في الغناء والطرب والمجالس والحفلات»<sup>(93)</sup>.  
نساوهم: لعبت المرأة دوراً بارزاً في الحياة الاجتماعية في الأندلس، «فقد حظيت بقدر كبير من الحرية نتيجة لهذا الامتزاج الذي تم بين عناصر تكوين المجتمع الأندلسي، فقد كانت تشارك كبار رجال الدولة الرأي والمشورة في أخطر الأمور. فالمرأة الأندلسية احتلت في مجتمعها المكانة المرموقة، وصارت تتمتع بالحرية التي اكتسبتها حتى صارت مثل أختها المشرقية»<sup>(94)</sup>.

رغبهم في العلم: «وأما حال أهل الأندلس في فنون العلم فتحقيق الانصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم أحرص الناس على التميز، فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة، ويربأ بنفسه أن يرى فارغاً عالة على الناس، لأن هذا عندهم في نهاية القبح، والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة يشار إليه ويحال عليه»<sup>(95)</sup>.

وقد ساهم في انتشار العلم أجواء الهدوء والأمن والرخاء والاستقرار السياسي والاجتماعي بالإضافة إلى تشجيع الملوك والأمراء للحركة العلمية وكثير منهم كان له اشتغال بالعلم والأدب.

وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم، فإن لهما حظاً عظيماً عند خواصهم. وهؤلاء لا يتظاهرون بها خوفاً من العامة. فإنه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلق عليه اسم زنديق وقيدت عليه أنفاسه فإن زلّ في شبهة رجموه بالحجارة أوحرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان أو يقتله السلطان تقريباً لقلوب العامة»<sup>(96)</sup>.

---

(92) بتصرف من: الأدب العربي في الأندلس د. عتيق ص 145-146.

(93) المفيد في الأدب العربي 611/1.

(94) الأدب العربي في الأندلس. د. علي محمد سلامة ص 37-38.

(95) نفح الطيب 205/1.

(96) نفح الطيب: 205/1.

لقد كان خلفاء الأندلس وأمراءها يضاهون العباسيين وينافسونهم في كل شيء، «ومن مظاهر هذا التقليد أنهم كانوا يسمون مدنهم وشعراءهم وخلفاءهم بأسماء مدن الشرق وشعرائه وخلفائه. فيدعون غرناطة دمشق وإشبيلية حمص... ويلقبون أبا غالب الأندلسي بأبي تمام وابن زيدون بالبحثري وابن هانيء بالمتنبي ونرى بين أمراء الطوائف الرشيد والمأمون والمتوكل والناصر وغيرهم»<sup>(97)</sup>.

نعلم أن الحياة العقلية لكل أمة هي وليدة مجتمعتها بكل ما يمثلها، ولذلك حاولنا هنا التعرف بصورة موجزة إلى مكونات المجتمع الأندلسي وعناصره التي تضافرت على صنع حياته الفكرية علمياً وأدبياً.

## الحياة الثقافية

عندما فتح العرب إسبانيا وجدوا الحكم القوطي مسيطراً على البلاد<sup>(98)</sup> والكنيسة موجهة للثقافة فاحتكر رجال الدين العلم والتعليم واتجهوا بهما نحو الدين<sup>(99)</sup>.

جاء الفتح العربي واستقر المسلمون في الأندلس وأمنوا على حياتهم ومصدر رزقهم وبدأوا في الدراسة والبحث وحملوا معهم كل ما كان لديهم من ألوان الثقافة والعلم والفكر. وأول شيء اعتمدوا عليه في بحثهم هو الكتاب والسنة فكانت أفكارهم مستمدة من هذين المصدرين، وكانت علوم الشريعة وعلوم اللغة وما يتصل بتقويم اللسان وفصاحة البيان كل زادهم من الثقافة.

وسرعان ما انتشرت الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس بانتشار العرب فيها ونمت وأصبحت الأندلس كما يقول الأستاذ أحمد أمين في كتابه «كمحطات الإذاعة، فيها آلات للاستقبال وآلات للإرسال، استقبلت كل ما أرادت من المشرق وأرسلت إلى العالم الإسلامي كله - وكان كأنه قطر واحد - نوعين من الموجات نوعاً ذهب إلى المشرق ونوعاً ذهب إلى أوروبا»<sup>(100)</sup>.

ولاشك أن وحدة الدين واللغة في جميع أنحاء العالم الإسلامي ساعدت على نشاط التبادل الفكري.

«كان تصادم الآراء السياسية والدينية مجدياً على الثقافة، وباعثاً للمسلمين على التعمق في فهم دينهم الذي يعتنقونه، والغوص في دراسة مبادئه وتعاليمه؛ ولذا ظهرت المذاهب الفقهية بين مسلمي الأندلس»<sup>(101)</sup>.

(98) دولة الاسلام في الأندلس - العصر الأول. د. محمد عبد الله عنان ص27.

(99) المصدر السابق ص30.

(100) ظهر الإسلام 3/303-304.

(101) الأدب العربي في الأندلس. د. علي محمد سلامة ص43.

وعلى الرغم من الاضطرابات التي تعرّضت لها البلاد في حياتها السياسية فإنها كانت شعلة نور، وكانت جامعاتها في قرطبة وإشبيلية وغرناطة وغيرها من الحواضر الأندلسية ملتقى طلاب العلم من كل حذب وصوب فكان للأندلس مكانة مرموقة في العلم والأدب وسنتحدث بصورة موجزة عن الثقافة الأندلسية عبر العصور.

أما في عصر الولاة فقد كان اعتماد الثقافة الأندلسية على الثقافة المشرقية اعتماداً كبيراً وأمرأ لاريب فيه، لانشغالهم بالحروب المتواصلة، ولمّا جاء عصر الإمارة شعر المسلمون بالاستقرار إلى حدّ ما وساعدت عوامل متعددة على ازدهار الثقافة وانتشارها في ظل الإسلام بالأندلس منها:

**العامل الأوّل :** وفود كثير من الأمويين الفارّين من بطش العباسيين إلى الأندلس، كما أتى من المشرق الكثير ممن يرغبون في الإقامة بالإقليم الجديد، لوفرة خيراته وجمال طبيعته. ولاشك أن كثيراً منهم كان على حظ وافر من الثقافة والمعرفة.

**العامل الثاني:** عودة البعثات التعليمية التي جدّ الأمراء في إرسالها للدراسة في المشرق العربي فقد عاد رجالها بعد أن تعلّموا كثيراً من العلوم والمعارف المشرقية.

**العامل الثالث:** إنشاء مسجد قرطبة وغيره من المساجد التي أضحت بمثابة الجامعات في وقتنا الحاضر ففيها يتلقّى طلاب العلم علومهم في حلقات على يد أبرز علماء العصر<sup>(102)</sup>.

كانت قرطبة أكثر حاضرة للعلم يؤمّها العلماء، وتكاد تتركز فيها الدراسات العلمية. أما في أواخر العصر الأموي وفي عصر الخلافة «شقت الثقافة طريقها المستقل عن الشرق، وصارت لها شخصيتها المتميزة، ومما ساعد على ازدهارها في هذا العصر ما نعمت به البلاد من توحّد واستقلال وأمن ورخاء»<sup>(103)</sup>، وهذه كلها أسباب تدفع عجلة الثقافة والرقي والحضارة إلى الأمام وقد ظهر عدد غفير من العلماء في شتى فروع المعرفة، ويدل ذلك على تشجيع الأمراء للثقافة وأصحابها، وعلى إقبال الأندلسيين على الدراسة والبحث حتى أضحت هذه الفترة من أزهى العصور الذهبية للثقافة بالأندلس.

حينما انقسمت الدولة الكبيرة إلى دويلات صغيرة في عصر ملوك الطوائف تعددت الحواضر وتنافس الملوك في اجتذاب العلماء ورعاية العلم تنافساً حامياً كما يقول بالنتيا<sup>(104)</sup>

(102) العوامل مأخوذة من الأدب العربي في الأندلس. د.عليّ محمّد سلامة 44-45.

(103) المصدر السابق ص 46.

(104) تاريخ الفكر الأندلسي ص 13.

فازدهر العلم وساعد على ازدهاره النهضة العلمية الإسلامية التي آتت أكلها في هذا العصر فنضجت بأطيب الثمار، ومما يدل على ذلك هذه الغزارة التي نلمسها لعلماء القرن الخامس في المصادر الأندلسية مثل الذخيرة لابن بسام، الصلة لابن بشكوال، جذوة المقتبس للحميدي و... إلخ

وأما العلوم الشائعة في هذا العصر فتلاثة أقسام<sup>(105)</sup>:

- 1 - العلوم الدينية: كالفقه والحديث وتفسير القرآن .
- 2 - العلوم اللسانية: كالعلوم اللغوية والنحوية وما يتصل بها من الأدب والتاريخ العام.
- 3 - العلوم الدنيوية: مثل الفلك والرياضة والطب والهندسة و...

في دولة المرابطين نشطت الحركة العلمية في شتى العلوم وظهر أكابر العلماء في كل علم كابن باجة وابن رشد وابن طفيل وابن العريف وابن بسام وابن عبدون وعشرات من العلماء. ولم يكن ظهور هؤلاء إلا امتداداً للنهضة الفكرية التي ازدهرت في عهد ملوك الطوائف.

وفي عصر الموحدين «وصلت الحركة العلمية إلى ذروة أوجها فتعددت مراكز العلم والثقافة وتألقت إشبيلية فعدت أهم مركز علمي بالأندلس بعد اضمحلال قرطبة»<sup>(106)</sup>، ورحل إليها العلماء والأدباء من كل مكان وحاولت المدن الأندلسية الأخرى أن تحذو حذو إشبيلية. وفي هذا العصر «ازدهر الشعر وكثر الشعراء لاحتفال الموحدين - خلافاً للمرابطين - بشعر المديح وبالإجازة عليه، إذن كثرت مجاميع الشعر التي صنعت في هذا العصر مثل زاد المسافر لأبي بحر صفوان بن إدريس - الحلة السيراء وتحفة القادم لابن الأبار...»<sup>(107)</sup>. ولقد تميزت الحركة العلمية في هذا العصر بظاهرتين بارزتين<sup>(108)</sup> :

1- إن الأندلسيين لم يرحلوا إلى المشرق لطلب العلم فحسب، وإنما أصبحوا يخرجون من الأندلس بزاد غني من المعارف ينشرونها في أقطار نائية كما نرى مثل ابن جبير و... ينقلون درر الشعر الأندلسي إلى آفاق بعيدة.

2- إن تلك الحركة العلمية ظلت على ازدهارها حتى في الأوقات العصبية التي مرت بها الأندلس، وفي ذلك يقول د. عنان: «إن عصر الدولة الموحدية الذي استطال زهاء قرن

(105) البيئة الأندلسية ص45.

(106) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ص51.

(107) تاريخ الأدب العربي - عمر فروخ 378/5.

(108) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ص52.

ونصف قرن من الزمان، كان من أحفل عصور التاريخ الأندلسي بالحركات الفكرية، وإنه ليبود من الغريب المدهش أن نجد الحركة الفكرية الأندلسية حتى في مرحلة الانحلال والانحيار التي توالى فيها سقوط القواعد الأندلسية الكبرى، مستمرة في الاحتفاظ بنشاطها وعنفوانها»<sup>(109)</sup>.

وكان من مظاهر ازدهار الحياة الأدبية احتفاء عصر الموحدين بعدد كبير من الكتاب المشهورين أمثال ابن الآبار وابن بشكوال...

وأما الثقافة في دولة بني الأحمر: «فإنه بالرغم من ظروفها القاسية سياسياً واجتماعياً والصراعات المدمرة التي سيطرت على سياستها فقد كانت الثقافة زاهية وحافلة بأعلام الفن والمعرفة. وظلت غرناطة منار إشعاع فكري وحضاري»<sup>(110)</sup>.

وفي ظلها أخذت الحركة الفكرية في الاستقرار وبدأت الأندلس حياتها الجديدة وآنست جواً من الطمأنينة والهدوء، «وكان ملوك غرناطة من حماة الآداب والعلوم، وسطع بلاط دولة بني الأحمر بتقاليد الأدبية الزاهرة على غرار قصور ملوك الطوائف»<sup>(111)</sup>. «وكان تأثر الأدب الأندلسي بأحداث هذا العصر السياسية أكثر من تأثيرها فيه، فالأدب في دولة بني الأحمر، والشعر منه بخاصة، يغلب عليه طابع الاستغاثة واستنهاض همم الملوك للمؤازرة في الدفاع عن مجد العرب المهدد بالضياع في الأندلس، وقد كثر هذا اللون من الشعر وغزر حتى صار يؤلف فناً من فنون الشعر الأندلسي»<sup>(112)</sup>.

يقول عمر فروخ في كتابه عن تصوير الحياة الثقافية في أيام دولة بني الأحمر: «سألجاً في تصوير هذا العصر إلى عدد واف من الكتب، مع أن عدداً كبيراً منها لاتعدّ في نطاق الأدب فإنه يدلّ على رقي الحياة الثقافية - بلاريب - ثم إننا نرى في هذه الكتب ميلاً كبيراً إلى الموضوعات الدينية، مما يتفق عموماً حينما تضعف القوة السياسية في الأمة، فالدين ملاذ وملجأ في أيام المحن والضعف»<sup>(113)</sup>.

---

(109) عصر المرابطين والموحدين 3/645.

(110) الأدب العربي في الأندلس د. عليّ محمّد سلامة ص58.

(111) في الأدب الأندلسي. د. جودت الركابي ص58.

(112) الأدب العربي في الأندلس. د. عتيق ص129.

(113) تاريخ الأدب العربي 6/52.

لذلك نرى أن الأندلسيين شيدوا المدارس حتى أصبح أكثر الناس متعلمين، وازدهرت الآداب والفنون ازدهاراً يقوى ويضعف بحسب الظروف السياسية والعهود المختلفة التي مرت بها الأندلس.

ويحسن أن نشير في النهاية إلى «أن الأندلسيين كانوا في آدابهم مقلدين للمشاركة لأنهم كانوا يرون فيهم المثل الأعلى لشعرهم وأدبهم، ويجدونهم منبع علومهم وآدابهم وفنونهم، وقد ظلت معاني الشعر الأندلسي سطحية ليس فيها إكثار من الحكم وطرق المعاني الفلسفية وذلك لعدم إقبال الشعراء والأدباء على الفلسفة العقلية، ولانصرافهم إلى اللهو والحياة السهلة. وقد كان من نتيجة انتشار الكتابة فيهم وقلة الأمية أن كان عدد الشعراء والأدباء كبيراً، فقد كان أكثر الخلفاء والفقهاء والوزراء ينظمون الشعر، بل نجد روايات أدبية تذكر أن بعض السوقة ينظمون الشعر باللغة العربية الفصحى»<sup>(114)</sup>.



## الحياة الدينية

انتشر الإسلام بسرعة بين سكان شبه الجزيرة واعتنقه كثير من الأحرار والأرقاء، وكان مجتمعهم الأندلسي متديناً بعيداً عن التعصب «وعلى مذهب الأوزاعي»<sup>(115)</sup> فلما كانت ولاية الحكم لابن هشام ثالث الأمراء الأمويين بالأندلس - وهو المعروف بالربضي نسبة إلى معركة ربض قرطبة - جعل الفتوى على رأي مالك فانتشر مذهب مالك بين جمهرة الناس و«أصبح مذهب أهل الأندلس الغالب»<sup>(116)</sup> وهذه العبارة لاتنفي وجود غيره من المذاهب.

وفي عصر ملوك الطوائف كان في شبه الجزيرة الأندلسية ثلاثة أديان شائعة: الإسلام واليهود والنصارى. ولكل دين أصحابه، ولهم عاداتهم وتقاليدهم ومكانتهم.

«والأندلسيون تركوا لأهل الكتاب حرية العقيدة والتعبد منذ الفتح الإسلامي»<sup>(117)</sup>، «وتدلّ المراجع والوثائق الأوربية على أن المسيحيين واليهود والزرادشتية والصابئة تمتعوا في ظل الحكم الإسلامي بدرجة كبيرة

من التسامح»<sup>(118)</sup>.

أما المسيحيون «فقد ترك لهم حرية القيام بشعائر دينهم، وكان لهم كنائسهم وأديرتهم ورؤساء روكيون يوافق الحكام على اختيارهم، وكان لهم شرع خاص هو الشرع القوطي»<sup>(119)</sup> ومارسوا حياتهم العادية في المدن والأرياف «وعاش الفريقان في ألفة ومودة حتى استخدموا المبنى الواحد كنيسة ومسجداً»<sup>(120)</sup>. وتسامح المسلمون «حتى في جعل أيام الآحاد عطلة»<sup>(121)</sup>.

(115) تاريخ آداب العرب. صادق الرافي 261/3.

(116) دولة الإسلام في الأندلس - د. محمد عبد الله عنان 266/1.

(117) الأدب الأندلسي، مصطفى الشكعة ص75.

(118) المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية د. سعيد عبدالفتاح عاشور ص206.

(119) تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري ص793.

(120) قصة الحضارة ص296.

(121) غابر الأندلس وحاضرها ص38.

ولقد عاش هؤلاء النصارى بسلام في مدن الأندلس يزاولون شعائرهم الدينية بحرية تامة مقابل دفع الجزية للمسلمين تمشياً مع الشريعة الإسلامية لكونهم من أهل الكتاب، وهكذا احترّمهم العرب وعاملوهم معاملة حسنة.

وأما اليهود فقد كرمهم الفتح الإسلامي فأعطاهم بلاداً تركها تحت حكمهم حتى يعوّضهم عن الاضطهاد الذي وجدوه تحت حكم القوط وعظم شأنهم في إشبيلية وقرطبة وغرناطة وقد بلغ بعض اليهود في الدولة إلى منزلة رفيعة.

يعتبر اليهود «أن الفترة الذهبية من تاريخهم كانت في ظل الإسلام في الأندلس حيث حظوا بحرية لم يعهدوها من قبل، كما أثروا عن طريق التجارة في الداخل والخارج، وكان اليهود واسطة لنقل مظاهر الحياة الإسلامية

إلى الشمال فاضطلعوا بدور كبير في ترجمة المصنفات العربية إلى اللاتينية والقشتالية»<sup>(122)</sup>.

ولكن اليهود لم يتخلوا عن طبيعتهم التي عرفوا بها على مدى الأزمان، «فلم يكد يصبح لهم كيان بفضل الحكم الإسلامي السّمح، حتى كادوا للإسلام وتكتلوا ضد المسلمين»<sup>(123)</sup> «وحاربوهم دينياً وسياسياً، وعملوا على تفتيت كلمة العرب»<sup>(124)</sup> ونازعوهم السلطان وثاروا على عبد الله بن بكتين آخر ملوك غرناطة منتهزين الفرصة لماله من محنة مع المرابطين إلى مهادنتهم.

وأيضاً نرى في الأندلس بالإضافة إلى المذاهب الأخرى وجود المذهب الشيعي الذي عاش جزءاً كبيراً في الأندلس في إحدى فترات تاريخها في مطلع القرن الخامس وظل تحت حكم آل البيت المتشيعين أي دولة الحموديين العلويين.

كما إننا نرى أن هناك ثورات شيعية في تاريخ الأندلس السياسي، والدكتور الغزالي يذكر بعض هذه الثورات في رسالته، حيث يقول «وعندما دالت دولة الأمويين بالأندلس وفعلوا فعلتهم التي فعلوا، بدأ الناس ينحرفون عنهم لسوء سلوكهم وازدهر أدب التشيع وأدب الولاء لآل البيت (عليهم السلام)»<sup>(125)</sup>.

(122) الإسلام في الأندلس وصفلية ص8.

(123) تاريخ الفكر الأندلسي ص107.

(124) الذخيرة 2/1 / 268 - 272 .

(125) رسالة «أدب التشيع في الأندلس» - الدكتور الغزالي ص 38-42.



- الشعر في الأندلس ومراحل تطوره
- عوامل ازدهار الشعر في الأندلس
- ميزات وخصائص الشعر الأندلسي
- أوزان الشعر وقوافيه
- الفرق بين الشعر الأندلسي والشعر العباسي
- أطوار الشعر الأندلسي
- الشعر الديني
- المدح في الشعر العربي

## الشعر في الأندلس ومراحل تطوره

الشعر مرآة النفس والحياة، ينعكس فيها ما يعرض لهما وما انطوى عليهما من خير أو شر وما تخفيه الجوانح من فضيلة أو ذيلة، وللباحثين اعتماد كبير على الشعر في تحليلهم للشخصيات فعلى ضوءه يحكمون لهم أو عليهم.

لمّا دخل العرب الأندلس واستراحوا من الفتح والجهاد وعاشوا عيشة فراغ واستقرار عرفوا فيها أرضاً جديدة ومجتمعاً جديداً وحياة جديدة وظروفاً تختلف تمام الاختلاف عن الظروف التي كانت للمشاركة.

فلم يكن بدّ إذ ذاك من أن يتأثر الأدب الأندلسي بهذه الحياة الجديدة وبيئتها، وأخذت الأندلس تتأثر بالشرق وتنافسه في مختلف نواحي التقدم العلمية والأدبية والفنية؛ فأصبحت قرطبة منارة للحضارة العربية والإسلامية في الأندلس إلى جانب مناراتها الأخرى في المشرق كالقاهرة وبغداد ودمشق.

فالعربيّ حينما حلّ ذكر أوطانه وحنّ إليها، وكانت السنون الأولى بعد الفتح سنوات وحشة واضطراب، وكانت الظروف السائدة في الأندلس تتسم بالاضطراب والتنافس فيما بين القبائل العربية المختلفة، إضافة إلى انشغالهم بأمور الفتح وما يتطلبه من حروب ضد الإسبان.

فهم يحتاجون إلى زمن يتعقلون فيه لمواجهة هذه الحالة الجديدة؛ ولذلك نراهم لم يقولوا الشعر كثيراً كما كانوا يقولونه في جزيرة العرب أوفي الشام، «وإذا ألفينا شيئاً من الشعر أو النثر - في هذه الفترة - فإنه يكون قد جرى على لسان العرب من جنود الفتح فيعدّ حينئذ من أدب المشرق لامن أدب المغرب»<sup>(126)</sup>.

ولكن بعد استقرارهم هناك رجعوا إلى طبيعتهم المتأصلة فيهم وهي قرض الشعر لأنهم من أشدّ الشعوب حباً للشعر، فالشعر عميق متأصل في نفوسهم وجزء من طبيعتهم التي

فُطروا عليها، وللرسول (صلى الله عليه وآله) كلمة كاشفة في ذلك يقول فيها: «لا تدع العربُ الشعرَ حتى تدعَ الأبلُ حنيتها»<sup>(127)</sup>.

يقول د. شوقي ضيف: «كان طبيعياً أن يظل نشاط الشعر بالأندلس محدوداً زمن الولاة (92-138 هـ) وصدر الدولة الأموية هناك حتى عهد الحكم الربضي (180-206 هـ) لأن أكثر العرب الفاتحين للأندلس كانوا يمنية، والشعر إنما ينشط على ألسنة العدنانيين وربما نُظمت أشعار في تلك الفترة لم يسجلها الرواة»<sup>(128)</sup>.

لم يصلنا شيء شامل عن شعراء القرن الثاني ولا عن شعراء القرن الثالث، «مع أنهم كانوا من الكثرة بحيث أمكن لأديب من أدباء العصر هو عثمان بن ربيعة أن يقسمهم إلى طبقات متميزة في كتابه طبقات الشعراء بالأندلس، ويشير بالإنثيا إلى أنه توجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة في فاس»<sup>(129)</sup>.

ومن هنا يبدو واضحاً أن الأدب كان بخير في الأندلس منذ دخلها العرب إلا إن أخباره لم تصلنا مفصلة، «وقد ضاع أكثره واندثر مع مرور الأيام والأحداث. ولاريب في أن تلك القصائد المندثرة كانت نسخة عما نعرف من شعر المشرق»<sup>(130)</sup>.

وكثير من شعراء القرن الثاني لا يمكن اعتبارهم من الأندلسيين لأنهم في الواقع من العرب الطارئین على الأندلس فهم يمثلون الثقافة المشرقية والروح الشعرية المشرقية التي لم يظهر فيها التأثير الأندلسي بعد.

«نجد في العصور الأولى في الأندلس قبل عبد الرحمن الداخل شعراً قليلاً وأدباً شحيحاً تقتضيه المناسبات أو المسامرات أو تحرك العواطف تحركاً وقتياً لسبب من الأسباب»<sup>(131)</sup>.  
«ومهما يكن فقد كانت مثل الأندلسيين في الشعر هي نفس مثل المشاركة»<sup>(132)</sup>.

وهكذا نرى أن الشعر الأندلسي طوال مراحل الغزو والفتوح وعهد الولاة حتى وفاة عبدالرحمن الداخل قد مرّ في طور تمهيدي غير ذي شأن فني يُذكر، وكان شعراً تقليدياً

(127) العمدة. ابن رشيق 15/1.

(128) عصر الدول والامارات. الأندلس، د. شوقي ضيف ص 137.

(129) فصول في الأدب الأندلسي. حكمة علي الأوسي ص 72.

(130) الشعر والبيئة في الأندلس. د. ميشال عاصي ص 52.

(131) ظهر الإسلام 100/3.

(132) الفن ومذاهبه، د. شوقي ضيف ص 417.

عادياً جداً وحتى في هذا المجال، مجال التقليد والتبعية لم تتوافر له الظروف والإمكانات اللازمة لترفعه إلى مستوى الآثار المشرقية التي سعى الشعراء في تقليدها واتباعها.

و«بقيت هذه الظاهرة التقليدية إلى أوائل القرن الحادي عشر الميلادي فبدت في شعر ابن عبدربه، ابن هانيء، ابن شهيد، ابن دراج القسطلبي وغيرهم من شعراء هذه الحقبة فأسلوبهم ومعانيهم شرقية أموية في أكثرها، فإذا مدحوا عنوا بالاستهلال والتزموا الغزل ووصفوا الفلاة والناقة والجواد وحنوا إلى البادية...»<sup>(133)</sup>.

في هذه الفترة ينظر الغرب إلى الشرق نظر الفرع إلى الأصل أو كنظرة الولد إلى أمه وكان يقتدي به، ثم إن العرب الذين هاجروا إلى الأندلس امتزجوا بسكانها امتزاجاً أفقدهم شيئاً من عروبتهم وساقهم إلى الرطانة في اللغة.

وبدأت حركة التحرر في القرن الحادي عشر (الخامس للهجرة) وقويت الشخصية الأندلسية، وأخذ الأندلسيون يُعرضون شيئاً فشيئاً عن المشاركة.... ولقد ذاع الشعر فيها ذيوعاً واسعاً جداً وانتشر في جميع الطبقات، وفي هذا الوقت فتح الخلفاء صدورهم للشعراء والأدباء في مجالس الأدب وأغدقوا عليهم الأموال، واتخذ الشعراء الشعر وسيلة للتقرب إلى الحكام وكبار القوم.

كان هذا العصر من أزهى عصور الشعر والأدب تحولت فيه بلاد الأندلس إلى طوائف «تنافس فيها الحكام في طلب العلم والأخذ بأسباب الأدب وتقريب الشعراء، بل تنافسوا في نظم الشعر، وكانوا يتراسلون فيما بينهم شعراً ويحاولون أن يعيشوا حياة شعرية<sup>(134)</sup>» ظهر في هذه الفترة أشهر شعراء الأندلس مثل ابن زيدون، ابن اللبانة، ابن الحداد، المعتمد بن عباد، ابن سارة الشنتريني، ابن شرف البرجي و... وفي عهد المرابطين أيضاً ازدهر الشعر وإنهم بذلوا العطايا للأدباء والشعراء وقد اشتهر من الشعراء ابن خفاجة، ابن الزقاق، الأعمى التطيلي، ابن بقي....

وأما الشعر في دولة الموحدين فكانت له المنزلة الرفيعة والمكانة المرموقة لدى الخلفاء، لما في جبلتهم من ميل كبير إلى العلوم والآداب ولتشجيعهم الشعراء، وبلغت الموشحات أوج كمالها في هذا العصر ومن أبرز شعرائه صفوان بن إدريس، أبو عبد الله محمد بن إدريس

(133) تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري ص797.

(134) الجامع في تاريخ الأدب العربي. حنا الفاخوري ص937.

المعروف بمرج الكحل وابن غالب البلنسي المعروف بالرصافي، إبراهيم بن سهل الإشبيلي، ومن أروع قصائده رائيته في مدح النبي (صلى الله عليه وآله) وأبو عبد الله بن الآبار القضاعي. وفي عهد بني الأحمر: «وقد أضعفت هذه الدولة الصراعات السياسية التي دارت رحاها بين أعضاء الأسرة الواحدة، وأنهكتها الحروب المستعرة دفاعاً عما بقي من أرض الأندلس ضد أطماع الإسبان في التوسع والاسترداد»<sup>(135)</sup>.

وكان تأثر الشعر بهذه الصراعات السياسية والحروب المتلاحقة كبيراً فغلب عليه طابع الاستغاثة، واستنهاض همم الملوك في دول أخرى كالمغرب وتونس لمساعدتهم في الدفاع عن الإسلام.

وقد بقي الشعر زاهياً إلى خروج العرب من هذه البلاد. وقد نضج في هذا العصر فن الزجل<sup>(136)</sup>. ومن أكبر شعراء هذا الفن لسان الدين بن الخطيب وابن زمرك الذي تتلمذ عليه وغيره من العلماء والأدباء.

تلك هي المراحل التي مرّ بها الشعر الأندلسي، فهو في جملته يتفوق على الشعر المشرقي عامة بما فيه من المعاني المبتكرة الجميلة التي يعالجها الشعراء بين الوصف البديع والكلام الرشيق والذوق الفني والافتنان في أساليب الخيال. وقد ازداد عدد الشعراء بعد القرن الحادي عشر وتضخم الإنتاج الشعري وظهرت فيه الشخصية الأندلسية والنزعة الشعبية.

---

(135) الأدب العربي في الأندلس. د: عليّ محمّد سلامة ص80.

(136) الزجل: فن من فنون الشعر العامّي نشأ وازدهر في الأندلس. ويتيح هذا الشكل من النظم تباين الأوزان وتنويع القوافي وتعدد الأجزاء التي تتكوّن منها المنظومة الزجلية غير أنه يلزم باثباع نسق واحد ينتظم فيه كلّ من الوزن والقافية وعدد الشطرات التي تتكون منها الأجزاء في إطار المنظومة الزجلية الواحدة.

## عوامل ازدهار الشعر في الأندلس

كان ازدهار الشعر ونهضته في الأندلس موضع العجب لكل باحث وناقد وإنما يرجعونه إلى عوامل متعددة منها:

- «أ - عناية الخلفاء والأمراء بالشعر وتشجيع الشعراء بكثرة العطاء.
- ب - رقى الحياة العقلية والثقافية حيث وجه الخلفاء همتهم إلى نشر العلوم والمعارف والآداب وكان الشعر أظهر مميزات العرب العقلية وأسبق أنواع الأدب ظهوراً.
- ج - منافسة بغداد وشعراء العباسيين، فراجت سوق الأدب وارتفعت منزلة الشعراء.
- د - تأثر الشعراء بالطبيعة الأندلسية الفاتنة، فظهر في شعرهم جمال الفطرة ونضارة الحضارة ورقة الخيال وجزالة البداوة وبرعوا في الوصف»<sup>(137)</sup>.
- هـ - «كثرة جمهرة العرب في الأندلس»<sup>(138)</sup>. وشدة عنايتهم باللغة العربية وآدابها.
- و - إنَّ الشعر كان «مظهر الثقافة العربية وأكثرها ذيوماً على الألسنة»<sup>(139)</sup>، وهو جزء من كيان طبيعة العربي لا يمكنه الاستغناء عنه.
- لقد ذاع الشعر بين جميع الطبقات وأقبل الناس على نظمه سواء منهم الخلفاء والأمراء والوزراء والفقهاء والحكماء والأدباء والنساء.

## مميزات وخصائص الشعر الأندلسي

تميز الشعر الأندلسي بمميزات واضحة في ألفاظه وأساليبه وفي معانيه وأخيلته وفي أغراضه وفنونه. فأما من حيث الألفاظ والأساليب، فيمتاز بما يأتي: «أ: السهولة والوضوح ب: البعد عن الغرابة والتعقيد ج - الولع بالصناعة اللفظية والمحسنات البديعية، وكان لهم فيها

(137) المثالي في اللغة العربية. عبد الجليل أحمد حماد... ص314.

(138) الأدب الأندلسي. عبد المنعم خفاجي ص307.

(139) المثالي في اللغة العربية ص313.

قدرة جعلتها من أسباب الجمال في شعرهم. د - الرقة كما في الغزل والاستعطاف وشكوى المحن والمصائب»<sup>(140)</sup>.

وأما مميزاته في معانيه وصوره وأخيلته: فقد امتاز الشعر الأندلسي فيها بما يأتي: «أ - السهولة والوضوح ب - عدم التكلف ج - البعد عن الفلسفة والمنطق د - الإبداع في الصور والأخيلة المنتزعة من طبيعة بلادهم الجميلة

هـ - الإكثار من هذه الصور بشكل ملحوظ حتى حشدت في قصائدهم حشداً.

و - الإكثار من الإشارة إلى الوقائع التاريخية ولا سيما رثاء الممالك الزائلة»<sup>(141)</sup>.

وأما خصائص الشعر الأندلسي من حيث أغراضه وفنونه: فقد تناول الأندلسيون في شعرهم جميع الموضوعات التي تناولها المشارقة من مدح وهجاء ووصف وغزل ورثاء وفخر وحماسة وتهنئة وزهد وتصوف وما إلى ذلك. إلا إنهم زادوا عليها في بعضها وقصروا عنها في بعضها الآخر لأسباب اقتضتها طبيعة بلادهم ونظام معيشتهم وطريقة تثقيفهم.

فمن الأغراض التي فاقوا فيها المشارقة<sup>(142)</sup>: الوصف ولاسيما وصف مناظر الطبيعة بجنائنها وأزهارها ومشاهد فصولها، وبلغت عنايتهم به حداً كبيراً واتسع مجاله، حتى شمل كل ما وقع تحت بصرهم. وجعلوا للوصف قصائد خاصة به، كما جعلوه حلية في مقدمة القصائد التي تنظم لأغراض أخرى وربطوا بين وصف الطبيعة وبين الأغراض الشعرية الأخرى سنذكر إنموذجاً منه في الشعر الديني خاصة في المدائح النبوية فيما بعد.

والأغراض الجديدة التي نظموا فيها:

أ - رثاء الممالك الزائلة ومنه رثاء المدن التي تسقط في أيدي الأعداء.

ب - الاستعانة بالرسول والاستغاثة به وبكبار الصحابة وحكام المسلمين لإنقاذ البلاد، وقد كثر في القرنين الثامن والتاسع حين توالى عليها غارات الإسبان. وساعد عليه ما كان يهدد البلاد من أخطار الفرنجة ومن ذلك قصيدة ابن الأبار يستغيث فيها بأبي زكريا بن أبي حفص للدفاع عن بلنسية ويقول فيها:<sup>(143)</sup>

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا \*\*\* إن السبيل إلى منجاتها درسا

(140) المثالي في اللغة العربية ص316. الأدب الأندلسي عبدالمنعم خفاجي ص308.

(141) المصادر السابقة ص315 وص310.

(142) يتصرف من المصادر السابقة.

(143) ديوان ابن الأبار ص10، درس: ذهبت معاملته.

- وهب لها من عزيز النصر ما التمتست \*\*\* فلم يزل منك عزّ النصر ملتتمسا.
- ج - نظم الفنون والعلوم والقراءات والعروض والبديع والفقه، وقد أمعنوا في ذلك أكثر من المشاركة وذلك لشدة عنايتهم بالعلوم وحرصهم على استظهارها.
- ومن الأغراض التي قصر فيها الأندلسيون على المشاركة ولم يجاروهم فيها:
- أ - «شعر الزهد لرخاء حياة الأندلس وسهولتها وميل الأندلسيين إلى التمتع بما فيها من جمال.
- ب - والشعر الفلسفي: لم يعنوا به عناية أهل المشرق لبعدهم عن الفلسفة وانصراف الشعراء إلى حياة اللهو والغناء»<sup>(144)</sup>.
- ج - «والشعر المشتتل على الحكم التي تسير مسير الأمثال»<sup>(145)</sup>.

---

(144) المثالي في اللغة ص315.

(145) الأدب الأندلسي عبدالمعتم خفاجي ص309.

## أوزان الشعر وقوافيه

«سار شعراء الأندلس في أوزان شعرهم وقوافيه كما سار شعراء المشرق يؤثرون من بينها ما غلبت عليه الأنغام وعندما شاع الغناء وتمكن سلطانه منهم واحتاجوا بسببه إلى الأوزان القصيرة والأشعار السهلة ابتدعوا في أوزانه وقوافيه ما لم يكن عند أهل المشرق وهو الموشحات<sup>(146)</sup>».

### الفرق بين الشعر الأندلسي والشعر العباسي

لم يزل الشعر الأندلسي في حاجة ماسة إلى جهد الباحثين وجهادهم للكشف عن جوانبه ونواحيه الغامضة حتى اليوم.

وهذا الشعر «فيه رقة وجمال وفيه خيال لطيف وصور برّاقة زاهية، ولكن ليس فيه من المعاني الدقيقة ما في الشعر العباسي، لأن أصحابه عنوا بتزيين ألفاظه وتوشية أوصافه والتنوّق في قوالبه أكثر من عنايتهم بتصيّد معانيه والغوص في قراراتها البعيدة، فكانهم أرادوا أن يتغنوا فنظموه صالحاً للغناء».

وشيء آخر جعل الشعر الأندلسي دون الشعر العباسي في دقة المعنى وهو أن الأندلسيين لم تتسع صدورهم لإقبال الفلسفة والمنطق كما اتسعت صدور المشارقة فلم يتثقف بهما شعراؤهم تثقف شعراء بني العباس<sup>(147)</sup>.

«وليست لغة الأندلسيين محكمة البناء كلغة المشارقة؛ وذلك لبعد صقعهم عن البادية ووجودهم في بيئة خالصة العجمة من الشمال إلى الجنوب، ثم إن الجيل الذي نشأ هناك لم يكن عربياً صافياً وقد كان فيه جماعة استعربوا ونظموا الشعر وهم فرنجة خلص<sup>(148)</sup>».

(146) المثالي في اللغة ص316.

(147) أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث. بطرس البستاني ص39/3.

ظلّ الأندلسيون يولّون وجوههم شطر المشرق في أكثر شؤونهم لأنه مطلع أنوارهم ومهد حضارتهم ولأنهم يرون في أهله المثل الأعلى الذي ينبغي أن يقتدى به. وإذا كان أهل الأندلس قد جعلوا المشاركة مثلهم الأعلى «فإن ذلك لا يعني أن أدبهم صورة جامدة أو مثال جاف أو تقليد أعمى، فلعلّ في الخيال الرائع نعثر عليه في الشعر الأندلسي والصورة البرّاقة التي نصادفها والمعاني الجميلة التي نجدّها والألفاظ الرشيقة التي نلتقي بها تقودنا إلى أهمية الشعر الأندلسي وما أضافه هذا التراث المبدع من إشراق إلى التراث العربي حتى أن بعض المستشرقين يسمي الأدب الأندلسي كمّ السترة العربية»<sup>(149)</sup>. وأيضاً أن الأندلسيين طوروا في أشكال الأدب الأندلسي بل أضافوا وجدّدوا في مضامينه التي يغلب عليها سيماء الحضارة والأناقة المستمدتين من بيئتهم الطبيعية والاجتماعية والحضارية.

الفصل الثاني: أطوار الشعر الأندلسي

### أطوار الشعر الأندلسي

نلاحظ «أن الشعر الأندلسي بوجه عام، قد مرّ بأطوار ثلاثة: الطور الأوّل: وهو يمثل شعر التقليد الصرف لأدب المشرق»<sup>(150)</sup> نحافيه الأندلسيون نحو المشاركة طيلة العهد الأموي. «وتستغرق نحواً من ثلاثة قرون، إنّ الشعراء والكتاب الذين ظهرت في هذه الفترة كانوا شديدي الصلة بأرض المشرق التي انطلقوا منها بينهم الحجازي واليمني والشامي والعراقي وكلهم كانوا يحثّون إلى الربوع التي فارقوها، ولقد ظهر التقليد في كل شيء في المعاني والأساليب والأخيلة والصور والموضوعات، وراج المديح والهجاء والثناء والغزل والخمریات.

(148) المصدر السابق ص40.

(149) اتجاهات الشعر الأندلسي الى نهاية القرن الثالث الهجري ص121.

(150) في الأدب الأندلسي، د. جودت الركابي ص101.

ولما ظهر الجيل الثاني اقتفى شعراؤه خطى من سلفهم لأنهم كانوا شديدي التأثير بهم، ولم تكن الفترة الزمنية كافية لأن تجعلهم يذوبون في البيئة الجديدة ويتأثرون بطبيعة الأندلس الجميلة فقد ظلوا يحسون أنهم غرباء، وظلت صلتهم بالمشاركة وحنينهم إلى مساقط رؤوس آبائهم على أشد فإذا بهم ينسجون على منوالهم في الأوزان والأغراض والمعاني والأساليب لكنهم يقصرون عنهم تقليد المقلد عن المبدع. نرى ذلك في شعر ابن عبدربه وابن هانيء وابن دراج وابن شهيد.

وإنه لمن مقتضيات ناموس التطور أن لا يتجدد الأدب الأندلسي طفرة واحدة ولكن ليس طبيعياً أن يظل تقليدياً بثلاثة قرون تقريباً<sup>(151)</sup>».

**الطور الثاني:** مرحلة الانتقال ظهرت فيها معالم تجديدية لكن التقليد بقي مسيطراً عليها. هذه المرحلة «هي مرحلة انتقال من التقليد إلى التجديد، أدرك الأندلسيون خلالها شخصيتهم وتحقق لهم التأثير الفعلي بالبيئة الأندلسية وأنماط الحياة فيها، كما تعمقت جذور الثقافة في أراضهم وهكذا ظهرت ملامح التجديد في كل من الشعر والنثر من غير أن يزول التقليد زوالاً نهائياً. ثم أن تقليد الأندلسيين للمشاركة المجددين لا يخلو من تجديد.

وأبرز المظاهر التجديدية في القرن الخامس الهجري وأوائل القرن السادس تتجلى في:

أ - العناية بالشكل: فصرف الشعراء اهتمامهم إلى الموسيقى والألفاظ ورشاقة التعبير وخفة الوزن حتى بات الشعر الأندلسي في هذه المرحلة يمتاز عن شعر المشاركة بهذه الخفة وإشراق الديباجة.

ب - الإقليمية: إنّ الأندلسيين من الأجيال المولدة، نسوا أوطان آبائهم وأجدادهم، وراحوا يصفون بيئتهم وما فيها من خصب وجمال ومستحدثات الحضارة، وهكذا سادت الشعر الأندلسي إقليمية واضحة المعالم، فإذا ينفع الشاعر أشد الإنفعال لمرأى الأرض التي ترعرع عليها.

ج - الموشحات: فإنّها من اختراع أهل الأندلس، وأنها شعر جديد يختلف تمام الاختلاف عن القصيدة الكلاسيكية في أوزانه وقوافيه وشروط تركيبه<sup>(152)</sup> سنذكرها على الإجمال في نهاية هذا البحث.

(151) المفيد في الأدب العربي 653/1.

(152) بتصرف من المفيد في الأدب العربي 654-655/1.

الطور الثالث: مرحلة التجديد: هي المرحلة الأخيرة من نهضة الأدب الأندلسي، تحرر فيها أدباء الأندلس من أهل المشرق ليدعوا أدباً نابعاً من حياتهم، «فقد تحرر الشعر من المشاركة كل التحرر وصار له أساليبه وفنونه المستمدة من الحياة الأندلسية الخاصة كشعر الموشحات، وشعر الوصف والشعر الوجداني ورثاء الممالك الزائلة والاستنجاد»<sup>(153)</sup>. لذلك نستطيع أن نقول: إن الأدب العربي كالنهر الواحد تتشابه مياهه عند منبعه وعند مصبه ولكنه يكتسب خصائص إضافية من كل بيئة يمر بها ويتفاعل معها.

### الموشحات

الموشح فن من فنون الشعر العربي، ولاريب فيه أنه فن أدبي خالص ظهر في الأندلس في القرن التاسع الميلادي، و«يختلف عن غيره، من ألوان النظم، بالتزامه قواعد معينة من حيث التقفية وبخروجه أحياناً على الأعاريض الخليلية وبخلوه من الوزن الشعري وباستعماله اللغة الدارجة والعجمية في بعض أجزائه وباتصاله الوثيق بالغناء»<sup>(154)</sup>.

وكلمة موشح اشتقت، على الأرجح، من لفظة الوشاح، ومعناها حلّى النساء. جاء في لسان العرب مادة وشح: «الوشاح كله حلّى النساء، كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما، معطوف أحدهما على الآخر...»<sup>(155)</sup>.

«وفي الاصطلاح الأدبي نوع من النظم يتألف من فقرات تسمى أغصاناً وهي عبارة عن أشطار أبيات شعرية بعدد معين وقافية واحدة، ويعقب كل فقرة قفل مكون من أشطار في نفس البحر ولكنه بقافية مختلفة تلزم في كل الأقفال، أما الأغصان فقوافيها قد تختلف ولكنها لا تكون إلا من نفس البحر»<sup>(156)</sup>.

عرّف ابن سناء الملك الموشح فقال: «الموشح كلام منظوم على وزن مخصوص بقواف مختلفة، وهو يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات، ويقال له التام وفي الأقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات ويقال له الأقرع فالتام ما ابتدئ فيه بالأقفال والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات»<sup>(157)</sup>.

(153) المصدر السابق 656/1.

(154) فن التوشيح. مصطفى عوض الكريم ص17.

(155) لسان العرب، مادة وشح.

(156) فصول في الأدب الأندلسي. حكمة علي الأوسي ص122.

(157) دار الطراز في عمل الموشحات. ص25.

أجزاء الموشح: (158) 1- المطلع أو المذهب 2- الدور 3- السمط 4- القفل

5- البيت 6- الغصن 7- الخرجة.

1- المطلع أو المذهب: هو المجموعة الأولى من أشطر الموشحة ويتكون عادة من شطرين وقافيته تلتزم في كل أفعال الموشحة. ليس المطلع ركناً أساسياً في الموشح ذلك لأنه يجوز حذفه، فإن وجد في الموشح فهو موشح تام وإن حذف فهو موشح أقرع.

2- الدور: هو مجموعة الأبيات التي تلي المطلع في الموشح التام وتكون من نفس بحر المطلع ولكن بقافية مختلفة عن قافيته تلتزم في أشطر الدور الواحد.

3- السمط: هو كل شطر من أشطر الدور، وقد يكون الشطر مفرداً، أي مكوناً من فقرة واحدة وقد يكون مركباً من فقرتين أو أكثر.

4- القفل: هو ما يلي الدور مباشرة، وهو شبيه بالمطلع وزناً وقافية وتركيباً.

5- البيت: يتألف من الدور والقفل في الموشح.

6- الغصن: هو كل شطر من أشطر المطلع أو القفل أو الخرجة. وتتساوى الأغصان في الموشح عدداً وتركيباً وقافية.

7- الخرجة: هي آخر قفل في الموشح وهي أهم جزء فيه، وبدونها وبدون الأقفال لا يستوفي الموشح شروطه.

المطلع:	غصن	غصن
ي سمط		
×		
- سمط		
×		
١ سمط		
ي		
×		
×		
-		
×		
×		
١		

الدور:

البيت:

القفل: غصن غصن

البيت الآخر: الخرجة

أغراض الموشحات: «كانت الموشحات في أول الأمر وقفاً على الغناء فكانت تعالج موضوعات الغزل والخمریات ووصف الطبيعة، وما لبثت أن صارت مطية ذلولاً للإمداح حينما استغلها الوشاحون للوصول إلى عطايا الملوك والأمراء»<sup>(159)</sup>.

ومما هو شديد الصلة بهذا الموضوع مديح النبي (صلى الله عليه وآله) الذي أصبح في الشعر التقليدي فناً قائماً بذاته «وهو إن كان يشبه المدح في صورته إلا أنه يخالفه في روحه لما يتميز به من شعور صادق وإيمان عميق ولخلوه من الملق والنفاق»<sup>(160)</sup>.

ونذكر في هذا الكتاب بعض الموشحات في المديح النبوي. وقد أكثر شعراء الأندلس من موشحات المديح النبوي: ومن هؤلاء الشعراء ابن الخطيب وابن زمرك، يقول ابن زمرك في موشحته في مدح المصطفى (صلى الله عليه وآله): مطلعها<sup>(161)</sup>.

لو ترجع الأيام بعد الذهاب \*\*\* لم تقدح الأيام ذكرى حبيب  
ومنها:

هل يحمل الزاد لدار الكريم \*\*\* والمصطفى الهادي شفيع مطاع  
فجاهه زخر الفقير العديم \*\*\* وحبه زادي ونعم المتاع  
والله سماء الرؤوف الرحيم \*\*\* فجاره المكفول ما إن يضاع  
عسى شفيع الناس يوم الحساب \*\*\* وملجأ الخلق لرفع الكروب  
يلحقني منه قبول مجاب \*\*\* يشفع لي في موبات الذنوب  
وفي موشحة أخرى يقول: مطلعها<sup>(162)</sup>:

نسيم غرناطة عليل \*\*\* لكنه يُبرىء العليل  
فالنصر والسعد لا يزول \*\*\* لأنه ثابت اصيل

(159) فن التوشيح ص33.

(160) خط سير الأدب ص317.

(161) أزهار الرياض 2/205. ديوان ابن زمرك ص161. نفع الطيب 10/140.

(162) أزهار الرياض 2/179 - ديوان ابن زمرك ص176.

سعد وأنصاره قبيل \*\*\* آباؤه عترة الرسول

لابد أن نذكر «أن الموشحات الدينية والصوفية لم تظهر إلا في مرحلة متأخرة نسبياً، هي مرحلة أخريات القرن السادس الهجري وساعد على انتشارها فيما نرجح ما أخذت تتعرض له الأندلس من تفكك وغزو. ومثل هذه الأجواء القلقة تلهب الحس الديني وتدفع الناس إلى التفاعل مع النصوص المؤلفة حول هذا المعنى»<sup>(163)</sup>.

من النصوص التي يذكرها المقري قول ابن الصباغ<sup>(164)</sup>.

لأحمد بهجة كالقمر الزاهر في أبرج السعد \*\*\* علاؤها يسبي بنوره الباهر كل سنا مجد

\*\*\*

---

(163) الموشحات الأندلسية، د. محمد زكريا عناني ص47.

(164) أزهار الرياض 230/2.



## الشعر الديني

نرى تحت تلك المحن السياسية والاجتماعية التي تعرّضت لها الأندلس ظهور الشعر الديني. وفي عصر الموحدين قد ازدهر بشتى صنوفه وألوانه وصار من أوسع الموضوعات التي تناولها الشعراء، واتسعت موضوعاته وتنوعت وتوسعت مجالاته لتوفر عوامل مشجعة وأسباب دافعة يتعلق بعضها بالطابع العام بالحكومة - خاصة في دولتي المرابطين والموحدين - «وقد يتصل بعضها الآخر بالأوضاع العامة للمجتمع الإسلامي في الأندلس وما وقع فيها من حروب وفتن أدت في بعض الأوقات إلى سقوط مدن أندلسية إسلامية وضياعها، إلى ما هناك من أمور ولدت لدى الفرد الأندلسي قلقاً نفسياً وإحساساً بالخوف من العقاب الإلهي والخشية من المصير المريع، فكان الأندلسي لا يفتأ يبحث عن راحة نفسية واستقرار وجداني، وليس غير الدين سبيل يوفر له تلك الراحة النفسية ويوشحه بعاطفة أخلاقية نبيلة، تنجيه من طيش الحياة وعواصفها، وليس غير الشعر متكاً للتنفيس عن تلك المشاعر المحبوسة والأحاسيس المخزونة فكانت حصيلة ذلك كله ثروة كبيرة من تراث الشعر الديني»<sup>(165)</sup>.

لذلك كان الاضطراب النفسي الذي يعانيه أفراد الشعب من أثر النكبات والحروب المختلفة لذا حاول الناس الهروب من الحياة، «وهذه مسألة طبيعية تظهر بوضوح في المجتمعات من وقت لآخر عند اضطراب أحوالها. وعادة ينصرف الناس تبعاً لميولهم المختلفة إلى أحد طريقتين متباينتين : 1- طريق الدين 2- طريق اللهو والعبث وهذا هو السبب في نشاط الشعر الديني»<sup>(166)</sup>.

لقد ازدهر هذا اللون من الشعر ازدهاراً كبيراً، ويمكن تقسيم الشعر الديني إلى ثلاثة أقسام: 1- المدح النبوي 2- الزهد 3- التصوف.

(165) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، د. محمد مجيد السعيد ص 257.

(166) تاريخ الشعر العربي. 23/4.

ونحن نريد في هذا الكتاب أن نركّز على هذا الجانب الديني بما فيه من المدائح النبوية، ونشير إلى بعض شعرائها في الأندلس.

إن المدائح النبوية ظهرت في الأندلس قبل عصر الموحدين، وأقدم نص نبوي وصل إلينا عن شعراء النبويات بالغرب الإسلامي هو مقطوعة للفقيه الأندلسي الشهير عبد الملك بن حبيب السلمي المتوفى 238 هـ. يقول: (167)

لله درُّ عصابة صاحبتها \*\*\* نحو المدينة تقطع الفلوات  
ومهامه قد جُبَّتْها ومفاوز \*\*\* مازلت أذكرها بطول حياتي  
حتى أتينا القبر قبر محمد \*\*\* خص الإله محمداً بصلات  
خير البرية والنبي المصطفى \*\*\* هادي الورى لطرائق لنجاة  
لما وقفت بقربه لسلامه \*\*\* جادت دموعي وأكف العبرات  
ورأيت حُجْرته وموضعه الذي \*\*\* قد كان يدعو فيه في الخلوات  
مع روضة قد قال فيها إنها \*\*\* مشتقة من روضة الجنات  
صلى الإله على النبي المصطفى \*\*\* هادي البرية كاشف الكربات

فقد ذكر المقرئ له هذه القصيدة التي يمدح فيها الرسول (صلى الله عليه وآله) ويتشوق إلى زيارة قبره الكريم. ولكن الانصاف يقتضي أن نذكر جهود شعراء الموحدين في نمو هذا الفن وازدهاره بدرجة كبيرة، فقد توسعوا في موضوعاته وبرعوا في تناوله.

يرى صاحب كتاب الشعر في عهد الموحدين والمرابطين أن «بداية القرن السابع الهجري كان مولد هذا اللون من الشعر الديني المتميز بملاحم وسمات معيّنة عما سبقه من شعر يتحرك ضمن هذا الأفق فظهرت القصيدة الطويلة في مدح الرسول (صلى الله عليه وآله) وتعداد مناقبه ومعجزاته وقصيدة التبرك بالأثر النبوي» (168).

وأما قصيدة التشوق إلى ضريحه وإلى الديار الحجازية فقد كانت معروفة في الأندلس منذ زمن طويل.

(167) نفح الطيب 55-56/1.

(168) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ص 269.

ولكن يرفض هذا الرأي - وهو أن تكون المدائح النبوية وليدة هذا العصر - الدكتور سعد عيسى في كتابه الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، ويعتقد «أن المدائح النبوية لم تكن فناً جديداً ولد في هذا العصر بل ظهر قبل عصر الموحدين وعالجه بعض الشعراء»<sup>(169)</sup>.

وأيضاً يذكر ابن عذارى «أن ابن القطان ألف للخليفة المرتضى الموحدي كتاب «الموسوعات» وفيه قصائد متخيرات في فضائل المولد النبوي أوفىما يخص المولد الكريم»<sup>(170)</sup>. وهذا يفند مايراه مؤلف كتاب "الشعر في عهد المرابطين و..." من أن قصيدة المولد النبوي لم تعرفها الأندلس خلال هذه الفترة وإنما ظهرت متأخرة بعد القرن السابع الهجري.

وشكلت هذه المدائح ظاهرة في القرن الثامن حيث كتب فيها معظم شعرائها قصائد مختلفة الأنواع فكان منها المعشرات والمخمسات والمسمطات والقصائد والمقطعات والمولديات والبيديعات ومن المدائح وصف النعال والحجازيات.

ويعود السبب في شيوع هذه الظاهرة إلى تضافر كل من السلطة الحاكمة والمجتمع والشعراء في العناية بالمدائح النبوية خلال الاحتفال بالمولد الشريف وغيره من المناسبات الدينية...

قبل الدخول في هذه المسائل علينا أن نذكر تعريف المدح والمدائح النبوية والعوامل التي ساعدت على ظهورها.

---

(169) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين 195.

(170) البيان المغرب 453/3.

## المدح في الشعر العربي

إنّ الفوارق الاجتماعية بين الإنسان وأخيه الإنسان الآخر وشعوره باختلاف المواهب والقيم عند الناس واتصاف بعضهم بصفات بارزة مثل القدرة والثروة والجرأة والعلم والحكمة والإيمان والتقوى قد أوجدت الأرضية المناسبة لنشأة فن المديح في أدب الأمم المختلفة ومن بينهم العرب بنظامهم القبلي وفوارقهم الطبقية.

المدح: فن من فنون الشعر العربي «يقوم على عاطفة الإعجاب ويعبّر عن شعور - تجاه فرد من الأفراد أو جماعة أو هيئة - ملك على الشاعر إحساسه وأثار في نفسه روح الإكبار والاحترام لمن جعله موضع مديحه»<sup>(171)</sup>.

و«يعتبر المديح من أبرز الفنون الشعرية على الإطلاق ويرافق قيثاره الشعر العربي منذ وجوده الأول، ولم يغيب في يوم من الأيام عن مسرح الشعر بل ظل هو الأصل وسائر الفنون الشعرية هي الفروع، يقبل عليه الشعراء ويتعهدونه بالعناية ويصرفون فيه جلّ اهتمامهم، وكأنما بات مستقراً في أذهانهم أن الشاعر خلق ليكون مداحاً»<sup>(172)</sup>.

والمدح وصف لأخلاق الممدوح وإشادة بفضائله وبيان لميزاته وحمد لأفعاله. وقد ذهب به شعراء العربية كل مذهب للدواعي القوية التي تدفع إليه.

وقد يمدح الشاعر الممدوح رغبة في المال وقد يمدح خوفاً من بطش وغضب، أو يمدح لسبب سياسي وقد يمدح لسبب ديني كما هو معروف في مدح أهل البيت عليهم السلام ومدح بعض رؤساء المذاهب الدينية، وربما يمدح الممدوح إعجاباً به دون أن يطمح من وراء مدحه إلى مال أو جزاء. وهكذا تنوع المديح وتنوع دواعيه، وهناك صلة وثيقة بين الدين والأدب حتى عدّ الدين مادة خصبة لتشحيذ ذوق الأدباء والشعراء.

(171) المفيد في الأدب العربي 638/2.

(172) المصدر السابق 641/2.

- المدائح النبوية
- نشأة المدح النبوي وتطوره
- عوامل نضج وازدهار المديح النبوي
- أنواع المدائح النبوية
- قصيدة التشويق
- المولديات
- البديعيات
- الفروق بين المدائح النبوية



## المدائح النبوية

المدائح النبوية نوع من المدح وهي فن عرف في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو جزء من الشعر الديني الذي يعدّ أقدم ألوان الشعر عند الأمم جميعاً.

و«يلتقي الدين والأدب في هدفهما وهو تقويم النفس الإنسانية والمجتمع الإنساني وإشباع الحاجة الإنسانية إلى الخير والجمال، وقد خدم الأدب العقيدة منذ القدم فسجل دعوتها وبث شعائرها بين البشر وشرح مضامينها وشاركها في بث الفضائل في نفوس الناس وترغيبهم بالأخلاق الحسنة وتنفيرهم من الرذائل»<sup>(173)</sup>.

ومن هنا جاءت المدائح النبوية فناً أصيلاً من فنون الشعر الديني، والمديح النبوي يتعلق بشخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) فشخصيته اجتذبت قلوب المسلمين وغيرهم ليمدحوه لعظمتها وسموها، وفي ذلك يقول المقرئ:

«والأمداح النبوية بحر لا ساحل له وفيها النظم والنثر، زاده الله شرفاً وحباً أفضل الصلاة وأزكى السلام»<sup>(174)</sup>.

فكان المديح النبوي الفن الشعري الصادق الذي لا يخالطه رياء ولا يشوبه ريب وكان المديح النبوي المضمون السامي لشعر انتشر انتشاراً كبيراً بين الناس.

لم تصبح المدائح النبوية ظاهرة متفردة إلا بعد مدة طويلة من الزمن ولم يستقر ويتكامل إلا في العصر المملوكي أو قبله بقليل؛ إذ أضحت له قواعده وأصوله وتقاليده المعنوية والفنية.

ومن الطبيعي «أن يتغنى شعراء الأندلس بالمدائح النبوية ومثلهم في ذلك مثل الشعراء في جميع البلدان الإسلامية، إذ هو المثل الكامل لكل مسلم.

(173) المدائح النبوية د. محمود سالم محمد ص12.

(174) نفح الطيب 359/10.

وقد أخذت هذه المداخل تتكاثر في الأندلس منذ عصر ملوك الطوائف الذي أصبحت فيه الأندلس دولا وإمارات كثيرة؛ مما جعل نصارى الشمال ينشطون لاسترداد الأندلس واستردوا طليطلة وبعض الحصون والقلاع، وفرضوا على أمراء الطوائف المتنازحين إتاوات كانوا يؤدونها لهم خائعين وهو ما جعل غير شاعر أندلسي يفرع إلى مديح الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) آملا أن تستمد الأندلس منه الأيدي والقوة في نضال أعدائها وأعداء الدين الحنيف، واتسع هذا اللون من المدح منذ القرن السادس الهجري حتى أصبح المديح النبوي غرضاً كبيراً من أغراض الشعر الأندلسي». (175).

## نشأة المدح النبوي وتطوره

قبل أن نتطرق إلى دراسة المدائح النبوية في الأندلس لابد أن نلقي الضوء على نشأة المدائح النبوية وتطورها عبر العصور لأن هذا الفن الشعري كأي فن آخر قد اجتاز مراحل مختلفة حتى وصل إلى هذه الفترة.

ذكرنا آنفاً أن هناك صلة وثيقة بين الدين والأدب بحيث يعدّ الدين مادة خصبة لشحن ذوق الأدباء والشعراء. وحينما بعث النبي (صلى الله عليه وآله) اتجهت إليه أنظار العرب وتوجه بعض الشعراء إلى مدحه (صلى الله عليه وآله).

«ومن هنا نشأ المدح النبوي واقترب عن غيره من ألوان المدح لأنه مرتبط بذات النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله)، والنبي (صلى الله عليه وآله) يختلف عن غيره من البشر»<sup>(176)</sup>. فشخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) شغلت العرب وبهرتهم ولذا إتجه الشعراء إليه بالمدح كما فعل الأعشى وغيره من شعراء الجاهلية.

«ولم يكن مديح الشعراء زمن البعثة مديحاً دينياً محضاً وإن ظهرت فيه السمات الدينية في حين أن المدائح النبوية هي شعر ديني خالص امتزج بنفس الشاعر وبما انعكس من أحوال العصر عليها»<sup>(177)</sup> وفي ذلك جاء في بعض الكتب: «ومديح النبي (صلى الله عليه وآله) فن قديم ظهر مع الرسول وصاحب ولادته وبعثته ودعوته وجهاده، وكتب الأدب والسيرة تذكر أن التبشير الأولى لهذا الأدب ظهرت في إطار تلك الهواتف التي يسمعها الناس قبل ولادة النبي (صلى الله عليه وآله)»<sup>(178)</sup>.

ويرى زكي مبارك: «أن المدائح النبوية تمتاز بعدد شمائل النبي (صلى الله عليه وآله) وسرد ما في الرسالة من المحاسن الباقية ودفع ما وصم به الرسول من النقائص والعيوب، وهي فوق

(176) المدائح النبوية د. محمود سالم محمد 48.

(177) المصدر السابق ص 129.

(178) بردة البوصيري بالمغرب والأندلس ص 25.

هذا كله تقال وتنشد تقرباً إلى الله تعالى وهي عند الصوفية من جملة الأوراد، ويعتقد بأن المدح الذي جرى على لسان كعب بن زهير والأعشى لايزيد شيئاً عن غيره من المدح الذي جرى في ذلك العهد موجّهاً إلى الملوك»<sup>(179)</sup>.

وأيضاً يذكر «أن قصائد الكميت بن زيد في مدح آل البيت نواة لهذا الفن الذي أكثر منه المولدون، ويعتقد أن البوصيري هو الذي ابتكر هذا النوع من المدح وبسطه وأطال فيه القصيدة»<sup>(180)</sup>.

فكان مديح النبيّ الكريم (صلى الله عليه وآله) في حياته حباً به وإعجاباً بشمائله ونصرة لرسالته، وظلت دوافع المديح النبوي هذه عند الشعراء بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)، وزادت على ذلك فضل الشعراء يمدحونه إلى يومنا هذا وكأنه حيّ يسمع ويُجزي. «ومن المعلوم أن ذكر شمائل الميت يسمى رثاءً لكنه في حق الرسول (صلى الله عليه وآله) يسمى مدحاً لأنه موصول الحياة يخاطبه المحبون كما يخاطبون الأحياء»<sup>(181)</sup>. وأيضاً يراد بالمدائح النبوية التقرب إلى الله تعالى بنشر محاسن الدين والثناء على الرسول (صلى الله عليه وآله).

وفي الواقع أن هذه المدائح كانت في ابتداء أمرها تجري على الطرائق الجاهلية «يعني كان في بدايته قسماً من المديح العام ولكنه انفرد عنه لأنه مخصّص لسيد البشر ولأن الممدوح يفترق عن عامة الناس، ولأن كل ما يرد في المدحة النبوية يلتزم نهجاً خاصاً في التأدب والسمو»<sup>(182)</sup>.

لذلك نرى كل الشعراء توجهوا إليه بالمدح على طريقتهم التي اعتادوها في مخاطبة ساداتهم وقاداتهم فكانت جل معانيهم مما يقال في أي إنسان وليست مما يختص به سيد الناس وهاديهم، ويعتبر هذا النوع من الشعر، من المديح النبوي، لأنه قيل في النبيّ (صلى الله عليه وآله) وما أثنى عليه لكنه لم يكن يقصد به أن يكون فناً شعرياً مستقلاً وإنما مدح به الرسول قبل أن يتضح في أذهان معظم الشعراء مفهوم النبوة فبقي مدحهم له مدحاً تقليدياً يقارب ما يمدح به سادة القوم وعظمائهم.

(179) الموازنة بين الشعراء ص 150-151.

(180) المصدر السابق ص 151.

(181) معجم أعلام شعراء المدح النبوي، د. محمد أحمد درنيقة ص 31.

(182) المدائح النبوية. د. محمود سالم محمد ص 57.

ومن جهة أخرى فإن الشعر الذي مدح به النبيّ (صلى الله عليه وآله) في زمن البعثة يفترق عن باقي المدح النبوي لأنه قيل قبل وفاة الرسول فلم تنتم له المفارقة بين المديح والثناء. وكانت دواعيه حية حاضرة تختلف عن دواعي المديح النبوي الذي جاء بعد ذلك.

وقد نزع شعراء المديح النبوي في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) والخلفاء من بعده نزعيتين مختلفتين: التقليدي المحض والتقليدي الديني.

فبعض الشعراء الذين لم يكونوا يعرفون شيئاً كثيراً عن الإسلام والنبوة ولم يكونوا يعرفون شخصية النبيّ (صلى الله عليه وآله) الدينية بل سمعوا بعض صفاته العظيمة وأعماله الميمونة توجهوا إليه بالمدح على طريقتهم الجاهلية التي اعتادوها في مخاطبة ساداتهم دون أن يتطرقوا إلى المفاهيم الدينية والقيم الإسلامية، ويعدّ الأعشى من هذه الفئة، وكان هناك بعض آخر من الشعراء كان لمدحهم طابع ديني إسلامي ومدحوا النبيّ (صلى الله عليه وآله) متأثرين بالإسلام ومفاهيمه، ومزجوا في مديحهم بين المفاهيم الجديدة وبين ما كانوا عليه من القيم الجاهلية.

ومن هؤلاء الشعراء كعب بن زهير، حسان بن ثابت، عبدالله بن رواحة والنابعة الجعدي، فقدّموا لمن بعدهم طريقة مدح النبيّ (صلى الله عليه وآله) وكثيراً من المعاني والتعابير التي يستخدمها الشعراء إلى يومنا هذا، فأصبحت بعض القصائد إنموذجاً يُتبع في نظم المدح النبوي كلامية كعب بن زهير وهمزية حسان بن ثابت.

وفي العهد الأموي عادت الخصومات بين العرب إلى شبه ما كانت عليه في الجاهلية (كان الصراع صراعاً حول الخلافة). و«هناك أحزاب تتحارب على صعيدي السيف واللسان ولكل حزب شعراء ينطقون باسمه ويمدحون زعماءه ويروجون سياستهم ويهجون خصومه<sup>(183)</sup>» وكل حزب حاول أن يجد لمطالبه السياسية سنداً دينياً يؤيد حقه في الخلافة، وهكذا ظهر اسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأقواله في أحاديث هذه الأحزاب وفي شعر شعرائها. وبفعل هذه الأحداث تحول المديح من جديد إلى أداة للتكسب واشتدت المفاخرات بين القبائل وشعرائها وهكذا كان الشعراء يتفاخرون بانتسابهم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) مهما ابتعد هذا النسب.

ولكن هذا الأمر لم يمنع أن يسجل بعض الشعراء عواطفهم الدينية ومحبتهم الخالصة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فهؤلاء الشعراء لم ينحازوا إلى فئة معينة، لذلك لم يكن مديحهم

للنبي (صلى الله عليه وآله) منطلقاً من وجهة نظر حزب معين، ولا انتصاراً لمذهب سياسي، مثل قول النابغة الجعدي. وهو شاعر مخضرم صحابي من المعمرين - الذي يذكر فضل رسول الله (صلى الله عليه وآله) على أمته (184):

حتى أتى أحمد الفرقان يقرؤه \*\*\* فينا وكنا بغيب الأمر جهّالا  
فالحمد لله اذ لم يأتني أجلي \*\*\* حتى لبست من الإسلام سربالا  
يا ابن الحيا أنني لولا الإله وما \*\*\* قال الرسول لقد أنسيك الخالا  
وأهم ما يطالعنا في المديح النبوي في هذا العصر هو هاشميات الكميت التي انتصر فيها لحق الهاشميين في الخلافة ومدحهم فيها فذكر فضائلهم وأحقيتهم في الخلافة وجعل في قصائده مناظرات مثيرة في حقوق الهاشميين واعتمد فيها على الإقناع العقلي.  
لذلك نرى أول ما مدح به الهاشميين هو انتسابهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهذا ما جعله يمدح الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله). مع ذلك إن الكميت لم ينشد قصائده من أجل مدح رسول الله (صلى الله عليه وآله) خاصة إنما كان مديحه للرسول (صلى الله عليه وآله) مما استدعاه مدحه لآله (عليهم السلام)، لكنه لا يمدح آل البيت (عليهم السلام) لذواتهم فقط وإنما يعلل مدحه لهم بقرابتهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله).

مع هذا لانجد «في هذا العصر قصائد خاصة في المديح النبوي، وكان المديح النبوي يأتي في أثناء قصائد التشيع أو قصائد الفخر أو عند المقارنة، ولولا وجود الكميت لما بقي من ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في شعر العصر إلا ظلال قليلة تكاد تكون انقطاعاً لما كان عليه المديح النبوي في عصر البعثة النبوية» (185).

وورد في كتاب بردة البوصيري بالمغرب والأندلس: «بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) وانقضاء عهد الصحابة لم يعد هناك شعر في المديح النبوي بالمعنى الصحيح، وكل ما هناك عبارة من بكائيات أوجدتها الظروف السياسية والتحويلات الاجتماعية والتاريخية التي عرفها العالم الإسلامي... فظهرت الشيعة بأمداحها لآل البيت (عليهم السلام) ومدائح أهل السنة التي لا تقل عن سابقتها أسفاً ومكابدة، ثم ماروجه بعد ذلك الصوفية على السنة المريدين والأتباع من أشعار امتزج فيها العشق الصوفي بالحب الإلهي والمديح النبوي.

(184) شعر النابغة الجعدي ص 101.

(185) المدائح النبوية. د. محمود سالم محمد ص 87.

غير أنه يمكن أن نستثنى من شعراء رعييل ما بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) وانقضاء عهد الصحابة جماعة من الشعراء أخلصوا في مدحهم للرسول (صلى الله عليه وآله) والتغني بذاته الكريمة وسيرته العطرة، ولعل من القصائد التي عدت معلمة بارزة في الأدب النبوي بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)، تلك التي نظمها أبو حنيفة النعمان وهي الموسومة بالدر المكنون، فقد تضمنت هذه القصيدة مديحاً نبوياً خالصاً.

يقول أبو حنيفة:

أنت الذي لولاك ما خلق امرؤ \*\*\* كلا ولا خلق الورى لو لاكا

أنت الذي من نورك البدر اكتسى \*\*\* والشمس مشرقة بنور بهاكا» (186)

وفي العصر العباسي نرى أن المديح النبوي بدأ من ذكر النبي (صلى الله عليه وآله) في مدح الخلفاء وإيجاد علاقة تربطهم به، ومن فخر العلويين بانتسابهم إليه، وظهر شيء من المديح النبوي في قصائد العقيدة وفي حديث الشعراء عن الحج وفي أشعار المتصوفة التي نشأت في هذا العصر، ومع تقدم الزمن ظهرت مقطوعات خاصة خالصة لمدح النبي (صلى الله عليه وآله)، ووجدنا قصائد كاملة حول النبي (صلى الله عليه وآله) كانت في بدايتها معارضة لقصائد قيلت في حياة الرسول. وقد شهد العصر العباسي مراحل مختلفة من مراحل تطور المديح النبوي وظهر فيه كثير من مفردات المدائح النبوية ولوازمها.

نستطيع أن نطالع المدائح النبوية لهذا العصر في الحوزات التالية:

1- مدائح أهل البيت (عليهم السلام): بعد انهزام الأمويين وتسلم الحكم من جانب العباسيين، نشبت الخلافات بين فئتين يدّعي كل منهما الانتساب إلى النبي (صلى الله عليه وآله) والأحقية بالخلافة - أي بين العباسيين والعلويين - ولما كانت الخلافة في جوهرها خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تولي أمور المسلمين، كان من الطبيعي أن يذكر الرسول في كل حديث عن الخلافة، فقد ادّعى العباسيون أنهم أحق الناس بوراثة الرسول (صلى الله عليه وآله)؛ لأنه عندما توفي كان عمه العباس على قيد الحياة وهو الذي يستحق وراثته، وظل الشعراء يتقربون إلى بني العباس بهذه النعمة ومدحوا الخلفاء بانتسابهم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وباتباع سنته، وكان طبيعياً أن يمدح الرسول (صلى الله عليه وآله) في أشعارهم.

ومن جانب آخر ادّعى العلويون أن النبي (صلى الله عليه وآله) ورث ابنته فاطمة (عليها السلام) فهي التي ترثه ويرثها بعدها أولادها وظل الشعراء، العلويون أيضاً يفخرون بانتسابهم إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ولكنهم لم يمدحوا الرسول (صلى الله عليه وآله) بقصائد مستقلة بل جاء مدحهم للنبي (صلى الله عليه وآله) ضمن مدح أهل البيت (عليهم السلام) ومن شعراء أهل البيت (عليهم السلام) في هذا العصر دعل الخزاعي، الشريف الرضي، مهيار الديلمي.

2- مدائح التيارات الفكرية والكلامية: ظهرت في هذا العصر تيارات فكرية و فرق كلامية مختلفة بسبب اختلاط المسلمين بغيرهم من الأمم يستند كل منهم في تأييد آرائه وأفكاره إلى السنة النبوية، وكان شعراء كل فئة يمدحون النبي (صلى الله عليه وآله) ضمن إثبات مدعياتهم والاستناد إلى السنة النبوية.

3- المدائح الصوفية: سنذكرها في الشعر الصوفي.

وأما المديح النبوي في العصر الفاطمي والأيوبي فقد «شهد هذا العصر اضطراباً كبيراً، إذ شكلت الدولة الفاطمية تحدياً خطيراً للدولة العباسية، ونازعتها السيادة الدينية والسياسية على البلاد العربية والإسلامية»<sup>(187)</sup>.

وانقسم الناس تأييداً للدولتين، وإضافة إلى هذا انسلخ قسم كبير من أجزاء الدولة المشرقية وابتعد عن العروبة شيئاً فشيئاً، وكثرت الدول المستقلة على أطراف الوطن العربي من مشرقه إلى مغربه وأيضاً بداية الغزو الصليبي الذي استطاع أن يحتل مناطق كبيرة من بلاد المسلمين باسم الدين، كل هذه الحوادث كان لها صدى في نفوس الناس وخاصة في نفوس الشعراء، فكان لابد لهم أن يدافعوا عن دينهم وعن صاحب هذا الدين رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فجاء ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الشعر الذي مُدح به الخلفاء الفاطميون الذين يرجعون نسبهم إلى الإمام علي (عليه السلام)، وفي شعرهم مدح مستفيض لرسول الله (صلى الله عليه وآله). مثلاً ابن حيوس هو شاعر الشام والذي توفي سنة 394 هـ - يمدح النبي (صلى الله عليه وآله) بقوله<sup>(188)</sup>.

خَصَّ الإلهُ محمّداً من بينكم \*\*\* لازلَ محروساً بأكرم آل

(187) المدائح النبوية. د. محمود سالم محمّد ص 106.

(188) ديوان ابن حيوس ص 503.

وَبَرَّاكُمُ مِنْ طِينَةِ مِسْكِيَّةٍ \*\*\* لَمَّا بَرَى ذَا الْخَلْقَ مِنْ صَلْصَالِ (189)

نلاحظ أن الشعراء الفاطميين «لم يفرّدوا مدح الرسول في قصائد خاصة بل جعلوا مدحهم له ممزوجاً في قصائد مدح الفاطميين ورثائهم لوّنوا هذا المدح بعقائدهم فظهرت في شعرهم صفات لرسول الله (صلى الله عليه وآله) لم تكن متداولة قبل ذلك» (190).

ونرى في العصر المملوكي والعثماني أن المدائح النبوية ظهرت متكاملة وصار المديح النبوي فناً أدبياً مستقلاً بذاته يشارك فيه معظم الشعراء، وإن كنا نجد المدائح النبوية قبل هذا العصر ولكنها كانت قليلة ولم تشكل ظاهرة أدبية.

أصبحت المدائح النبوية وسيلة للتعبير عن مشاعرهم وآمالهم ولطلب الراحة والطمأنينة لنفوسهم المضطربة بسبب الهزات العنيفة التي تعرّض لها المجتمع العربي والإسلامي.

وإن الظروف التي تهيأت لفن المديح النبوي في العصر المملوكي لم تنهياً لفن شعري آخر بحيث لا يوجد شاعر في هذا العصر لم تكن له مشاركة في هذا الفن الشعري. ويعود اتساع الشعراء في نظم المدائح النبوية في هذا العصر إلى العوامل التالية:

أ- الصراعات السياسية: في هذه الفترة الزمنية تعرضت البلاد العربية والإسلامية لغزوات آتية من الغرب الصليبي والشرق المغولي، فالتقى الخطر الصليبي والمغولي لتهديد الوجود العربي والإسلامي فنهض العرب بقيادة المماليك لدرء الخطر عن أنفسهم وكان للشعراء مشاركة فعّالة في هذه الحركة الجهادية فدافعوا عن الإسلام ومقدساته ومدحوا النبي (صلى الله عليه وآله) ورسالته.

ب - المفاصد الاجتماعية: عرف العصر المملوكي بعض صور اللهو والمجون والمفاصد الاجتماعية ووصل الأمر في عهد بعض السلاطين إلى حدّ مساعدة الخمارات وأماكن الفسق وحماية الفجور، وهذا ما دفع بعض الشعراء ليدعو الله أن «يخلص المجتمع من هذه المفاصد ويتوسلون برسوله (صلى الله عليه وآله) مادحين مستشفعين ليذكروا الناس بتعاليم الدين وحدوده وليشيعوا الروح الدينية بين الناس ليعدلوا عن هذه المفاصد» (191).

(189) يرى: نحت - الصلصال: الطين اليابس.

(190) المدائح النبوية. د. محمود سالم محمد ص 110.

(191) المدائح النبوية د. محمود سالم محمد ص 25.

ج - المجادلات الدينية: الجدل بين المسلمين وأهل الكتاب قديم العهد ولكنه اشتد خلال الحروب الصليبية؛ إذ أخذ المسلمون يدافعون عن دينهم ونبیهم ويثبتون نبوته بالاستفادة من كتبهم، وقد ظهر هذا الجدل في الشعر وفي المدائح النبوية خاصة عند البوصيري الذي - لم تخلُ نبوية له من مجادلة النصارى واليهود في عقائدهم - نظم في ذلك قصيدة طويلة سماها «المخرج والمردود على النصارى واليهود» ومن أعلام المديح النبوي في هذا العصر: البوصيري، صفي الدين الحلبي، ابن نباتة المصري، عائشة الباعونية وغيرهم... وفي أواخر هذا العصر أصيبت المدائح النبوية بوباء التثنيق والزخرفة.

أما في المغرب والأندلس فإنهم قد سبقوا المشاركة في هذا الفن حتى أننا نرى قصائد كاملة في مدح الرسول متقدمة زمنياً عن المشاركة.

ذكرنا آنفاً، في الشعر الديني، عن أول نصٍ نبوي وصل إلينا من الأندلس هو قصيدة عبد الملك بن حبيب السلمي مطلعها<sup>(192)</sup>:

لله درّ عصابة صاحبتها \*\*\* نحو المدينة تقطع الفلوات

نلاحظ في هذه القصيدة مدحاً للنبي الكريم (صلى الله عليه وآله) وإن كان هذا المدح قد جاء في أثناء الإشادة بالمدينة المنورة ومعاهدها وخاصة روضة الرسول (صلى الله عليه وآله)

وقبره وحجرته، فلم يقصد الشاعر أن ينظم قصيدة في مدح النبي الكريم (صلى الله عليه وآله)، لكن رؤيته لمعاهد المدينة المنورة أثارت عواطفه الدينية فتحدث عنها شعراً وكان لابد له أن يذكر ساكن هذه المعاهد ومشرفها عليه وآله الصلاة والسلام.

فيوجد شعراء كثيرون منهم أبو الحسن الخزر جي الغرناطي. وذكر المقرئ عنه «فلا يعرف له نظم في أحد من العالم إلا في مدح رسول الله (صلى الله عليه وآله)»<sup>(193)</sup> سنذكر بعضاً منه في الفصول الآتية.

وأيضاً نجد هناك المديح النبوي منتشراً وبأشكال مختلفة مثل العشرينيات، الخمسات... ومن هذه القصائد - العشرينيات - ديوان لعبد الرحمن بن يخلفتن القرطبي - المعروف بأبي زيد الفازازي - الذي وصفه المقرئ «بأنه صاحب الأمداح في سيّد الوجود»<sup>(194)</sup>.

ويبدو أنه صرف شعره إلى هذا الفن بدليل أنه ألف ديواناً كاملاً في المدح النبوي (صلى الله عليه وآله) - يحتوي على عشرينيات<sup>(195)</sup> - كما ألف ديوانين آخرين له في الموضوع نفسه

(192) نفح الطيب 55/1.

(193) المصدر السابق 394/2.

(194) نفح الطيب 468/4.

أحدهما بعنوان «ديوان الوسائل المتقبلة في مدح النبي (صلى الله عليه وآله)» يرجع تاريخ تأليفه إلى سنة 604 هـ (196). شرحه محمد غبريم الداغري في كتابه: باسم النوافح العطرية المختصرة من النفحة العنبرية في حل ألفاظ العشرينية في مدح خير البرية. وهذا الكتاب (أي ديوان الوسائل المتقبلة) مخمسات على الحروف الهجائية من الهمزة إلى الياء. والمخمس قد يشتمل على عشرين دوراً، وقد يقل عدد الأدوار فيه إلى أحد عشر.

والديوان الآخر عبارة عن قصائد في التشوق، وله بخلاف ذلك معشرات (197) في مدح النبي (صلى الله عليه وآله). وقد أثنى عليه المقري وأشاد ببراعته في هذا الفن فقال: «إن له في مدح النبي (صلى الله عليه وآله) بدائع قد خضع البيان وسلم، وأعجز بتلك المعجزات نظاماً ونثراً، وأوجز في تجهيز تلك الآيات البيّنات فجلاً سحراً» (198).

إن الاهتمام بالشكل الشعري والبحث عن التميز من خلاله الذي نراه في القصائد النبوية الأندلسية، يعني أن المديح النبوي عند الشاعر قد وصل إلى مرتبة متقدمة وأن سابقه قد أفاضوا القول فيه ولذلك لجأ إلى الشكل لعله يجد فيه ما يظهره غيره من الشعراء، فالمضمون عنده قد انتهى إلى ما لا مزيد عليه.

هنا نذكر مخمسة من أبي زيد الفازاني: (199)

له رتبة فوق السماكين قد سمت \*\*\* وكفّ ندىً تحكي السحاب متى همت (200)  
وأي هدىً بالأمر والنهي أحكمت \*\*\* إذا عُدّت للرّسل أي تقدّمت  
«فأي رسول الله أجلى وأضوأ»  
هو المصطفى المحبوب طبعاً وقربة \*\*\* تقدّس ذاتاً ثم قبراً وتربة  
أقول وأعنيه هوىً ومحبة \*\*\* أحبّ رسول الله شوقاً وحسبة  
لعلّي غداً عن حوضه لا أحلأ

ويبدو أن الشاعر يحاول أن يضيف في شعره معاني جديدة إلى معاني القصيدة الأصلية وأن يوجه المعنى أحياناً وجهات أخرى تختلف عما جاء في القصيدة، فقد تمثل معاني

---

(195) تاريخ الأدب العربي. لبروكلمان 132/5 والقصائد العشرينيات هي القصائد التي يمدح بها الشاعر العربي النبي (صلى الله عليه وآله) وتتألف كل قصيدة من عشرين بيتاً وعدد القصائد بعدد حروف الهجاء مرتبة على ترتيبها.

(196) نفح الطيب 4/468.

(197) المعشرات: قصائد تشتمل كل منها على عشرة أبيات فأكثر، منظومة على جميع الحروف الهجائية.

(198) نفح الطيب 4/468.

(199) ديوان الوسائل المتقبلة ص2.

(200) السماكين: النجوم الزاهرة، الندى: الجود والسخاء والخير، همت: صبت.

القصيدة ودمجها فيما يريد قوله، فظهرت وكأنها من إنتاج قريحته. فصارت القصيدة أقرب إلى الإنشاد في مجالس الذكر.

لذلك، يتبين لنا أن فن المدائح النبوية قد تكامل على مر الزمن وانتشر في جميع الأقطار العربية وتعددت مذاهبه وطريقة تناوله وافتن الشعراء في شكل القصيدة وأسلوبها.

## عوامل نضج وازدهار المديح النبوي

لابدّ لنا من الإشارة إلى العوامل التي ساعدت على ازدهار ونضج هذا النوع من المديح الديني، منها<sup>(201)</sup>:

- 1- اضطراب الحياة السياسية في معظم الأحيان بسبب النزاع بين السلاطين والأمراء.
  - 2- سوء الحياة الاجتماعية في مختلف مظاهرها.
  - 3- تدهور الأوضاع الاقتصادية لأسباب كثيرة.
  - 4- جثوم الخطر على البلاد من قبل الأعداء الطامعين في الشرق والغرب
- إذ الحروب الصليبية والتتيرية كانت حروباً دينية مريعة في العصر المملوكي والعثماني. لقد وقف الشعراء يدافعون عن الإسلام ومقدساته أمام الديانات الأخرى ويمدحون الرسول (صلى الله عليه وآله). «وهذه العوامل جعلت الناس يتشفعون بالرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) ليدفعوا عن أنفسهم ما يحلّ بهم، وجدير بالذكر أن بعض هذه العوامل كانت سائدة منذ القرن الرابع الهجري»<sup>(202)</sup>.
- ولم يختلف الأمر في الأندلس عن شقيقتها - بلاد المشرق - لأنها هي الأخرى قد نالها ما نالت من هجمة الإفرنج والإسبان منذ عهد مبكر قد أهدقت ببلادهم المحن والفتن والغارات والويلات فانتهى بهم الأمر إلى اللجوء إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تجاوز حالهم إلى الأفضل.

«وحين اشتد الضعف بدولة الموحدين وأخذت المدن الأندلسية الكبيرة تسقط مدينة وراء مدينة في حجر النصارى الإسبان الشماليين تكاثر المديح النبوي إذ اتخذ الشعراء

(201) يتصرف من المدائح والنبويات في بلاد الشام ص466.

(202) المصدر السابق ص466.

الأندلسيون أداة للاستغاثة والاستتجاد بالرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) لإنقاذهم من محنتهم»<sup>(203)</sup>. وليدفع عنهم الضير ويكشف عنهم الغمة.

ونستطيع أن نضيف إلى تلك العوامل، عاملاً آخر وهو الأسباب والمظاهر الدينية التي اهتم بها الأندلسيون كاهتمامهم بالحج وزيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتشوق إلى معاهده فهذه المسائل استدعت الشعراء أن ينظموا قصائد التشوق للمقدسات ويمدحوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأن يعبروا عن حبهم له وتعظيمهم لمقامه الكريم.

كذلك إنهم حرصوا على الاحتفالات الدينية المختلفة من الأعياد الدينية والمواسم المقدسة إلى المولد النبوي. فالمولد النبوي مناسبة هامة لنظم المدائح النبوية فهي تذكّرهم بعظمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفضله على أمته.

وأيضاً اهتمام الناس بكل ما يتعلق برسول الله (صلى الله عليه وآله) من آثار وحوادث، تثير مشاعر الشعراء لتمجيد الرسول (صلى الله عليه وآله) ومدحه. مثلاً نرى ابن جبير يذكر في رحلته أنه «بنى على موضع مولد النبيّ (صلى الله عليه وآله) مسجداً لم ير أحفل بناء منه، والموضع المقدس الذي سقط فيه (صلى الله عليه وآله) ساعة الولادة السعيدة، التي جعلها الله رحمة للأمة أجمعين.... يفتح هذا الموضع المبارك، فيدخله الناس كافة متبركين به في شهر ربيع الأول...»<sup>(204)</sup> وأيضاً نعل النبيّ (صلى الله عليه وآله) من الآثار التي يتبرك الناس بها.

فهذه الآثار ما فتئت تذكّر الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) وتُشعرهم بعظمته على آثاره وعيشه وتستحث قرائح الشعراء على مدحه وتمجيده.

---

(203) تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات - الأندلس. د. شوقي ضيف ص371.

(204) رحلة ابن جبير ص92.



## أنواع المدائح النبوية

إذا نظرنا إلى مدح الرسول (صلى الله عليه وآله) وجدناه يتحول على مر الأيام إلى فن أدبي تشيع فيه العواطف الدينية حيناً ويتجرد منها أويكاد حيناً آخر لذلك نقول: تتنوع المدائح النبوية إلى أنواع مختلفة منها: المدائح العامة الصرفة، الشعر في مدح آل البيت (عليهم السلام) شعر التشوق، المولديات والبديعيات.

ويتصف كل منها بخصائص تميزه عن غيره: فالمدائح العامة مثلاً وهي تتسع لاحتواء كل المدائح النبوية التي تذكر مآثر الرسول (صلى الله عليه وآله) وتدخل فيها مختلف الأشكال المعروفة للمدائح النبوية، «تذكر من سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وشمائله وفضائله وأحواله، وكل شاعر يختار المواقف والمشاهد والخصائص التي يدير قصيدته عليها. وتمتاز هذه القصائد عادة بالطول، وبعض الشعراء يضع لقصيدته اسماً؛ وقد سمى أحمد بن محمد بن ميمون الأشعري قصيدة نبوية له باسم خلاصة الصفا من خصائص المصطفى وأولها:

لأحمد خير الخلق أهدي تحيتي \*\*\* محمد الأمي بحكم وحكمة»<sup>(205)</sup>

ومن المدائح العامة مدح تقليدي: إن مدح الرسول (صلى الله عليه وآله) بالقيم التقليدية لم يخل منه عصر ولا بيئه، «فالشعراء غنوا للرسول (صلى الله عليه وآله) وأشادوا بمعجزاته وأماراته وعظم خلقه وسماحة دينه وسنته وسيرته فلم يتركوا موضوعاً أو ناحية تتعلق به وبفتوحات الإسلام وانجازاته... إلا وتطرقوا إليها في شعرهم»<sup>(206)</sup>.

فالشاعر أمام النبي (صلى الله عليه وآله) لا يطلب وظيفة ولا جائزة ولا جاهاً ولا عطاءً أو محابة مما عرفه ديوان المدح العربي... بل ينشد راحة الضمير ورضى الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) لينعم بسعادة الدين والدنيا.

وعليها «أن تُقر بروعة ما مُدح به الرسول (صلى الله عليه وآله) على هذه الطريقة وخاصة ما مُدح به في حياته، وهو لاشك، لون من ألوان المديح النبوي، إلا إن تشابهه مع ما مُدح به

(205) في الأدب الأندلسي، د. محمد رضوان الداية ص104.

(206) آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي ص117.

غير رسول الله (صلى الله عليه وآله) يجعلنا نرّحزحه قليلاً عن بقية المدح النبوي الذي أخذ صورة أخرى تقرب من هذا الشاعر حيناً، وتبتعد حيناً آخر»<sup>(207)</sup>.

وعلى مرّ الزمن ذهب الشعراء بالمدح النبوي كلّ مذهب لم تختف القيم التقليدية، وظل الشعراء يرددون في مدح الرسول ما كان يمدحه به الشعراء المخضرمون في حياته وقد خلطوا القيم التقليدية بالمفاهيم الدينية وكانت نسبة المعاني التقليدية تقل وتكثر حسب ثقافة الشاعر وموقعه ومذهبه الديني. وكلما تقدمت بنا الأعوام والأجيال والعصور تعمّقت جذور هذا النوع من الشعر وامتدت ظلاله وأمسى من اللوازم والثوابت.

## قصيدة التشوق

يدخل هذا اللون من الشعر ضمن الأمداح النبوية ويفترق عن المديح النبوي، «فهو فن شعري مستقل صار في أيام المماليك من لوازم المديح النبوي»<sup>(208)</sup> لأنه مدح للرسول (صلى الله عليه وآله) بشكل أو بآخر، «فالشاعر يتحدث فيه عن شوقه وتلهفه إلى زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله) أو إلى الأماكن التي شهدت يوماً ما إشراقة الرسالة المحمدية، وعاشت لحظات الدعوة في محنتها وانتصارها، في شدتها ورخائها، مكثراً من ترديد أسماء الأماكن الحجازية ولا سيما (طيبة) التي تعني المدينة المنورة ومواقع أخرى كمنى ويثرب وزمزم والبيت العتيق ونجد والخيف والحطيم واللوى والغور، إلى ما هناك من أسماء موحية تكتنز شحنة تاريخية كبيرة، تعطي القصيدة بُعداً زمنياً وتثير حولها جواً روحانياً وعبقاً دينياً يزيدان من تأثيرها وقوتها»<sup>(209)</sup>.

«تبنى قصائد الشوق إضافة إلى ما ذكرنا على وصف الرحلة عبر الفيافي والقفار وما يصاحبها من متاعب ومشاق وعلى تصوير الأشواق والهيام في زيارة ضريح خير الأنام والتمرغ بترابه الطاهر والتعبق بمسكه وشذاه واستهلال الدموع طلباً للمغفرة والشفاعة ثم تختم بالسلام على خاتم المرسلين»<sup>(210)</sup>.

كان لحنين المغاربة وتشوقهم للأماكن المقدسة، لون خاص، نبع من بُعد بلادهم عن الحجاز وما يقصده في الرحلة إليه، فكان الوصول إلى الأماكن المقدسة عندهم غاية لا تدرك وأمنية الأمانى وخاصة في الأوقات التي ينقطع فيها الطريق وتحقق المخاطر في البر والبحر.

(208) المدائح النبوية. د. محمود سالم محمد ص 204.

(209) الشعر في عهد المرابطين. د. محمد مجيد السعيد ص 274.

(210) الشعر في عهد المرابطين. د. محمد مجيد السعيد ص 274.

فإذا قعدت ببعضهم الموانع عن تحقيق رغبتهم الملحة التي تسكن نفوسهم لزيارة هذه الأماكن المقدسة، يكون حالهم مثلما وصفه ابن العريف في قوله<sup>(211)</sup>.

شدوا المطي وقدنالوا المني بمنى \*\*\* وكلهم بأليم الشوق قد باحا<sup>(212)</sup>

سارت ركائبهم تُندي روائحها \*\*\* طيباً بما طاب ذاك الوفد أشباحا<sup>(213)</sup>

نسيم قبر النبي (صلى الله عليه وآله) المصطفى لهم \*\*\* روح إذا شربوا من ذكره راحا<sup>(214)</sup>

يا واصلين إلى المختار من مُضر \*\*\* زرتم جسوماً وزرنا نحن أرواحا

إنا أقمنا على عذر وعن قدر \*\*\* ومن أقام على عُذر كمن راحا

وأيضاً من الموشحات - قول ابن الصبّاح الجذامي في التشوق إلى مكة وطيبة<sup>(215)</sup>.

بأرض طيبة معهد \*\*\* شوقي إليه مُجدّد

هل لي بتلك الطلول

من زورة ومقيل

يا قبر خير رسول

متى يراك فيسعد \*\*\* صبّ ببُعدك مُكّمد

تسمّى هذه القصائد أيضاً بالحجازيات، ويقول صاحب البردة بالمغرب والأندلس: «هو جنس يرتبط من حيث موضوعه ومضمونه بما ينظم في الحنين إلى الحج والشوق إلى زيارة البقاع الشريفة، والشكوى من الموانع والقواطع. فالقصيدة تنصرف كلها إلى ما يعانيه ناظمها ويكابده من شوق إلى الرسول (صلى الله عليه وآله). وكثيراً ما يصطنع الشعراء أساليب العشاق من المتصوفة وشعراء الغزل فيذكرون الأيام الخوالي التي قضوها مع المحبوب ويتحسرون ويتفجعون ويتوجعون شأن العشاق والواقفين»<sup>(216)</sup>.

وفي كتاب الذيل والتكملة (294/5): حجازيات عديدة للشاعر علي بن محمد بن حسن الأنصاري الإشبيلي (ت 663 هـ) يتحدث في إحداها عن عيسه التي أضناها السرى وأذابها

(211) وفيات الأعيان 169/1.

(212) المطي: الإبل المركوبة.

(213) الركائب: الإبل المركوبة، تندي: تسيل، الأشباح: الأشخاص.

(214) الراح: الخمر.

(215) أزهار الرياض 235/2.

(216) بردة البوصيري بالمغرب والأندلس ص39.

المسير في الهجير والتي مع ضناها وذوبانها تعباً وإرهاقاً لا تريد الراحة والتوقف دون مقام الرسول لأنها مشتاقة هائمة مثل صاحبها:

يا حداة العيس رفقا إنها \*\*\* شكت الجهدَ وبُعد المرتمى  
طاويات لم يدع منها السرى \*\*\* ودخيل الشوق إلا الأعظما  
جنبوها مورد الماء فقد \*\*\* حرّمته أوتزور الحرما  
يا خليلي رويدا أنها \*\*\* لتعاني الشوق مثلي فاعلما  
وجميع قصائده مملوءة بالشوق، متوهجة بالتطلع إلى زيارة حبيب الله، فحب  
الرسول (صلى الله عليه وآله) ملأ عليه حواسه. وأظهر محمد بن جابر الأندلسي شوقه إلى زيارة  
رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بعض أشعاره التي منها<sup>(217)</sup>:

إليك يا رسول الله جُبْنَا الفَلا وَخَدا \*\*\* ولولاك لم نَهْوِ العقيق ولا الرّثَدا<sup>(218)</sup>  
ولو لا اشتياقي أن أراك بمُقلتي \*\*\* لما كُنْتُ أَشتاق الغويرَ ولا نجدا<sup>(219)</sup>  
ولو لا رجاء القلب من ذلك الحمى \*\*\* لما اخترتُ عن أهليو عن وطني بُعدا  
ومنها:

ولا استلذّ العيش في غير أرضكم \*\*\* ولا أَسْتَهِي من غير مائكم ورُدا<sup>(220)</sup>  
وقد أكثر الشعراء من وصف أشواقهم لزيارة قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) كقول أبي  
الحسن الجبائي<sup>(221)</sup>:

هلا زجرت العيسَ تنفخُ في البرى \*\*\* ووصلت بالفلوات سيرك بالسرى  
حتى تعقر وجنتيك بتربة \*\*\* من أجلها ولها ذمنا العنبرا  
ورحلت نحو الهاشمي محمد \*\*\* خير الأنام وخير من وطىء الثرى  
ومنها:

شوقاً إلى خير الأنام محمد \*\*\* أكرم به ذاتا وأكرم عنصرا  
ولننظر إلى مدى الشوق إلى المقدسات والذي يشعر به المغاربة والأندلسيون حين يدخل  
الشاعر ابن سهل في نفوس المؤمنين ويخرج بخفاياه، فيظهر لهفتهم لرؤية المقدسات، ومدى

(217) المجموعة النبهاية 35-36/2.

(218) جُبْنَا: قطعنا، الوخد للبعير: الإسراع، الرند: شجر طيب الرائحة.

(219) الغوير والنجد: مكانان.

(220) الورد: الإشراف على الماء.

(221) الذيل والتكملة 298/5.

تعلقهم بحب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإنما هو يتحدث عن نفسه وعما يجول فيها ويعممه على المؤمنين الذين شدوا الرحال إلى الديار المقدسة فيقول (222):

وركب دَعَثهم نحوَ يثرب نَسْمَة \*\*\* فما وَجَدَتْ إِلَّا مُطِيعاً وسامعاً  
يُسابق وخذ العيس ماء شؤونهم \*\*\* فَيَقْفُونَ بالشوق المدى والمدامعا (223)  
تُضيء من التقوى خبايا صدورهم \*\*\* وقد لبسوا الليل البهيم مَدَارعا  
تكاد مناجاة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) \*\*\* تَنِمُّ بها مِسْكَاً على الشَمِّ ذائعاً (224)

ذكر عبدالله الهرامة: «للأماكن الحجازية حيز فسيح في قصائد المديح النبوي، فهي قد شهدت مولد الرسول (صلى الله عليه وآله) ونشأته، واحتوت مراحل حياته في مكة والمدينة، فكانت لذلك تمثل الشهود الباقية على تلك المراحل، الناطقة بلسان حالها عن فترة هي من أهم فترات التاريخ الإسلامي» (225).

وللمنتشاقري في ذلك قصيدة منها (226):

بطيبة هل أرضى وتبدو سماؤها \*\*\* وإن تك أرضاً فالحبيب سماءُ  
بسلع فسَلِّ عَمَّا أقاسي من الهوى \*\*\* وسلِّ بَقْبَاءِ اذ يَلُوح قَبَاءُ  
وفي عالج مَنِّي بقلبي لا عَجْ \*\*\* فَهَلْ لي علاجٌ عنده وشفاء (227)  
وقد كانت معالم الطريق إلى الحجاز تبعث الشوق في النفوس، وتثير كوامنها، فكيف بالأماكن التي عاش فيها الرسول (صلى الله عليه وآله)؟

إنَّ ذلك الشعور تجاه هذه الأماكن لينعكس جلياً في عبارات التكبير والتهليل عند ذكرها، وفي ألفاظ اللثم والتقبيل والغبطة التي ترتبط بها، وقد أحسن أبو زيد البلوي استخدامها أيما إحسان. وفي قصيدة له يقول فيها (228):

الله أكبرُ حَبْذاً إكبارُهُ \*\*\* هذا الشفيع لنا وهذي داره  
لاحتَ مَعَالِمُ يثرب وربوعها \*\*\* مَثَوَى الرسول ودارُهُ وقرارُهُ  
هذا النخيلُ وطيبةٌ ومحمدٌ \*\*\* خير الورى طُرّاً وها أنا جاره

(222) ديوان ابن سهل ص157. - المجموعة النبهانية 260/2.

(223) الوخد: سير سريع، العيس: الإبل الأبيض، الشؤون: عروق العين التي يجرى منها الدمع. يقفون: يتبعون؛ المدى: الغاية.

(224) تنم: تنقل. ذاع الطيب: انتشر رائحته.

(225) القصيدة الأندلسية: عبد الله الهرامة 359/1.

(226) الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب 385/4.

(227) لاعج: الهوى المحرق.

(228) الكتيبة الكامنة ص135.

إن هذا التكبير والتكرار لاسم الإشارة، ليعكس حالة الانبهار التي يحس بها الزائر المتلهف في لحظات مواجهته الأولى للأماكن المقدسة. إنه يعتمد إلى تشخيص تلك الأماكن في صورة الأحبة الذين يستقبلهم بالعناق والبهجة المفرطة. ويقول أبو سعيد فرج بن لب التغلبي الغرناطي<sup>(229)</sup>:

أَحِنَّ اشْتِياقاً لريح سَرَتْ \*\*\* وأُبدي هياماً لبرق أنارا  
حنيناً وشوقاً إلى معلم \*\*\* حَوَى شرفاً خالداً لأيجارى  
به أسكَنَ اللهُ أسمى الورى \*\*\* نبياً كريماً وصحباً خيارا  
هو المصطفى المنتقى مَنْ أرى \*\*\* لنا معجزات وآيات كبارا  
يحقّ علينا ركوبُ البحار \*\*\* وَجَوَّبُ الفقار اليه ابتدرا<sup>(230)</sup>  
فيا فوز من فاز في طيبة \*\*\* بلثم المغاني جداراً جداراً<sup>(231)</sup>  
وألصق خدّاً على ثربها \*\*\* وأكمل حجّاً بها واعتمارا  
وأهدى السلامَ لخير الأنام \*\*\* على حينَ وافى عليه مزارا  
وتنتهي قصائد التشوق والحجازيات بالتوسلات فيذرف الشاعر الدموع ويتذلل ويستسلم، وقد تنتهي أيضاً بإهداء التحية إلى المحبوب وهو هنا الرسول (صلى الله عليه وآله). قال أبو الحسن بن سعيد الغرناطي الأندلسي<sup>(232)</sup>:

يا سائرين ليثرب بُلُغْتُمْ \*\*\* قد عاقني عنها الزمانُ الأنكدُ  
أَعْلِمْتُمْ أَنْ طِرْتُ دُونَ مَحَلِّهَا \*\*\* سَبَقَاوْها أنا إذ تدانَى مُقْعَدُ  
يا عاذ لي فيما أكابد قَلَّ في \*\*\* ما أَبْتَغِيهِ صِبابَةً وَتَسْهَدُ<sup>(233)</sup>  
لم تَلَقْ ما لُقِيْتُهُ فَعَدَلْتَنِي \*\*\* لا يَعْذُرُ المَشْتاقُ إِلَّا مُكْمَدُ  
لو كنت تعلمُ ما أرومُ ودونه \*\*\* ما كنتَ في هذا الغرامِ تُفَنِّدُ  
لا طاب عيشٌ أو أجلٌ بطيبة \*\*\* أفقُّ به خيرُ الأنامِ مُحَمَّدٌ (صلى الله عليه وآله)  
صلى عليه من براه خيرةً \*\*\* من خلقه فهو الجميعُ المفردُ  
يا ليتني بُلُغْتُ لثَمَ تِرا به \*\*\* يزداد سَعْداً مَنْ بِذلك يَسْعَدُ

(229) المجموعة النبهانية 116/2.

(230) جَوَّبُ الفقار: قطعها. الابتدار: الإسراع.

(231) المغاني: المنازل.

(232) المجموعة النبهانية 43/2.

(233) التسهد: السهر.

ويُهدي الرعيني بتحيةٍ إلى طيبة التي تضم قبر النبيّ (صلى الله عليه وآله) وإلى مكة المكرمة ضمن قصيدة شوق طويلة في آخرها<sup>(234)</sup>:

سلامٌ على البيت الحرام وطيبة \*\*\* يكر على ربعيهما ويعود

سلام محبّ كلما ذكر أرضها \*\*\* تبادرت الأجنان منه تجود

أخيراً نذكر أن ظروف الأندلس الجهادية المتواصلة كانت تلفت الشعراء والأدباء إلى الديار المقدسة وإلى المقام النبوي (صلى الله عليه وآله) وإلى سيرته وخصائصه وشمائله استمداداً للصبر والثبات والشجاعة وطلباً لعون الله تعالى.

يضاف إلى ذلك بُعد المسافة بين الأندلسيين وبين الديار المقدسة وصعوبة السفر وقلة الاستطاعة، وهكذا كثرت الدواعي التي حفزتهم على نظم الشعر في هذا المقصد. فصارت قصائد التشوق - وهو شوق إلى زيارة النبيّ (صلى الله عليه وآله) والمدينة المشرفة والأماكن التي عرفت يوماً النبيّ الكريم (صلى الله عليه وآله) في مكة والمدينة - لوناً من ألوان المديح النبوي. يرى الدكتور محمود سالم محمّد في كتابه: «إذا كان التشوق للمعاهد الحجازية نابعاً من قدسيّتها، وهذه القداسة تعود إلى شهودها ولادة الرسول (صلى الله عليه وآله) وبعثه ودفنه فيها، فإن ذكر الأماكن المقدسة يفترق عن المديح النبوي؛ لأن قصائده لم تنشأ في الأصل لمديح النبيّ (صلى الله عليه وآله) وإن ورد ذكره في بعضها»<sup>(235)</sup>. ويلتقي فن التشوق إلى المقدسات بالمديح النبوي أحياناً عند ذكره للرسول (صلى الله عليه وآله) وحيناً يكون مقدمةً لقصائد المديح النبوي به، فهذا الفن له علاقة بالمديح النبوي، لكنه لا يعدّ مدحاً نبوياً خالصاً فيفترق عنه. لكن يمكننا أن نعتبره قسماً من أقسام قصائد التشوق، وقصائد التشوق هي لون من ألوان المديح النبوي. ولكن يبدو أنّ كل شعر يذكر الشاعر فيه النبيّ (صلى الله عليه وآله) شوقاً لزيارته أو حباً له أو أمثال ذلك، يمكن اعتباره من المدائح النبوية.

(234) الذيل والتكملة 265/5.

(235) المدائح النبوية ص185.

## المولديات

ارتبط شعر المولديات ارتباطاً وثيقاً بالاحتفالات الرسمية التي كان ينظمها ملوك الغرب الإسلامي في كل سنة بمناسبة ليلة المولد النبوي الشريف وعمّ البلاد الإسلامية. والمولديات هي المدائح التي تُلقى ليلة المولد النبوي، وتحتوي على مدح الرسول (صلى الله عليه وآله) ومدح الأمير الذي ينتظم حفل المولد بأمره أو بحضوره. وعرفها ابن الخطيب بأنها «القصائد المنظومة في مدح رسول الله (صلى الله عليه وآله) والإشادة بميلاده، وذكر معجزاته، ثم التخلّص إلى مدح السلطان، وذكر خلاله، وإطراء تحقيقه بهذه الدعوة»<sup>(236)</sup>. ويمكن القول بأن المولدية تتضمن عناصر رئيسة يغلب حضورها في معظم المولديات، وهي:

(المقدمة، ومدح الرسول (صلى الله عليه وآله) ومدح السلطان والتوسل أو المناجاة والخاتمة). وقد تُستفتح المولدية بمدح الرسول (صلى الله عليه وآله) مباشرة، فتستغني بذلك عن أنواع التقديم، الذي يكون في حال وجوده وقوفاً على الأطلال، أو نسيباً يلزم حدود اللياقة والاحتشام، كما وضّح ياقوت الحموي قال: «إن الغزل الذي يُصدّر به المديح يُتعيّن على الناظم أن يحْتشم فيه ويتأدّب، ويتضاءل، ويتشَبّب، مطرباً بذكر سلع ورامّة، وسفح العقيق والعُذيب والغُوير ولعلّ وأكناف حاجر»<sup>(237)</sup> ولذلك جاءت هذه المعالم كثيرةً في مقدمات مدائحهم وميلادياتهم. يبدو أن من فكر بإحياء ليلة المولد والاحتفال بها رأى ما عند غير المسلمين من المناسبات المماثلة ولمس الحاجة إلى إقامة مثل هذه الاحتفالات لغايات كثيرة، منها ما هو ديني وما هو سياسي، لأن الأخبار المتعلقة بالمولد النبوي لا ترقى إلى أقدم من الدولة الفاطمية - في القرن الرابع الهجري، العاشر للميلاد - في المشرق. يقول عمر فروخ في ذلك: «إن الفاطميين أرادوا أن يجعلوا لحكمهم السياسي وجاهة، فاتخذوا عدداً من المناسبات المشهورة وألفوا بها عوام الناس بإقامة المآدب العامة وبإقامة

(236) القصيدة الأندلسية 348/1 نقلاً عن نفاضة الجراب 279/3.

(237) خزانه الأدب - الحموي ص14 . السلع: الشق في الجبل، الرامة: موضع بالبادية، سفح الجبل: أسفله. الغوير: المكان المنخفض. اللعل: شجر حجازي، الحاجر: الأرض ترتفع جوانبها وينخفض وسطها.

معالم الزينة بالأنوار وبقراءة السيرة النبوية أو غيرها من السير، وأحبّ العامة ذلك»<sup>(238)</sup> ويؤيد هذا الرأي بأن الدولة الفاطمية هي التي سنّت الاحتفال بالمولد النبوي وموالد آل البيت (عليهم السلام) .

«وذكر المقرئ للمولد النبوي عند الفاطميين سنة 516 هـ ووصفه بالاحتفال بهذا المولد وما يتمّ فيه من تلاوة القرآن وإلقاء الخطب وإنشاد المدائح وتوزيع الصدقات، وقد عدد المقرئ الموالد الفاطمية، فوصل بها إلى ستة موالد هي مولد النبيّ (صلى الله عليه وآله) الكريم ومولد عليّ (عليه السلام) ومولد فاطمة (عليها السلام) ومولد الحسن (عليه السلام) ومولد الحسين (عليه السلام) ومولد الخليفة الحاضر»<sup>(239)</sup>.

ويشير عمر فروخ «بأن صلاح الدين الأيوبي قد كان يشجّع هذه الاحتفالات لأغراض دفاعية، وكانت غايته من ذلك أن يجتمع المسلمون بشكل جماعات متأهبة في أيام اجتماع النصارى (في أعيادهم ومواسمهم) لئلا يهاجم الإفرنج الصليبيون بلدة مسلمة - والمسلمون فيها غافلون عن ذلك - وانتشرت هذه المواسم في الشام والعراق، ويخبرنا ابن جبير في رحلته أنه شهد احتفالاً بذكرى مولد الرسول (صلى الله عليه وآله) في مكة في أواخر القرن السادس للهجرة»<sup>(240)</sup>.

ويرجع بعض الباحثين ظهور المولد النبوي إلى زمن متأخر وذهبوا إلى أمير إربل مظفر الدين كوكبوري صهر صلاح الدين الأيوبي، هو أوّل من احتفل بالمولد النبوي ووضع قواعد هذا الاحتفال<sup>(241)</sup>.

كما ذكر ابن دحية صاحب كتاب المطرب - قدم إلى مدينة إربل سنة أربع وستمئة للهجرة فرأى صاحبها المذكور مولعاً بعمل المولد، عظيم الاحتفاء به، فعمل له كتاباً سمّاه «كتاب التنوير في مولد السراج المنير»<sup>(242)</sup>.

ومن الشام ومصر انتقل هذا الاحتفال بذكرى مولد الرسول إلى المغرب فكان يعقوب المريني أوّل من احتفل به في المغرب ثم انتقل هذا إلى الأندلس.

---

(238) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 111/6.

(239) المدائح النبوية. د. محمود سالم محمّد ص 186 نقلاً عن الخطط المقرئية 292/1.

(240) تاريخ الأدب العربي. عمر فروخ 112/6.

(241) نفح الطيب 104/2 - وفيات الأعيان 116/4 - 117.

(242) وفيات الأعيان 449/3، 194.

إنّ العناية بالمولد الشريف في الأندلس كانت بتوجيه ومبادرة أبي العباس العزفي السبتي (أوبني العزفي السبتيين) ثم شاع الاحتفال به وكان رد فعل لمظاهر احتفالات النصارى بميلاد السيّد المسيح (عليه السلام).

يرى ابن خلدون «أن الاحتفالات بالمولد الشريف في الأندلس جاءت اقتداءً بملوك المغرب<sup>(243)</sup>». أما لسان الدين بن الخطيب «فقد أفرد لها فصلاً خاصاً في الجزء الثالث من كتابه «نفاضة الجراب» تحدث فيها عن احتفال الغني بالله بهذه المناسبة سنة 764 هـ، فذكر أن السلطان قد استدعى الناس إلى قصره، بعد أن أعده في كامل مظاهر الزينة التي فصلّ القول فيها»<sup>(244)</sup>.

وتحدث عن إقبال الناس على الحفل، «وتناول فقرات الاحتفال فإذا فيه الذكر، والإنصات إلى أعشار القرآن والوعظ، ثم الأغاني، فالطعام الذي تجاوزت موائده المختلفة الحضور إلى جلساء. وارتبطت أعياد الميلاد في المغرب والأندلس بالمنكاهة التي تخبر عن انقضاء كل ساعة من ساعات ليلة المولد، وقد وصفها ابن الخطيب فقال: «منكان غريب أجوف في مثل القامة صيّر منه شكل الاستدارة إلى ذي جهات اثنتي عشرة في أعلى كل جهة منها محراب».

وتحدّث عما أنشده المسمع ليلتئذ من القصائد المنظومة في مدح الرسول(صلى الله عليه وآله) حتى بلغ ما جمع منها خمساً وعشرين قصيدة»<sup>(245)</sup>.

فإذا أضفنا إلى هذا العدد ما كان ينشده المسمع عند نهاية كل ساعة من ساعات الليل، وضحت لنا مكانة المدائح النبوية في هذا الحفل.

انتشر الاحتفال بالمولد النبوي في الأقطار العربية الإسلامية بسرعة كبيرة وأضحى من الأعياد الدينية التي يشارك فيها الناس جميعاً، وكان المسلمون فيها يستمعون إلى قراءة القرآن الكريم والمواعظ وأنا شيد المتصوفة والمدائح النبوية وقيمون الولائم ويوسعون على أنفسهم وعلى فقرائهم في الطعام والحلوى والأشربة ويتصدقون ويظهرون السرور. ولكن هذا الانتشار لم يمرّ بسلام فقد وقف بعض العلماء ضد مثل هذا الاحتفال، وعدّوه بدعة غير مستحبة، ولكنه بعضاً آخر من العلماء قد حبّذوا هذه السُّنة الحسنة التي تكثر فيها الصدقات والمبرات والبر والاحسان والتي تدعو الناس إلى محبة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وتعظيمه وكثرة السلام عليه.

(243) العبروديان المبتدا والخبر. 881/7.

(244) القصيدة الأندلسية 331/1 نقلاً عن نفاضة الجراب 277-278/3.

(245) القصيدة الأندلسية 331-333/1 نقلاً عن نفاضة الجراب ص 278-279/3.

لا يريد هذا الكتاب أن يدخل في آراء المعارضين والموافقين لهذه المسألة لأنها تحتاج إلى بحث آخر.

وعلى الرغم من الجدل بين المخالفين والموافقين انتشرت المولديات وتسابق المؤلفون إلى وضعها حيث يميلون إلى التاريخ وسرد السيرة ويوردون الأحاديث الشريفة والروايات بسندها حيناً ويتركون لأنفسهم العنان حيناً آخر... ومن هنا يظهر أن وضع هذه المولديات، كان هدفه الإنشاد في مناسبة المولد وفي غيرها من المناسبات الدينية.

أصبح الاحتفال بالمولد النبوي موسماً أدبياً نال أهمية كبيرة في الأوساط الأدبية، زيادة على مظهره الديني، «ففيه تتبارى مواهب الشعراء في بث المشاعر الدينية، وإظهار مكارم السيرة النبوية والتخليق في الأجواء الشعرية بقصائد تأخذ حظاً وافراً من النسيب والحنين والشكوى والرجاء ثم التطرق إلى مدح الملوك والسلاطين المحتفلين بهذه الذكرى وبيان مواقفهم في رعاية المقدّسات والدفاع عنها.

وكان الشعراء يطيلون النفس في هذه القصائد ويعتبرون ذلك من الإطناب الواجب في معرض المدح والحنين إلى مهبط الوحي ومنبع الطهر، ويسمّون قصائدهم بالمولديات أو العيديّات»<sup>(246)</sup>.

وللسان الدين بن الخطيب طائفة من تلك المولديات وهي مسجلة في ديوانه، وفي الجزء الأول من أزهار الرياض، والجزء الأخير من نفح الطيب فهو دائماً يبدأها بالحنين إلى الحجاز ثم يتغنّى بفضائل الرسول (صلى الله عليه وآله) ومعجزاته الباهرة وينتهي المولدية غالباً بمديح السلطان الذي اقيم الاحتفال النبوي في عهده.

وكان يعاصره ابن جابر الأندلسي وعاصره ابن خاتمة وفي ديوانه مدائح نبوية بديعة، وكذلك أنشد المقرئ لابن زمرك مولديات له في الجزء الثاني من أزهار الرياض ومن قوله في إحداها مخاطباً الرسول (صلى الله عليه وآله)<sup>(247)</sup>.

مطلع هذه القصيدة:

لعلّ الصَّبَا إن صافحت روض نعمان \*\*\* تؤدي أمان القلب عن ظبية البان  
وماذا على الأرواح وهي طليقة \*\*\* لو احتملت أنفاسها حاجة العاني<sup>(248)</sup>  
ومنها:

(246) بردة البوصيري بالمغرب والأندلس ص37.

(247) ديوان ابن زمرك ص 116-119. أزهار الرياض 42/2. النفح 50-46/5.

(248) العاني: الأسير.

أسائل عن نجد ومرمى صبابتي \*\*\* ملاعب غزلان الصريم بنعمان<sup>(249)</sup>  
فيا صاحبي نجواي والحُبّ غاية \*\*\* فمن سابق جُلّى مداه ومن وان<sup>(250)</sup>  
ومنها:

يؤمنون من قبر الشفيح مثابة \*\*\* تطلع منها جنّة ذات أفنان<sup>(251)</sup>  
إذا نزلوا من طيبة بجواره \*\*\* فأكرم مولى ضم أكرم ضيفان  
بحيث علا الإيمان وامتد ظله \*\*\* وزان حلى التوحيد تعطيل أوثان  
مطالع آيات، مثابة رحمة \*\*\* معاهد أملاك، مظاهر إيمان  
إليك يا رسول الله دعوة نازح \*\*\* خفوق الحشا رهن المطامع هيّمان<sup>(252)</sup>  
يجدّ اشتياقاً للعقيق وبانه \*\*\* ويصبوا إليها ما استجدّ الجديدان<sup>(253)</sup>  
ومنها:

فيا مولى الرّحمى ويا مذهب العمى \*\*\* ويا منجي الغرقى ويا منقذ العاني  
بسطت يد المحتاج يا خير راحم \*\*\* وذنبى ألجاني إلى موقف الجاني<sup>(254)</sup>  
وسيلتي العظمى شفاعتك التي \*\*\* يلوذ بها عيسى وموسى بن عمران  
فأنت حبيب الله خاتم رُسله \*\*\* وأكرم مخصوص بزلفى ورضوان  
ومنها:

فصلّى عليك الله ما انسكب الحيا \*\*\* وما سجعت ورقاء في غصن البان<sup>(255)</sup>  
ثم يرجع إلى مدح السلطان فيقول:

وأيد مولانا ابن نصر فإنه \*\*\* لأشرف من يُنمى لملك وسلطان  
سمّى رسول الله ناصر دينه \*\*\* معظّمه في حال سرّ وإعلان  
لك الخير ما أسنى شمائلك التي \*\*\* يقصر عن إدراكها كل إنسان  
«أما المشاركة فإنهم نظموا القصائد المولدية لكنهم لم يُقحموا فيها مدح السلطان وظلت  
مثل المدحة النبوية العادية، إلا أن الشاعر يتسع فيها بذكر المولد النبوي ومعجزات هذا

---

(249) الصريم: الرملة المنصرمة من الرمال ذات الشجر.

(250) الجلي: السابق، المدى: الغاية. الواني: البطيء.

(251) يؤمنون: يقصدون. المثابة: المرجع. الأفنان: الأغصان.

(252) النازح: البعيد. الخفوق: كثير الاضطراب. الرهن: المحبوس، الهيمان: الهائم الذي لا يدري أين يتوجه.

(253) يصبو: يميل. الجديدان: الليل والنهار.

(254) الجاني: المذنب.

(255) انسكب: انصب. ورقاء: الحمامة. سجعت ورقاء: ردّت صوتها على طريقة واحدة.

المولد ويتابع بعد ذلك مدح النبيّ العظيم (صلى الله عليه وآله) بالمعجزات التي ظهرت على يديه بعد البعثة<sup>(256)</sup>.»

علينا أن نذكر أن القصائد المولدية لم تكن كلها متشابهة فربما نظم بعض الشعراء قصائد في مناسبة المولد النبوي لكنهم لا يذكرون فيها المولد ولا يمدحون فيها صاحب الأمر، ويقتصرون في قصائدهم على المديح النبوي فقط فتكون القصيدة مدحة نبوية خالصة. لكن اسم مولدية أتاها من نظمها بمناسبة المولد، ولأن صاحبها أنشدها في احتفال المولد. وهنا نكتفي بذكر هذا المقدار في أدب المولد والقصائد المولدية رغم أن هذا البحث يتطلب دراسات كثيرة تترك للآخرين خوفاً من الإطالة<sup>(257)</sup>.

---

(256) المدائح النبوية: د. محمود سالم محمّد ص 202.

(257) ولكني رأيت في مجلة شهرية باسم «كتاب ماه تاريخ وجغرافيا» مقالة من حجة الإسلام رسول جعفریان وجاء فيها بأكثر من ثلاثمائة اسم من الكتب والآثار التي ألفت في أدب المولد والمولديات سوف تفيد للذين يريدون أن يبحثوا حول هذا الموضوع.

## البديعيات

نستطيع أن نذكر للبديعية تعريفين اثنين: أحدهما عام يشمل جميع البديعيات على شيء من التعميم الذي يخرجها عن دقة التحديد، والآخر خاص دقيق يضم التعريف الصحيح للبديعية كما سار عليه معظمهم.

«1- التعريف العام: البديعية هي قصيدة طويلة في مدح النبي (صلى الله عليه وآله) - ونادراً في غيره - يتضمن كل بيت من أبياتها نوعاً من أنواع البديع، وعلى هذا الحدّ يمكننا ادخال جميع البديعيات ضمنه.

2- التعريف الخاص: هي قصيدة طويلة في مدح النبي محمد (صلى الله عليه وآله) على بحر البسيط وروي الميم المكسورة يتضمن كل بيت من أبياتها نوعاً من أنواع البديع» (258).  
والتعريف الثاني مخصّص مقيد، يخرج القصائد ذات الأبيات القليلة أولاً، ثم يخرج القصائد التي قيلت في مدح غير رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله) والتي جاءت في مرحلة متأخرة على ندرة وينحي القصائد التي كانت على غير روي الميم المكسورة والبحر البسيط اقتداءً براءد المدائح النبوية البوصيري في برده ومحاكاته لها.  
وهذا التعريف يحتضن معظم البديعيات على اختلاف عصور الأدب العربي منذ نشأتها حتى الآن.

والبديعيات فن من الفنون المستحدثة في القرن الثامن الهجري، و هي تشتمل على خصائص مشتركة مع ما جرى مجراها شكلاً وموضوعاً منذ القرن الثامن الهجري وأهم تلك الخصائص هي التي ذكرناها في التعريف الخاص للبديعية.

نجد في الأنذلس بديعية ابن جابر الهواري المسماة «بالحلة السيرة في مدح خير الورى» - يبلغ عدد أبياتها 177 بيتاً - ولكن أهميتها تكمن في الريادة التي يتنافس عليها ابن جابر وصفي الدين الحلبي.

كان دأب أصحاب البديعيات أن يبدأوا بديعياتهم بالتغزل بأسماء الأماكن المقدسة في الحجاز وما جاورها. يقول ابن جابر في مقدمة بديعياته: (259)

بطيبة أنزل ويَمِّم سيّد الأمم \*\*\* واثّـر له المدح وانثـر أطيب الكلم  
وابذل دموعك واعذل كلّ مصطبر \*\*\* والحقّ بمن سار والحظ ما على العلم  
وينتقل ابن جابر بعد مقدمة غزلية في صفات الرسول (صلى الله عليه وآله) وقد استعان ببعض وقائع السيرة ويختتم القصيدة بالصلاة عليه. منها (260):

جليل خلق على حق جزيل ندى \*\*\* هدى وفاض ندى كفيه كالديم  
ما بين منبره السامي وحجرته \*\*\* روض من الخلد نقل غير مئهم

ومنها:

فأشفع لعبدك وادفع ضرّ ذي أمل \*\*\* يـرجو رضاك عسى ينجو من الألم  
حسبي صلات صلاة سحّبها شملت \*\*\* آلا وصحباً هم رُكني ومُلتزمي (261).  
والقصيدة ظاهرها مدح الرسول (صلى الله عليه وآله) وباطنها عناية بالبدیع وإيراد شواهد  
ومن الأمثلة الأخرى في البديعيات نستطيع أن نذكر بديعية الفازازي الذي التزم نفسه أن  
يبتدىء أبيات قصيدته بحرف السين ويختتم به (262):

سلام كعرف الروض أخضله الندى \*\*\* على خير مخلوق من الجنّ والإنس  
سليل خليل الله خاتم رُسله \*\*\* وفي الختم منع للزيادة في الطرس  
سيادته للرسل غير خفيّة \*\*\* ولا عجب أن يفضّل الشخص في الجنس  
سبوق بلا أين قريب بلامدى \*\*\* عليم بلا خطّ حفيظ بلا درس (263)  
لذلك يتضح لنا أن الهدف الأول من البديعيات هو نشر فنون البديع، وإنهم جعلوا المدح  
النبوي حاملاً لبديعهم.

---

(259) الحلة السيرة في مدح خير الورى. البيت الأول والثاني من البديعية.

(260) المصدر السابق البيت الثالث والتاسع والخمسون.

(261) الحلة السيرة في مدح خير الورى رقم الأبيات 168-169.

(262) المجموعة النبهانية 212/2.

(263) الأين : التعب.

ويمكننا القول بأن شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) عديمة النظير وذات أبعاد بديعة متنوعة؛ فعلى ذلك يستخدم الشاعر أنواع البديع ليبين لنا الصفات البديعية لشخصية الرسول (صلى الله عليه وآله).

«وقد اتسمت البديعيات بالتصنع والتكلف لأن الشاعر يبذل جهداً عظيماً في الملائمة بين معاني المدح النبوي وبين إيراد النوع البديعي وسبك شاهده، وهذا جهد عقلي محض يذهب بالشاعرية والرواء الشعري. ويدخل الشاعر في المعازلة والضرورات الشعرية، ويحوّل القصيدة إلى معان جامدة تفتقد حرارة العاطفة، وإن وجدت التعابير الجامدة التي تشير إلى وجود عاطفة مشبوبة عند الناظم»<sup>(264)</sup> ولكن بديعية ابن جابر تتميز بالنزعة العاطفية التي لم تتأثر بجمود المقصدية العلمية؛ ولذا فإن الشاعر لم يحرص على تتبع المحسنات بيتاً بيتاً، بقدر ما حرص على اكتمال معنى ما يذهب إليه من المديح وهو ما يفسر وجود أبيات غايتها تنمिम المعنى دون أن تحتوي أي محسنة بديعية أو مثال عليه.

فالبديعيات هي برزخ بين المدائح النبوية ذات الحس الوجداني وبين المنظومات التعليمية التي انعدمت فيها العاطفة.

### الفروق بين المدائح النبوية الثلاث (265)

يمكننا أن نجمل الفروق بين الأنواع الثلاثة الماضية فيما يلي:

1- بالنظر إلى أن التغزل في المدائح النبوية مقيد بالاحتشام والتشبيب، يرمز فيه الشاعر إلى ذكر الأماكن الحجازية فإن المقدمات الغزلية في المولديات أقل التزاماً بهذه الضوابط الأخلاقية، إذ فيها يستطيع الشاعر أن يتجاوز تلك الضوابط بصورة محدودة؛ بحيث لا يستجيب تماماً لهذا القيد، ولكن لا يبلغ مبلغ التماجن والغزل الصريح، فالهدف من تلك المقدمات هو تصدير المدح بالنسيب لبسط الخواطر النفسانية وكل ما يحقق ذلك في شيء من اللياقة تحتمله قصيدة المديح الميلاية.

2- أما الفارق البارز بين المدحة النبوية والمولدية فهو حضور شخصية الممدوح في المولديات حضوراً يكون عادة في الجزء الأخير من المولدية ولكنه قد يسبق ذلك كما نراه في رائية أبي محمد بن جزي يستغني فيها عن المقدمة التقليدية ويستعيز عنها بمخاطبة الممدوح وتهنئته بليلة الميلاد:

سَنَى الليلة العَراءَ وافئكِ بالبشرى \*\*\* وأبْدَى بها وجه القبول لك البشرى<sup>(266)</sup> 3- ويُتصل بهذا الفرق أن المولدية ذات المقدمة تحتاج إلى تخلصين، أحدهما من النسيب إلى المديح النبوي، والتخلص الثاني هو الانتقال منه إلى مدح الأمير، ولكنه تخلص محكم عادة، لحرص الشاعر على ربط الصلات بين أجزاء القصيدة.

4- إن المدائح النبوية تخدم عادة بالصلاة والتسليم على النبي (صلى الله عليه وآله) وآله (عليهم السلام) وصحبه، وأن ذلك يكاد يكون ملتزماً لدى شاعر أكثر من المدائح كابن جابر أما المولديات فتخدم غالباً بالدعاء للممدوح، لأن القسم الأخير يدور حول مناقبه فمن المناسبة أن يُختم بذكره.

(265) القصيدة الأندلسية 349-353/1.

(266) القصيدة الأندلسية 351/1.

5- وتختلف الميلاديات عن المدائح العامة والصرفة غالباً في الطول، إذ حين تكون معظم الميلاديات من طوال القصائد لتناولها موضوعين على الأقل، فإنّ المدائح لا تلتزم شكلاً واحداً فقد صاغها الشعراء في المعشرات والعشرينيات والمقطعات والطوال ... إذا استثنينا نتاج ابن جابر المعروف بمدائحه الطويلة، فإنّ المدائح عادة أقصر من المولديات ويرجع ذلك إلى سببين:

1- تشجيع الدولة الأندلسية والمغربية لإنشاد المولديات من خلال احتفائها بها في مناسبات المولد النبوي بين حفل كبير من الأدباء والنقاد ومؤرخي الأدب.

2- صعوبة تخصيص قصائد طويلة لغرض المدح النبوي دون الوقوع في التكرار والرتابة، فمصادر هذه المدائح من السيرة متداولة معروفة، والمقبلون على المدائح كثيرون عبر العصور؛ ولذلك فإنّ الشاعر يتهيب من تطويله القصيدة خشية أن يقع في الإملال والتكرار. وأبو القاسم بن جزي يعلّل سكوته عن النظم في غرض المدح النبوي بقوله:

أروم امتداح المصطفى فَيَصُدُّني \*\*\* قصوري عن إدراك تلك المناقب

فأسكُتُ عنه هيبة وتادباً \*\*\* وخوفاً وإعظاماً لأرفع جانب

ورُبَّ سكوت كان فيه بلاغة \*\*\* وربّ كلام فيه عتبٌ لعاتب<sup>(267)</sup>

أما المولديات «فهي أرحب آفاقاً من المدائح الصرفة والبديعيات، لما تحتويه من فرص لاحتواء أفكار عامة وجزئية كثيرة تتعلق بالمديح النبوي ومدح الأمير، فهذا الغرض الأخير بأجزائه المتنوعة يجعل المولدية أرحب استيعاباً لإمكانات الشعراء وأكثر قبولا لنتائج أخيلتهم»<sup>(268)</sup>.

\* \* \*

من كل ذلك يتبين لنا أن المدح التقليدي للنبي الكريم (صلى الله عليه وآله) يتشابه مع ما مدح به غير رسول الله، فالشعراء لازالوا يستحضرون سيرة الرسول ووصفه، فيشيدون بمناقبه ويحمدونه على خصاله الحميدة ويفخرون بأفعاله المباركة، إلا أن هذا المدح ينطلق من منطلق ديني وإن كان التعبير عنه تعبيراً تقليدياً، وهذا لون من ألوان المديح النبوي بدأه شعراء زمن البعثة الذين لم يكونوا يرمون من وراء مدحهم للنبي (صلى الله عليه وآله) أن يكون هذا المدح متميزاً وفناً قائماً بذاته ولم يكن مديحهم مديحاً دينياً محضاً وإن ظهرت فيه

(267) الكتيبة الكامنة ص48.

(268) القصيدة الأندلسية 354/1.

السمات الدينية؛ في حين أن المدائح النبوية هي شعر ديني خالص امتزج بنفس الشاعر وبما انعكست أحوال العصر عليها.

وأما آل البيت (عليهم السلام) في أشعار المديح النبوي فهو أيضاً لون من ألوان المديح النبوي لأن النبي (صلى الله عليه وآله) علة تفضيلهم ومدحهم له فقد توجه الشعراء إليهم يمدحونهم ويذكرون قرابتهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانتسابهم إليه ومكانتهم الرفيعة في الإسلام ويدافعون عن حقهم ويظهرون صفاتهم ومزاياهم. وسنذكر الأشعار حول أهل البيت (عليهم السلام) في الفصول الآتية.

ويدخل شعر التشوق إلى الأماكن المقدسة وزيارة النبي (صلى الله عليه وآله) ضمن الأمداح النبوية، والشاعر يتحدث فيه عن شوقه وإظهار حبه إلى زيارة الرسول (صلى الله عليه وآله) والأماكن المقدسة، وخاصة في شعر الشعراء الأندلسيين نرى كثيراً من هذا النوع لبعدهم عن الحجاز وصعوبة السفر إليها وظروفهم الجهادية المتواصلة.

والمولديات أيضاً من أنواع المديح النبوي، وغالباً ما ينحصر في معنى من معانيه ويتحدث عن واقعة واحدة من حياة النبي (صلى الله عليه وآله)، ويتناول مرحلة المولد والنشأة ويعتني بمعجزات المرحلة الأولى من حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) ويذكر فيها مدح الأمير آنذاك.

والبديعيات قصائد في مدح الرسول (صلى الله عليه وآله) يحوي كل بيت من أبياتها نوعاً من أنواع البديع والشعراء جعلوا المدح النبوي حاملاً لبديعهم، ولم يجدوا وسيلة أكثر انتشاراً لتعميم فنون البديع من المدح النبوي؛ فلذلك نستطيع أن نقول: إن البديعيات مرحلة وسطى بين الشعر والنظم، فهي شعر لأنها تحوي موضوع المدح النبوي شعرياً، وهي نظم علمي لأنها ذكر لفنون البديع وإيراد الشواهد عليها.

○ مضامين المدح النبوي

○ صفات الرسول (صلى الله عليه وآله) وفضائله

○ الحب والمحبة

○ المعجزات

○ المشفعات

○ الحقيقة المحمدية

○ الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله)

○ المعارضة



## مضامين المدح النبوي

في هذا الفصل نذكر بعض المضامين ومعاني الأشعار التي قيلت في مدح النبي (صلى الله عليه وآله) في الأندلس ونذكرها بصورة موجزة مع شيء من الأشعار.

المضمون الأصلي للمدحة النبوية هو مدح النبي (صلى الله عليه وآله) وشعراء المدح النبوي أضافوا إلى أشعارهم قيمة اقتضتها طبيعة شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) لأنه سيد البشر وهو وحيد منفرد في كل خصائصه، لذا يجب أن يأتي الشعراء بأشعار ذات قيمة مدحية لا يشاركه فيها سواه.

وقد تناولت قصائد المديح موضوعات ومضامين متنوعة وعلى طرائق مختلفة فبعض الشعراء مدحوه بصورة تقليدية مثلما جرت عليه العادة في مدح ساداتهم، وبعضهم مدحوه مدحاً دينياً لمكانته السامية التي لا يدانيه فيها أحدٌ وبعضهم مدحوه مدحاً خلقياً، وبعضهم أظهر أثره في البشرية وبعضهم حرص على إظهار مناقبه ومعجزاته وبيان مواطن العظمة في سيرته، ونظم آخرون قصائد يتشوقون فيها إلى زيارة مقامه الكريم، وبعضهم نظموا قصائد يتبركون بآثاره الكريمة.

ولكن هذه القصائد تتصل ببعضها اتصالاً وثيقاً لأنها تدور حول موضوع واحد وهو النبي الكريم (صلى الله عليه وآله).

ولكن نرى أن المادحين جميعاً يعترفون بتقصيرهم في مدحه وبعجزهم عن إيفاء حقه. نذكر بعض المضامين الشعرية منها:

## صفات الرسول (صلى الله عليه وآله) وفضائله

لم يكن مستغرباً أن تظفر صفات الرسول (صلى الله عليه وآله) بحيز كبير بين موضوعات المدائح النبوية، فذلك من الموضوعات الرئيسية في هذا الغرض. وقد مُدح رسول الله (صلى الله عليه وآله) بخلقه وأصله ومجده، وتلك الصفات التي يحرص الشاعر على وجود دليل عليها من النصوص الدينية أو السيرة النبوية، ومن هذا القبيل قول عبد الحق بن عطية<sup>(269)</sup>.

رؤوف رحيمٌ خصّه الله باسمه \*\*\* وأعظم لاح في الثناء وعاقب  
وشرفه أصلاً وفرعاً ومحتداً \*\*\* يزاحم آفاق السُّهى بالمناكب  
سُراج الهدى ذوالجاء والمجد والعلا \*\*\* وخيرا لورى الهادي الكريم والمناسب ويستمر  
هذا الشاعر في ذكر صفات الرسول (صلى الله عليه وآله)، مشيداً بحسبه وإمامته للنبيين وخلقه العظيم، مع إشارات إلى أدلة ذلك من الكتاب المجيد كقوله<sup>(270)</sup>:

حليمٌ جميلُ الخلق والخلق ماله \*\*\* نظيرٌ، ووصفُ الله حُجّةً غالب  
ويشير أبو الحسن على بن الجياب الأندلسي في إحدى معشراته إلى سيادة الرسول (صلى الله عليه وآله) على كل أولاد آدم فيقول<sup>(271)</sup>:

جنابُ رسول سادَ أولادَ آدم \*\*\* وفُربَ في السبع الطباق بمعرج  
جمالٌ أنار الأرض شرقاً ومغرباً \*\*\* فكلّ سني من نوره المتبلج  
ويقول نور الدين أبو الحسن على بن أحمد بن حمدون الحميري الأندلسي: إن الإنسان لا يستطيع أن يعدّ صفات النبي (صلى الله عليه وآله)<sup>(272)</sup>:

محمدٌ المختارُ أعلى الورى ندى \*\*\* وأكرمُ مبعوث أتاه كتاب  
أتحسب أن تحظى بعدّ صفاته \*\*\* وهيهات ما يُحصي علاه حساب

(269) الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب 562/3.

(270) المصدر السابق 562/3.

(271) المجموعة النبهانية 460/1.

(272) المجموعة النبهانية 356/1.

ومالك بن المرحل السبتي ذكر بعض صفاته وفضائله في أبياته التالية<sup>(273)</sup>  
 بوصف حبيبي طرّز الشعر ناظمه \*\*\* ونمّم خدّ الطرس بالنقش راقمه<sup>(274)</sup>  
 نبّي له فضلٌ على الناس كلّهم \*\*\* مفاخره مشهورة ومكارمه  
 رؤوف عطوفٌ أوسع الناس رحمة \*\*\* وجاءت عليهم بالنّوال غمائم  
 له الحسن والإحسان في كل مذهب \*\*\* فأثاره محبوبةً ومعالمه  
 حفيٌّ وفيّ لا تمينٌ عهوده \*\*\* حميُّ أبيّ لا تلينُ شكائمه<sup>(275)</sup>  
 فهام شعراء المديح النبوي بذكر فضائل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتغنوا بها، ولقد  
 وجدوا أنفسهم أمام بحر من الفضائل والمكرّمات.  
 يرى في أشعار ابن الجنان أنه يذكر أن النبيّ (صلى الله عليه وآله) نور الهدى من سماته  
 ويكرر اسمه في ثلاثة أبيات: هو خير هاد وخير داع وخير مبد ويستخدّم أسلوب التعجب في  
 إظهار مكارمه السامية فيقول<sup>(276)</sup>:

صلى على من تبدى \*\*\* نور الهدى من سماته  
 ومن علا الفخر لما \*\*\* نَمى إلى معلّواته<sup>(277)</sup>  
 محمّدٌ خير هاد \*\*\* بحلمه وأناته<sup>(278)</sup>  
 محمّدٌ خير داع \*\*\* بالصدق من كلماته  
 محمّدٌ خير مبد \*\*\* لنا سنا معجزاته  
 أكرم به من نبّي \*\*\* همت سما مكرّماته  
 أعزّز به من رسول \*\*\* سمت علّا درجاته  
 وخصّه الله منه \*\*\* بالفضل من تكرّماته  
 لما حباه بأوفى \*\*\* صلاته في صلاته  
 وتتجلى في مدائحه للرسول (صلى الله عليه وآله) نبوة تتكرر في أكثر من قصيدة حيث يبذل  
 جهده ويركّز طاقته على سياق صفات الرسول (صلى الله عليه وآله) وخلالها. فهو امام جماعة

(273) المصدر السابق 78/4 - فتح المتعال للمقري.

(274) طرّز : زين، نمّم: زين.

(275) الحفي: كثير الإكرام. تمين: تكذب. العهود: المواثيق. الأبي: الذي لا يقبل الضيم. الشكيمة: الأنفة والامتناع من الذل والظلم.

(276) ديوان ابن الجنان ص74. نفح الطيب 348/10.

(277) المعلاة: الرفعة والشرف.

(278) أناة: الحلم والوقار.

المسلمين، وأبهر الخلق وصفاته أعجزت أهل البراعة أن يصفوها ويدركوا أبعادها.  
فيقول<sup>(279)</sup>:

يا ربِّ بلغ سلامي \*\*\* لأحمد ذي الشفاعة  
لخاتم الرسل أعني \*\*\* امامَ تلك الجماعة  
لأبهر الخلق مجداً \*\*\* يحكي الصباح نصاعه  
لمن صفاتُ علاه \*\*\* تعجيز أهل البراعة  
لمرشد بهداه \*\*\* قد فاز عبد أطاعه  
شمس النبوة معط \*\*\* شمس السماء شعاعه  
ومدّ في كل فضل \*\*\* لصفوة الرسل باعه  
فزده يا ربِّ فخراً \*\*\* وزد محبّيه طاعه

يذكر ابن الصباغ الجذامي بعض صفاته (عليه السلام) في قصيدة مطلعها<sup>(280)</sup>:

هَبَّ النسيم بطيب ذكر الهادي \*\*\* فتأرّجت نفحات عرف النادي<sup>(281)</sup>

كرّر على الأسماع ذكر محمد (صلى الله عليه وآله) \*\*\* فلذكره بردّ على الأكباد

وأعد علينا نظم فخر هلال من \*\*\* بهر الورى من حاضر أوبادي

هو ذروة المجد الأثيل وقطبه \*\*\* هو صفوة الأشراف والأمجاد<sup>(282)</sup>

هو بحر جود فاض عذب نواله \*\*\* وصفت موارده لدى الوراد

هو خير خلق الله والمختار من \*\*\* أعلى نجار (أوفخار) جلّ عن أنداد<sup>(283)</sup>

وأبو زيد الفازري يذكر بعض صفات الرسول (صلى الله عليه وآله) في قصيدة - ذكر بعض

أبياتها آنفاً - مطلعها<sup>(284)</sup>:

سلام كعرف الروض أخضله الندى \*\*\* على خير مخلوق من الجنّ والإنس<sup>(285)</sup>

سريّ المزايا ظاهر البأس والندى \*\*\* كريم السجايا طاهر الجسم والنفس<sup>(286)</sup>

ومنها:

---

(279) ديوان ابن الجنان ص116، نفح الطيب 348/10.

(280) أزهار الرياض 248/2.

(281) تارحجت الطيب: فاح.

(282) شرف الأثيل: الأصيل.

(283) النجار: الأصل والحسب.

(284) المجموعة النبّهانية 212/2.

(285) العرف: الرائحة الطيبة. أخضله: بلّله. الندى: المطر الضعيف الذي ينزل آخر الليل.

(286) السري: الشريف. البأس: الشدة. الندى: الكرم.

سحاب يُفيد الخلق رِيًّا بلا صدَى \*\*\* وعِلْمًا بلا شك وبُراء بلا نكس<sup>(287)</sup>  
سريرته والجهر نور وحكمة \*\*\* وقد سبق التطهير للقلب في الطس  
سواه لديه المكثرون وضدّهم \*\*\* وللفقراء الفضل في القرب والأنس  
سجايه رفق بالعباد ورحمة \*\*\* فيُهدي إذا يُضحى ويهدي إذا يُمسي  
وأيضاً يذكر في قصيدة أخرى بعض صفات الرسول (صلى الله عليه وآله) فيقول: <sup>(288)</sup>  
كَمُلْتُ بنعت محمّد خير الورى \*\*\* غرر القوائد كلها وحجولها  
واختصّ دون الأنبياء بدعوة \*\*\* وسع العباد عمومها وشمولها  
فاضت على الثقلين منه أشعة \*\*\* طلعت وما عقب الطلوع أفولها  
فالإنس تعلم أنه مقصودها \*\*\* والجنّ توقن أنه مأمولها  
ومنها:

جمع الإله المكرمات لأمة \*\*\* هذا النبيّ الهاشمي رسولها  
لذلك نرى أن شعراء المديح النبوي حاولوا قدر استطاعتهم أن يُجملوا فضائل رسول الله  
(صلى الله عليه وآله)، وأن يوضحوا خصائصه وميزاته فكرّروها في جميع قصائدهم وتتبعوها في  
مصادرهم حريصين على ألا يفوتهم شيء منها ليظهروا ما كان عليه رسول الله (صلى الله عليه  
وآله) من عظمة وسموّ في الجانب الديني والجانب الإنساني وما تركه من خير ورحمة لأُمته  
وليشيعوا هذه السمائل الكريمة بين الناس لينعموا بذكرها ويقتدوا ويعتبروا بها وقد مرّ ذكرها  
سابقاً.

---

(287) الصدى: العطش. النكس: رجوع المريض بعد الشفاء.

(288) نفح الطيب 354/10.

## الحبّ والمحبة

من المضامين التي نجدها في كثير من قصائد المديح النبوي هو حب الرسول (صلى الله عليه وآله). فأظهر جميع مدّاحي النبي (صلى الله عليه وآله) محبتهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وتشوقهم لزيارته وحنينهم إلى القرب منه فنرى في أشعار ابن الجنان وكثير من الشعراء أنهم هيام بحب النبي (صلى الله عليه وآله). والشاعر يتفنن في عرض زوايا حبه إياه بأفانين الأساليب، فهو في ميدانه بارع ساطع، وآماله كلها تتجسد في حب النبي (صلى الله عليه وآله) حتى أنه يرجو أجفانه النصفة فتسفك دماءاً لا دموعاً.

يقول ابن الجنان في هذا<sup>(289)</sup>:

فما لي لآمالي سوى حب أحمد \*\*\* وصلت له قرب قلبي وشائج<sup>(290)</sup>  
ولو أنصفت أجفانه حق وجده \*\*\* سفكت دماءاً للدموع موازجا  
لذلك نجد الرسول (صلى الله عليه وآله) في ضميره يعيش معه في حله وترحاله، ولا تكاد صورته تغادره ساعة من نهار. وقال أبو عبد الله محمد الشراف الأندلسي: <sup>(291)</sup>  
فما سوى حبي للمصطفى \*\*\* وسيلة لي بُعراها اتصال<sup>(292)</sup>  
ذلك تجري وعلى فضله \*\*\* طمعت في الفضل بلا رأس مال<sup>(293)</sup>  
وقال محمد بن جابر الأندلسي في إحدى قصائده المشهورة عن حبه لرسول الله (صلى الله عليه وآله): <sup>(294)</sup>

حبيبُ لربِّ العالمين فحُبُّه \*\*\* يُخالط منّا العظمَ واللحمَ والعِرْقَا

(289) ديوان ابن الجنان ص26.

(290) الوشائج مفردتها الوشيجة: القرابة المشتبكة المتصلة.

(291) المجموعة النبهانية 258/3.

(292) العرى: محل الاستمساك جمع عروة.

(293) تجري: تجارتي.

(294) المجموعة النبهانية 350/2.

وأبو عبد الله محمد بن عبد الله المريني أحد تلاميذ أبي حيان في قصيدة يمدح النبي (صلى الله عليه وآله) ويشير فيها إلى حبه له (صلى الله عليه وآله) (295):

حُبِّي إِلَيْكَ وَسِيلَتِي وَذَخِيرَتِي \*\*\* إني من الأعمال ذو إملاق

وأيضاً أبو زيد الفازاري يذكر محبته ويقول (296):

مدحتُ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بدءاً وعودة \*\*\* ومقداره في البدء والعود أعظم

مدائح مملوء الفؤاد محبة \*\*\* يُجمِّعُ شوقاً والدموع تُترجم (297)

وقال مالك بن المرحل السبتي (298):

أحبّ رسول الله حبّاً له أنّه \*\*\* تقسّمه قومي كفّهم قسائمه

كانَ فؤادي كلما مرّ ذكره \*\*\* من الورق خفاقٌ أصيبت قوادمه (299)

أهيمُ إذا هبّت نواسمُ أرضه \*\*\* ومَنْ لفؤادي أن تهبّ نواسمه

قال ابن العريف في كتاب مطالع الأنوار ومنابع الأسرار معرباً عن المضامين المطروحة في هذه الأبيات (300):

وحقّ يا محمد إن قلبي \*\*\* يحبك قربة نحو الإله

جرت أمواه حبك في فؤادي \*\*\* فهام القلب في طيب المياه

فصرت أرى الأمور بعين حق \*\*\* وكنت أرى الأمور بعين ساهي

إذا شغف الفؤاد به وداداً \*\*\* فهل ينهاه عن ذكره ناهي

يهيم بذكره ويحن شوقاً \*\*\* حنين المستهام إلى الملاهي

محبة المسلمين للنبي (صلى الله عليه وآله) دفعتهم إلى محبة البقاع التي تشرفت بنشأته

وترعرعه ولاسيما المدينة المنورة حيث ضريح أكرم مرسل؛ لذلك نراهم قد أكثروا من

وضع الأسماء لها.

ومن المعلوم أن قلوب المحبين تتطلع نحو طيبة وأرواحهم تتشوق إلى زيارة قبر

الرسول الشريف (صلى الله عليه وآله) يقول ابن جابر الأندلسي (301):

---

(295) المصدر السابق 359/2.

(296) المصدر السابق 57/4.

(297) مجمع الرجل: إذا لم يبين كلامه.

(298) المجموعة النبهانية 79/4.

(299) الورق: الحمام. خفق بجناحه: حركه. القوادم: ريش الجناح.

(300) نفح الطيب 344/10.

(301) المجموعة النبهانية 350/2.

هناؤكم يا أهل طيبة قد حقًا \*\*\* فبالقرب من خير الورى حُزتم السبقا  
فلا يتحرك منكم ساكنٌ إلى \*\*\* سواها وإن جار الزمان وإن شقا  
ومنها:

ترون رسولَ الله في كل ساعة \*\*\* ومن يَرَهُ فهو السعيدُ به حقًا  
فهذا الشوق وهذا الحب الذي يبديه شعراء المدائح النبوية هو شعور ديني يظهر تعلق  
المسلمين برسولهم الكريم (صلّى الله عليه وآله) ويظهر مكانته عندهم وهو أملهم في حياتهم  
ومماتهم.

## المعجزات

يوجد في معظم القصائد حديث عن المعجزات التي اشتهرت في كتب السيرة مثل المعجزات التي ظهرت عند مولد النبي (صلى الله عليه وآله) وبعثته ودعوته منها انشقاق إيوان كسرى، خمود نار فارس وغيض بحيرة ساوة، حنين الجذع وشق البدر ونبع الماء من بين أصابع الرسول (صلى الله عليه وآله) وسلام الأحجار وتنزيل الكتاب وتكليم الطي وذراع الشاة، إضافة إلى ما تناولته كتب السيرة والتاريخ من أحوال أم النبي (صلى الله عليه وآله) في ليلة الميلاد وأحوال مرضعته وقصة الإسراء والمعراج وغير ذلك من الأخبار والمعجزات.

يذكر ابن الجنان بعض هذه المعجزات في ميميته التي جاءت في اثنين وعشرين بيتاً استهل أبياتها، السبعة الأولى بجملة «صلّوا على»، وانسأقت في محورين: أحدهما يقوم على تعداد خصاله السامية وصفاته الرفعية، وآخر يقوم على أساس تفردّه بالمعجزات الخارقة<sup>(302)</sup>.

ومطلع هذه القصيدة:

صلّوا على خير البرية خيماً \*\*\* وأجلّ من حاز الفخار صميماً

صلّوا على من شرّفت بوجوده \*\*\* أرجاء مكة زمزماً وحطيماً

بعد عدة أبيات يشير إلى معجزات النبي (صلى الله عليه وآله) ويقول:

وبدت شواهد صدقه قد قسّمت \*\*\* بدر الدجى لقسيمه تقسيماً

والشمس قد وقفت له لما رأت \*\*\* وجهاً وسيماً للنبي وسيماً

كم آية نطقت تصدّق أحداً \*\*\* حتى الجمادُ أجابه تكليماً

والجذع حنّ حنين صبّ مغرم \*\*\* أضحى للوعات الفراق غريماً

صار ذكر المعجزات سمة عامة في المدائح النبوية، ويحاول الشاعر ابن الجياب الأندلسي أن يحشد أكبر قدر من المعجزات في قصيدته، ويشير إلى بعض الأحداث التي

رافقت المولد النبوي مثل تصدع إيوان كسرى وخمود نار الفرس وهلاك أصحاب الفيل و...  
فيقول: (303)

تجلّت قصور الشام عند طلوعه \*\*\* بمكة فاقدر قدر تلك المخايل (304)  
وايوان كسرى ارتجّ والنار أخدمت \*\*\* فأصبح ممّا نابّه جدّ واهل (305)  
وللموبدان فيه رؤياً صدوقة \*\*\* عرّته لمرآها ضروب الأفاكل (306)  
وأهلك أهل الفيل عند ظهوره \*\*\* فتنبأ لرأي من أولي الفيل فائل (307)  
ومنها معجزة انشقاق الصدر فقد ذكره الشاعر في قصيدته معبراً عن النقل المتواتر لما  
شاهدته حليلة مرضعته من بركات ومعجزات كثيرة في نفسها والحيوانات كالناقة و... فقال:  
وكم بركات شاهدها حليلة \*\*\* تواترنّ نقلاً عن ثقات الأعدل  
ففي نفسها قد شاهدها وشارف \*\*\* لها وأتان ثم ضأن حوائل (308)  
ومن بعد هذا شاهدت شقّ صدره \*\*\* فخافت عليه من عدّومخائل (309)  
ثم يشير إلى معجزات أخرى، أولها القرآن الكريم الذي لا يستطيع الجن والإنس أن يأتوا  
بمثله، وتابع ذكر المعجزات فيقول:

ولمّا اصطفاه الله للوحي لم يزل \*\*\* يؤيّده بالمعجزات الدلائل  
فجاء بشمس قد جلّت كلّ غيّهَب \*\*\* وأسياف برهان قواض قواصل (310)  
تحدّى بهنّ الخلق إنساً وجنّة \*\*\* فلم يُلفَ من يأتي لها بمقابل  
فأولّها القرآنُ أعظم حجة \*\*\* رشادٌ لذي غيٍّ وعلمٌ لجاهل  
هو الحكمة العظمى هو الحجة التي \*\*\* لها من إله العرش أعظم كافل (311)  
وكم دونه من معجزات شواهد \*\*\* بتصديق مبدئها شهادة عادل  
جرى الماء عذباً من أصابع كفه \*\*\* وسال معيناً بين تلك الأنامل (312)

---

(303) المجموعة النبهانية 164/3.

(304) اقْدُرْ : عَظُم. المخايل جمع مخيلة: محل الظن.

(305) الواهل: الضعيف والخائف، ويقال هو جدّ فاضل ونحوه أي متمكن في الفضل حقيق به.

(306) عرّته: نزلت به. الأفاكل جمع أكل وهو الرعدة.

(307) تنبأ : هلاكاً. الرأى الفائل: المخطيء والضعيف.

(308) الشارف: الناقة. الاتان: الحمارة. الحوائل: الحائل، خلاف الحبلى.

(309) المخائل: المخادع.

(310) القواصل: القواطع.

(311) الكافل: الحافظ.

(312) المعين: الجاري.

وبدر السماء انشقّ طوعاً لأمره \*\*\* وقد كَلَمَتْهُ الشاة تكليم عاقل  
وقد شهد الثورُ الذبيحُ بصدقه \*\*\* وذنب الفلا فاعجب لقل مجادل<sup>(313)</sup>  
وصدّقه الأشجار والأرض كلها \*\*\* فأدماؤها في ذاك مثل الأجادل<sup>(314)</sup>  
وقد خاطبته أمّ خشفين ظبية \*\*\* وقد وعدّته مؤعداً غير حائل<sup>(315)</sup>  
وخاطبه ضبّ الفلاة بخطبة \*\*\* تُغادر سحباناً مضاهي باقل<sup>(316)</sup>  
وحنّ إليه الجذعُ والشجر التي \*\*\* تخذُ إليه كالمطىّ الزوامل<sup>(317)</sup>  
ثم يذكر معجزات أخرى، ونحن نكتفي بذكر هذا المقدار عنها من هذا الشاعر.  
وقال ابن زمرك في قصيدة مطلعها<sup>(318)</sup>:

لعلّ الصبا إن صافحت روض نعمان \*\*\* تُؤدّي أمان القلب عن ظبية البان  
ويشير إلى بعض المعجزات منها:  
شرفت بمولده جبال تهامة \*\*\* وقباب رامة والصفاء وحجون  
ومجوس فارس أخدمت نيرانها \*\*\* وقصور بُصرى أبصرت بعيون  
ومنها:

سألت قريش أن يُريهم آية \*\*\* كبرى فأظهرها لهم في الحين  
وأشار للبدر المنير فشقّ في \*\*\* كبد السماء وعاد كالعرجون<sup>(319)</sup>  
ويقول في قصيدة أخرى:<sup>(320)</sup>  
ذوالمعجزات العزّ والآي الألى \*\*\* أكبرن عن عدّ وعن إحصاء  
وكفأك ردّ الشمس بعد مغيبها \*\*\* وكفأك ما قد جاء في الإسراء  
والبدرُ شقّ له وكم من آية \*\*\* كأنامل جادت بنبع الماء  
وبليلة الميلاد كم من رحمة \*\*\* نشرَ الاله به ومن نَعْماء

---

(313) المجادل: المخاصم.

(314) الأدمات: جمع دمث وهو المكان السهل اللين، والأجادل: جمع جدل وهو الصلب.

(315) الخشف: ولد الظبية، الحائل: المتغير.

(316) الضبّ: حيوان يشبه الحرذون أكبره كالغنز. سحبان: مشهور بالفصاحة. المضاهي: المشابه. باقل: مشهور بالفهاة وهي البلادة.

(317) حن: إشتاق. الجذع أصل النخلة، تخذ: تشق، المطي: الإبل المركوبة، الزوامل: من الدواب التي كأنه يطلع ويعرج من نشاطه.

(318) ديوان ابن زمرك ص119-116. نفح الطيب 45-50/5 - أزهار الرياض 42/2.

(319) العرجون: العذق الذي يحمل البلح، ما يحمل التمر.

(320) أزهار الرياض 47/2، المجموعة النبهانية 146/1.

وقد اكتفى الشاعر - ابن زمرك - أحياناً بمعجزه واحدة أو اثنتين بقوله<sup>(321)</sup>:

كم آية لرسول الله معجزة \*\*\* يَكِلُّ عن منتهاها ألسن الفصحا  
إن رُدَّت الشمسُ من بعد الغروب له \*\*\* قد ظلَّته غمام الجوّ حيث نحا  
وكانت قصة الإسراء والمعراج منبعاً ثراً يستمد منه الشعراء مدائحهم. ويحتفظ المقرئ  
بمخمسة منها لابن سهل تدور حول معجزة الإسراء وبعض معجزات الرسول (صلى الله عليه  
 وآله) الأخرى فمنها قوله<sup>(322)</sup>:

اجتث في السبع الطباق براقه \*\*\* والأرض واجهة تخاف فراقه  
سبحان من أدنى سُرّاه فساقه \*\*\* شخصاً على ملك الملوك كريما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

وقال أبو القاسم محمد بن يحيى الغساني البرجي الغرناطي<sup>(323)</sup>  
سرى وجُنحُ ظلام الليل مُنسدل \*\*\* والتّجم لا يهتدي في الأفق ساربه<sup>(324)</sup>  
يَسْمُوا لكلّ سماء منه منفرد \*\*\* عن الأنام وجبرائيلُ صاحبه  
لمنتهى وَقَفَ الروحُ الأمينُ به \*\*\* وامتازَ قُرباً فلا خَلْقُ يقاربُه  
لقاب قوسين أو أدنى فما عَلِمَت \*\*\* نفسٌ بمقدار ما أولاه واهبه  
أراه أسرار ما قد كان أودَعَه \*\*\* في الخلق والأمر باديهِ وغائبه<sup>(325)</sup>  
وآبَ والبدرُ في بحر الدّجى غَرَقُ \*\*\* والصُّبحُ لَمّا يؤب للشرق آييه<sup>(326)</sup>  
وقال أبو زيد الفازي عن معراج النبيّ (صلى الله عليه وآله) بقوله<sup>(327)</sup>:  
سرى نحو مولاه وجبريلُ صاحبٌ \*\*\* فناهيك من قُديسين في حضرة القدس<sup>(328)</sup>  
سما صُعداً فوق السموات كلّها \*\*\* إلى مستوى ما حلّه قُبْلَه إنسي  
وقال ابن زمرك في قصيدته النونية<sup>(329)</sup>:

---

(321) أزهار الرياض 54/2.

(322) نفح الطيب 300/10.

(323) المجموعة النبهاية 369/1.

(324) سرى: سار ليلاً. جنح الظلام: الطائفة منه. المنسدل: المرخي. السارب: الماشي.

(325) الخلق والأمر من قوله تعالى: (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ).

(326) آب: رجع.

(327) المجموعة النبهاية 213/2.

(328) ناهيك: كافيك.

(329) المجموعة النبهاية 168/4. نفح الطيب 46-50/5.

أسرى به الروح الأمين لربه \*\*\* بمقام صدق لا ينال مكين<sup>(330)</sup>

تحدث الشعراء في هذه الأبيات عن الإسراء والمعراج ووصفوا لنا كيفية إسرائه ومعراجيه وشددوا على مكانة الرسول عند ربه والتي لا يدانيه فيها أحد وتابع رحلته واخترق سبع سموات طباقاً حتى بلغ من السماء قاب قوسين أو أدنى فحاز خلال ذلك كل عزّ وفخار. معجزة الإسراء والمعراج معجزة مشتركة بين المدائح النبوية، ونرى أكثر الشعراء يذكرون هذه المعجزة وإنما في هذا الكتاب نماذج قليلة منها، فجميع مداحي النبي (صلى الله عليه وآله) ذكروا معجزات الرسول (صلى الله عليه وآله) واتسعوا في الحديث عنها وأشاروا إليها في قصائدهم.

الفصل الرابع: المشفعات

### المشفعات

أكثر الشعراء من التوسل إلى الرسول والتشفع به فيما يمكن أن نسميه «المشفعات» وتشغل هذه القصائد حيزاً كبيراً في موضوع المدائح النبوية ولابن الجنان قصائد كثيرة في هذا الضرب وهو يرجو بجاه الرسول (صلى الله عليه وآله) أن ينال الحظوة عند الله وغفران الذنوب وهو الصادق في حبه إياه إذ يقول في إحدى مشفعاته<sup>(331)</sup>:

أيذهب يوم لم أكفر ذنوبه \*\*\* بذكر شفيح في الذنوب مشفع  
ولم أقض في حق الصلاة فريضة \*\*\* على ذي مقام في الحساب مرفّع  
أرجي لديه النفع في صدق حبه \*\*\* ومن يربح المختارَ لاشك ينفع  
وأهدي إلى مثواه مني تحية \*\*\* إذا قصدت باب الرضى لم تدفع

(330) المكين: المتمكن.

(331) ديوان ابن الجنان ص117 ونفح الطيب 353/10.

ويقول في مشفعة أخرى متوسلاً بالرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) ويمزج في قصائده بين الدعاء إلى الله سبحانه والتضرع له والتوجه إلى الرسول بطلب الشفاعة والرحمة وهذا ما يعرب عنه في ميميته<sup>(332)</sup>:

يا أرحم الخلق يوم الحشر والندم \*\*\* ارحم عبديك يا ذا الطول والنعم  
إني توسلت بالمختار ملجأنا \*\*\* الطاهر المجتبي من خيرة الأمم  
فهو الشفيع الذي أرجو النجاة به \*\*\* من الجحيم إذا الكفار كالحمم  
وتتكرر هذه النبرة عند الشاعر في عينية أخرى<sup>(333)</sup>:  
بحبيب القلوب معتمد الخلد \*\*\* بق أبي القاسم النبي الشفيع  
قد تشفعت من ذنوبي إلى ذي الـ \*\*\* عزة الواحد العلي السميع  
فاشفع اشفع يا خاتم الرسل يوم الـ \*\*\* حشر والمشهد العظيم الفظيع  
لظلوم لنفسه قد تناهى \*\*\* في الخطايا وكل فعل شنيع  
ويشفع ابن الجنان الرسول (صلى الله عليه وآله) ليكفر خطايا وذنوبه ويرجو النجاة به من النار، وفي كثير من قصائده يوجد اقتران ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالشفاعة والوسيلة. واختتم ابن زمرك همزيته بطلب الشفاعة من النبي (صلى الله عليه وآله) فيقول<sup>(334)</sup>:  
يا ملجأ الخلق المُشَفَّع فيهم \*\*\* يا رحمة الأموات والأحياء  
يا آسي المرضى ومُنْتَجِع الرضى \*\*\* ومواسي الأيتام والضعفاء<sup>(335)</sup>  
أشكوا إليك وأنت خير مؤمل \*\*\* داء الذنوب وفي يديك دوائي  
إني مددتُ يدي إليك تضرعاً \*\*\* حاشا وكلاً أن يخيب رجائي  
طلب ابن جابر المغفرة ويتشفع بالنبي (صلى الله عليه وآله) ويحرص على التوسل به ويذكر سبب لجوئه إليه فهو لا يخيب من لجأ إليه وكثرة ذنوبه والنجاة منها بشفاعته... بقوله<sup>(336)</sup>:  
يا من اذا لجأ الضعيف لبابه \*\*\* أبت المكارم أن يُضَيَّعَ من لجأ  
عظمت ذنوبي والعظام كلها \*\*\* بعظيم جاهلك نرتجي أن تُفَرِّجَا  
خذ سيدي بيدي أغثني إنني \*\*\* أصبحت في بحر الذنوب ملجلاً

---

(332) المصدران السابقان.

(333) ديوان ابن الجنان ص26. المصدر السابق.

(334) أزهار الرياض 47/2 - المجموعة النبهانية 146/1.

(335) الآسي: الطبيب. انتجع فلاناً: قصده يطلب معروفه.

(336) المجموعة النبهانية 463/1.

مَنْ مُنْقِذِي إِلَّا شَفَاعَتُكَ الَّتِي \*\*\* تُنْجِي إِذَا لَهَبُ الْجَحِيمِ تَأَجَّجَا<sup>(337)</sup>  
 إِنْ كَانَتْ الصَّدَقَاتُ مَخْصُوصاً بِهَا \*\*\* ذَوْحَاجَةٌ لَمْ تُؤْلَفِ مِنِّي أَحْوَجَا<sup>(338)</sup>  
 هَذَا وَكُلُّ النَّاسِ صَاحِبُ حَاجَةٍ \*\*\* لَكَ وَالْغَنِيُّ يُرَى لِجَاهِكَ مُحَوَّجَا  
 مَا كَانَ يَطْمَعُ فِي النِّجَاحِ مُؤَمِّلٌ \*\*\* لَوْلَا شَفَاعَتُكَ الَّتِي هِيَ تُرْتَجَى  
 فَذَكَرَ أَكْثَرَ شُعَرَاءِ الْمَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ التَّوَسَّلَ بِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَيُوجَدُ طَلَبُ  
 شَفَاعَةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي الْقَصَائِدِ النَّبَوِيَّةِ فَأُضْحَى التَّوَسَّلَ وَالتَّشَفَّعَ أَحَدَ أَرْكَانِ  
 الْمَدْحَةِ النَّبَوِيَّةِ. يَقُولُ ابْنُ زَمْرَكٍ فِي إِحْدَى مِنْ قَصَائِدِهِ<sup>(339)</sup>:  
 كُنْ لِي شَفِيعاً يَوْمَ لَا يُغْنِي الْوَرَى \*\*\* فِيهِ شَفَاعَةُ صَاحِبِ وَخْدَيْنِ<sup>(340)</sup>  
 وَفِي إِحْدَى مَوْشَحَاتِهِ يَقُولُ: <sup>(341)</sup> \*\*\* عَسَى شَفِيعُ النَّاسِ يَوْمَ الْحِسَابِ \*\*\* وَمَلْجَأُ الْخَلْقِ  
 لِرَفْعِ الْكَرُوبِ  
 يُلْحَقْنِي مِنْهُ قَبُولٌ مُجَابٍ \*\*\* يَشْفَعُ لِي فِي مَوْبَقَاتِ الذُّنُوبِ<sup>(342)</sup>  
 قَالَ ابْنُ الْجِيَابِ الْأَنْصَارِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ<sup>(343)</sup>:  
 هُوَ الْمَلْجَأُ الْأَحْمَى هُوَ الْمُؤْتَلُّ الَّذِي \*\*\* بِهِ فِي غَدٍ يَسْتَشْفَعُ الْمَذْنِبُ الْخَطَا<sup>(344)</sup>  
 وَمِمَّا حَرَّصَ شُعَرَاءُ الْمَدِيحِ النَّبَوِيِّ عَلَى ذِكْرِهِ فِي قَصَائِدِهِمْ هُوَ التَّوَسَّلُ بِالنَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَآلِهِ) وَطَلَبُ الشَّفَاعَةِ مِنْهُ، وَهَذَا جَزْءٌ هَامٌ فِي الْمَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ وَيَبِينُ نَظْرَةَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى  
 رَسُولِهِمُ الْأَمِينِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

(337) تَأَجَّج: تَوَقَّدَ.

(338) لَمْ تُلَف: لَمْ تَجِدَ.

(339) الْمَجْمُوعَةُ النَّبَهَانِيَّةُ 168/4.

(340) الْخَدَيْنِ: الصَّدِيقِ.

(341) نَفْحُ الطَّيِّبِ 280/7، أَزْهَارُ الرِّيَاضِ 205/2، دِيَوَانُ ابْنِ زَمْرَكٍ ص 161.

(342) الْمَوْبَقَاتُ: الْمَهْلَكَاتُ.

(343) الْمَجْمُوعَةُ النَّبَهَانِيَّةُ 241/2.

(344) الْمَلْجَأُ: الْمَلَاذُ. الْمُؤْتَلُّ: الْمَرْجَعُ. الْخَطَا: كَثِيرُ الْخَطَا.

## الحقيقة المحمدية

ومن المفاهيم التي شاعت في شعر المديح النبوي بالمشرق فكرة الحقيقة المحمدية أو النور المحمدي. وهي نظرية دينية، واختلف العلماء في مصدرها فأعادها بعض منهم إلى الإسلام واتجاهاته المتعددة، وبعض آخر منهم يرجعونها إلى المسيحية والفلسفات اليونانية. أما الظروف التي دعت إلى شيوعها فمنها الصراع العقائدي مع أهل الكتاب ومحاولة مجاراتهم في صفة السيد المسيح (عليه السلام) وطبيعته، ومنها انتشار التصوف الذي يميل مريدوه إلى الغيبيات والمعجزات.

إن ما يفهم من الحقيقة المحمدية في مجملها هو «أن الله تعالى خلق الوجود بخلق نور، وهذا النور هو أفضل ما في الخلق. وهو النور المحمدي أو هو النور الذي تجسّد فيما بعد بالنبى محمد (صلى الله عليه وآله)». (345)

لذلك تقوم الحقيقة المحمدية على أساس الاعتقاد بأن أول ما خلق الله محمد (صلى الله عليه وآله) فأعلمه النبوة وبشّر بها، وقد تسرّبت هذه الفكرة إلى شعراء الأندلس، وكان ابن الجنان أحدهم، فمن ذلك قوله: (346)

سلام على النور الذي كان كامناً \*\*\* بآدم أنذر الملائك سجدا  
وقد وُضعت هذه النظرية في قالب آخر و«هو أن هذا النور أودع في صلب آدم (عليه السلام)، ولا زال ينتقل حتى انتقل إلى والدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهم بذلك يريدون الاقتراب من قيمة النسب التي حرص عليها العرب واعتزوا بها وأعطوها عند النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) نوعاً من القداسة» (347). وغالى بعض من الذين اعتقدوا بالحقيقة المحمدية في هذه العقيدة فجعلوا النور المحمدي أول مخلوق ثم جعلوا الوجود كله مخلوقاً من

(345) المدائح النبوية، د. محمود سالم محمد ص 247.

(346) ديوان ابن الجنان، رقم القصيدة 9 و38.

(347) المدائح النبوية، د. محمود سالم محمد ص 247.

هذا النور، «واشتقت من هذه النظرية فكرة تفضيل رسول الله (صلى الله عليه وآله) على جميع أنبياء الله ورسله، فالنبي (صلى الله عليه وآله) في عالم الغيب أول الأنبياء إن كان في عالم الشهادة هو آخرهم».(348)

ذكرت فكرة الحقيقة المحمدية في شعر ابن زمرك فهو جعل رسول الله علة الوجود وسره فقال(349):

وأنت لهذا الكون علة كونه \*\*\* ولولاك ما امتاز الوجود بأكوان

ولولاك للأفلاك لم تجلُ نيراً \*\*\* ولا قُلدت لبائهن بشُهبان(350)

وسيد هذا الخلق من نسل آدم \*\*\* وأكرم مبعوث إلى الإنس والجان  
ويشير إلى ذلك لسان الدين بن الخطيب بقوله(351):

وعلة هذا الكون أنت وكلّ ما \*\*\* أعاد فأنت القصدُ فيه وما أبدى

ففي عالم الأسرار ذاتك تجتلي \*\*\* ملامح نور لاح للطور فائهاً

وقد عبّر ابن العربي عن اعتقاد الصوفية في الحقيقة المحمدية قائلاً:(352)

ألا بأبي مَنْ كان ملكاً وسيداً \*\*\* وأدم بين الماء والطين واقف

فذاك الرسولُ الأبطحي محمدٌ \*\*\* له في العُلا مَجْدٌ تليدٌ وطارف(353) لاقت الحقيقة

المحمدية قبولاً عند معظم شعراء المديح النبوي - في كل مذهب - وحافظوا جميعاً على جوهرها القائم على قدم النور المحمدي الذي خُلِق قبل خلق الكون والذي فاضت عند المخلوقات كلها.

وقد يذكر الشعراء المتصوفون الحقيقة المحمدية ويدعون وراثتها وكأنهم بذلك يمدحون أنفسهم بعد أن مدحوا صاحبها، وكما كان آل البيت(عليهم السلام) يمدحون بالانتساب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان الخلفاء يحرصون على أية نسبة إليه مهما كانت بعيدة، فإن

---

(348) المصدر السابق ص 248.

(349) ديوان ابن زمرك ص 118.

(350) اللبّات: جمع لبّة، وهي موضع القلادة من العنق. الشهبان: جمع شهاب، وهو النجم المضيء اللامع.

(351) المجموعة النبهانية 33/2. نفح الطيب 453/6.

(352) الفتوحات المكية 143/2. المجموعة النبهانية 302/2.

(353) الأبطحي: منسوب لأبطح مكة المشرفة، وأصل الأبطح و البطحاء مسيل الماء بين الجبال. التليد: الموروث، الطارف: المستحدث.

المتصوّفة، مدحوا أنفسهم أو افتخروا بالانتساب إلى الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) ووراثته علمه عن طريق الحقيقة المحمدية فيقول ابن عربي في ذلك<sup>(354)</sup>:

أقول لأدم أصلُ الجسوم \*\*\* كما أصلُ الرسالة شرع نوح  
وإنَّ محمّداً أصلُ شريف \*\*\* عزيزٌ في الوجود لكل روح  
أنا ولَدُ آبَاء كرام \*\*\* فنُوري في الإضاءة مثل يُوح<sup>(355)</sup>  
أنا ابن محمّد وأنا بن نوح \*\*\* كما أني ابنُ آدمَ في الصحيح  
فيا مَنْ يَفْهَمُ الأَلغازَ هذا \*\*\* لشأن رموزنا بالعلم نوحى  
فيعتقد ابن عربي أن روح رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصل أرواحنا، فهو أول الآباء روحاً وأدم أول الآباء جسماً ونوح أول رسول أرسل ومن أرسل قبله إنما كان نبياً وقد ورث النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) هؤلاء جميعاً على وجه من الوجوه.

---

(354) الفتوحات المكية 50/3.

(355) يوح: الشمس.

## الشعر الصوفي

علينا أن نشير هنا إلى التصوف والشعر الصوفي: فقد عرف المسلمون التصوف منذ زمن مبكر، وكان بسيطاً مستمداً من سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) وأحاديثه ومن دعوة الإسلام إلى الإعراض عن زخارف الدنيا وإلى تقوى الله في الظاهر والباطن والإخلاص له. والشعر الصوفي تيار قائم بذاته يعبر عن أحوال المتصوفة وتطلعاتهم وعقائدهم ومواجدهم، وقد جاء ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في هذا الشعر لأنه شعر ديني فلا بد من ذكر النبي (صلى الله عليه وآله) فيه وبحثوا ماهية النبوة وعلاقتها بالولاية ووصفوه بالقطب الأكبر، وأيضاً لهم تعابير أخرى له مثل الغوث، مفيض العلوم، منبع الأسرار وغيره. ومن هنا جاء التداخل بين الشعر الصوفي وشعر المديح النبوي، ونجد بعض الخصائص المشتركة بينهما وهذا ما جعل الدكتور زكي مبارك أن يقول: «إنّ المدائح النبوية من فنون الشعر التي أذاعها التصوف»<sup>(356)</sup>.

وهذا الرأي لا يحتمل أن يكون صحيحاً لأن المدائح النبوية - خاصة في المغرب العربي والأندلس - قد ظهرت في زمن متقدم على هذا الشعر، ولكن نستطيع أن نقول: شارك المتصوفة في هذا الفن مشاركة واسعة فاعلة، وأثروا فيه تأثيراً كبيراً وبينهما علاقة وثيقة فكانت مقدماتهم الغزلية وحنينهم إلى المعاهد المقدسة من الأشياء التي حافظت عليها المدحة النبوية بالإضافة إلى كثير من أفكارهم واصطلاحاتهم وعباراتهم التي أضحت متداولة في الشعر العربي وخاصة في شعر المديح النبوي.

إن المتصوفة مزجوا ذكرهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بعقائدهم وبرموزهم، فابن عربي يقول<sup>(357)</sup>:

يا أهل يثرب لامقامٍ لعارف \*\*\* ورث النبي الهاشمي محمداً

(356) المدائح النبوية، د. زكي مبارك ص17.

(357) المدائح النبوية، د. محمود سالم محمد ص111 نقلاً عن الديوان الأكبر ص79.

عمّ المقامات الجسام عروجه \*\*\* وبذاك أضحى في القيامة سيّدا  
صلّى عليه الله من رحّموته \*\*\* ومن أجله الروح المطهر أسجدا  
لأبيه آدم والحقائق ثوّم \*\*\* عن قولنا وعن انشقاق قدهدى  
فجوامع الكلم التي اسمائها \*\*\* في آدم هي للمقرب أحمدا

يتضح من شعر ابن عربي «أنه يمدح رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من منطلق عالم الصوفية الغيبي، فالمتصوفة لا يتحدثون عنه إلا ضمن عالم الغيب الذي بنوه لأنفسهم؛ لذلك يتضح من شعرهم جانب ويغض جانب آخر وهم يدورون داخل نطاق الحقيقة المحمدية، لا يخرجون عنها. وحين يذكر ابن عربي الرسول الأمين (صلّى الله عليه وآله) مادحا يذكره ضمن قصائد تتحدث عن طريقته أو ضمن مقطوعات صغيرة، بدأها واضحة، ثم استغرق في إبهام لا يحسن تفسيره إلا المتصوفة أنفسهم وكأنه يعطي السامع أو القارئ ما يدل على الموضوع ويسير به شيئا فشيئا إلى عالمه الخاص»<sup>(358)</sup> وهذه طريقة معظم المتصوفة في مدح الرسول الكريم (صلّى الله عليه وآله) ولا يستطيعون أن يخرجوا عن عالمهم الغامض. فبشكل رمزي قد انتقلت طريقته إلى قصائد المدائح النبوية، وعلى هذا النهج كان ذكرهم لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) ومدحه، فلا تتضح معاني المديح إلا بصعوبة يلقيها الغموض ويحجبها الرمز فيقول ابن عربي (359) :

دثروني زملوني قول من \*\*\* خصّه الرحمن بالعلم الحسن<sup>(360)</sup>  
حين جلى الروح بالأفق له \*\*\* وهو في غار حراء قد سجن  
نفسه فيه لأمر جاءه \*\*\* في غيابات الفؤاد المستكن  
لتجلّ قام في خاطره \*\*\* صورة مجموعة من كل فنّ  
كلما أحضره في خلدي \*\*\* حنّ قلبي لتجليه وأنّ  
فلذا يُقلّتي سهده \*\*\* ولذا أزهد في دنّ دنّ

نجد في هذه القصيدة مدح رسول الله، وقد تحدث فيها ابن عربي عن لحظة البعثة ونزول الوحي عليه ووصف ما حدث للنبي (صلّى الله عليه وآله) من وراء ذلك الأمر وهذا هو الجانب الذي اهتم به المتصوفة، جانب الوحي وعالم الغيب واتصال العالم المحسوس به، وهم الذين

(358) المدائح النبوية د. محمود سالم محمد ص 111.

(359) الفتوحات المكية 46/3.

(360) دثروني: زملوني إشارة إلى الآيات الشريفة (يا أيّها المدثر) و(يا أيّها المزمل) سورة المزمل 1/73. سورة المدثر

قامت طريقته على إيجاد هذه العلاقة وإقامتها بين العالمين. وأيضاً نجد في القصيدة هذه كلمة (دندن دن) وهي تعبير عن الأسرار الإلهية ومن الرموز الصوفية التي حرص المتصوفون على إخفائها عن غيرهم.

فالحقيقة المحمدية ظاهرة في الأبيات والنبى (صلى الله عليه وآله) هو سبب الوجود وهو نور الأنبياء وهداهم وهو القطب أو غوث العوالم كلها، وهذه كلها معان صوفية يذكرها الشعراء في شعرهم. واعتقد الشعراء بأنه خلق قبل كل خلق والذي فاضت عنه جميع المخلوقات فأضحى بذلك علة الكون.

### الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله)

إن الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) من ألصق ما يقال بموضوع المدح النبوي، وحث الله على الصلاة على نبيه بقوله: (إن الله وملائكته يصلون على النبي...) (361) فالآية الكريمة تتضمن فعلي الأمر (صلوا وسلموا). لذلك يتجلى هذا الأمر واضحاً عند بعض الشعراء ويتنامى حتى يتجسم في حقيقة أن الصلاة عليه تصبح هدفاً وغاية في أشعارهم.

ويلاحظ أن الآية قد أتت بصيغة المضارع "يصلون" لتدل على أن الله سبحانه وتعالى وجميع ملائكته يصلون على النبي (صلى الله عليه وآله) دائماً، لأن المضارع يدلّ على الدوام والاستمرار والمسلمون مأمورون بالصلاة عليه (صلى الله عليه وآله) في كل وقت ومناسبة.

فالصلاة على الرسول (صلى الله عليه وآله) تعني تعظيم النبي (صلى الله عليه وآله) بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته في الدنيا وإبجزال مثوبته وتشفيعه في أمته وإبداء فضيلته بالمقام المحمود في الآخرة.

وترجع فائدة الصلاة على الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى المصلي عليه لأن ذلك يدل على صدق العقيدة وسلامة النية وإظهار المحبة والمداومة على الطاعة.

لذلك حفلت قصائد المدائح النبوية بالصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) وتكرار ذلك بلفظ «صلوا» ثم يأتون بعدها بفضائله ومكارمه ومنزلته بين الناس وبين المرسلين والأنبياء، ثم يفصلون في ذكر معجزاته ويتحدثون عن الإسراء والمعراج كما فعل ابن الجنان في مخمّسته، وقد يتطرقون إلى ولادته ونشأته ونزول الوحي عليه مصورين حال الكون وحال العالم والناس من حوله وهم يشهدون العظيم.

يستهل ابن الجنان مخمّسته (362):

الله زاد محمّداً تكريماً \*\*\* وحباه فضلاً من لدنه عظيماً (363)

(361) سورة الأحزاب 56/33.

(362) نفح الطيب 287/10. ديوان ابن الجنان ص 149.

واختصّه في المرسلين كريماً \*\*\* ذا رأفة بالمؤمنين رحيماً  
صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

من التخميسات الموافقة لتخميس ابن الجنان المذكور خمسة لابن سهل الإشبيلي في  
مدح الرسول (صلى الله عليه وآله) والصلاة عليه<sup>(364)</sup>:

جعل المهيمن حبّاً أحمد شيمة \*\*\* وأتى به في المرسلين كريمه  
فغدا هو اه على القلوب تميمة \*\*\* وغدا هداه لهديهم تميماً  
صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

ومن ذلك قول العالم الشهير مالك بن المرحل المالقي السبتي وهي من غرر القصائد  
وفيهما لزوم ما لا يلزم من ترتيبها على حروف المعجم<sup>(365)</sup>:

أجل الأنبياء نبي \*\*\* بضياؤه شمس النهار تضيء  
وبه يؤمل محسن ومسيء \*\*\* فضلاً من الله العظيم عظيماً  
صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

ومن ذلك قول الفقيه الكاتب الأديب أبي العباس أحمد بن القاسم الإشبيلي الشهير بابن  
القصير<sup>(366)</sup>:

الله أكرم أحماً تكريماً \*\*\* فغدا رسولاً للعباد كريماً  
فاشكر غفور الذنوب رحيماً \*\*\* أرضى النبي بقوله تعليماً  
صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

وأيضاً هنا مسدسة لأبي الحجاج يوسف بن موسى المنتشاقري الأندلسي، وقد جعل  
الشطر السادس من قصيدته «فعليه الصلاة والتسليم»<sup>(367)</sup>

صفوة الخلق خاتم الأنبياء \*\*\* مرشد الناس للطريق السواء  
والعماد الملاذ في اللأواء \*\*\* وشفيع العصاة يوم الجزاء  
يوم يبدو لديه جاه عظيم \*\*\* فعليه الصلاة والتسليم  
ليس القصد من التكرار إلا التلذذ بذكر أمداح المصطفى (صلى الله عليه وآله).

---

(363) حباه: منحه وأعطاه.

(364) نفح الطيب 299/10.

(365) المصدر السابق 305/10.

(366) نفح الطيب 316/10.

(367) المصدر السابق 359/10.

ومن مظاهر قصيدة المدح النبوي تكرار الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) أكثر من مرة وقد تستغرق الأشرطة الأولى من القصيدة كلها كما فعل ابن الجنان في قصيدته ; حيث استهل السبعة الأولى من أبياتها بجملة «صلوا على»<sup>(368)</sup>.

صلوا على خير البرية خيماً \*\*\* وأجلّ من حاز الفخار صميماً  
صلوا على من شرفت بوجوده \*\*\* أرجاء مكة زمزماً وحطيماً  
صلوا على أعلى قريش منزلاً \*\*\* بذراه خيّم العلات تخيماً  
صلوا على نور تجلّى صبحه \*\*\* فجلا ظلاماً للضلال بهيماً  
صلوا على هاد أرانا هديه \*\*\* نهجاً من الدين الحنيف قويماً  
صلوا على هذا النبيّ فإنه \*\*\* من لم يزل بالمؤمنين رحيماً  
صلوا على الزاكي الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) \*\*\* ما مثله في المرسلين كريماً  
ومن ذلك قول ابن العريف في خاتمة كتابه «مطالع الأنوار ومنابع الأسرار» فقد استهل كل أبيات قصيدته - «صلّى»<sup>(369)</sup> .  
مطلعها:

صلّى الإله على النبيّ الهادي \*\*\* ما لا ذت الأرواح بالأجساد  
ومنها: \*\*\* صلّى على خير الأنام محمد \*\*\* من خصّه بالنور والإرشاد  
وقد بدأ لسان الدين بن الخطيب عدة أبيات من قصيدة له بالصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه مستمداً بعض مظاهر الطبيعة في صلاته على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال<sup>(370)</sup>:

صلّى عليك إله العرش ما سجّعت \*\*\* حمائم فوق أغصان البساتين<sup>(371)</sup>  
صلّى عليك إله العرش ما صدحت \*\*\* قمرية فوق أفنان الرياحين<sup>(372)</sup>  
صلّى عليك إله العرش ما وفدت \*\*\* نجبية لحى أطلال يبرين<sup>(373)</sup>  
ومنها: \*\*\* عليك يا خير خلق الله قاطبة \*\*\* وألف ألف سلام في ثمانين  
وتختتم المدائح النبوية عادة بالصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه.  
ويقول ابن جابر في خاتمة قصيدة له<sup>(374)</sup>:

(368) المصدر السابق 294/10. ديوان ابن الجنان ص148.

(369) نفح الطيب 345/10.

(370) المجموعة النبهانية 161/4.

(371) سجعت: غنت.

(372) صدحت: سجعت، الأفنان: الأغصان.

(373) وفدت: أتت. النجبية: الناقة الكريمة. يبرين: موضع.

عليك صلاة يشمل الآل عرفها \*\*\* وأصحابك الأخيار أهل التفضل  
 وأيضاً يذكر في ختام قصيدة أخرى<sup>(375)</sup>:  
 صلى عليك الله ما صدع الدجى \*\*\* صبح تلاً لأضوؤه وتبأجا<sup>(376)</sup>  
 وعلى صحابتك الكرام تحية \*\*\* كالمسك أضحى عرفه متأرجاً  
 وقال أبو الحجاج يوسف بن موسى الجذامي الرندي في ختام قصيدته:<sup>(377)</sup>  
 ودامت صلاة الله بدءاً وعودة \*\*\* عليك مدى الأيام نامية تبقى  
 وآلك والأصحاب ما حن شيق \*\*\* إليك وما غنت على غصن ورقا  
 لذلك يوجد في خواتيم كثير من قصائد المدح النبوي التحيات والسلام والصلوات على  
 النبي الكريم (صلى الله عليه وآله). يقول ابن جبير الرحالة في نهاية قصيدة طويلة له<sup>(378)</sup>:  
 فعليك يا خير الخلائق كلها \*\*\* مني التحية والسلام السرمد  
 ويقول أبو عبدالله محمد بن عبدالله المريني في خاتمة قصيدته<sup>(379)</sup>:  
 وعليك يا خير الأنام تحية \*\*\* تحيا النفوس بنشرها الفتاق<sup>(380)</sup>  
 ويقرب من هذه الصلاة لخاتمة المدحة النبوية ما اختتم به لسان الدين بن الخطيب في  
 إحدى مدائحه النبوية بقوله:<sup>(381)</sup>  
 عليك صلاة الله ما طيب الفضا \*\*\* عليك مطيل بالثناء مطيب  
 وما اهتز قد للغصون مرّج \*\*\* وما افتّر ثغر للبروق شنيب<sup>(382)</sup>  
 وإذا ربط ابن الخطيب صلاته السابقة على النبي (صلى الله عليه وآله) بهبوب الريح واهتزاز  
 الأغصان ولمعان البرق، فإنه ربط في نبوية أخرى تكرار واستمرار صلاته على النبي (صلى  
 الله عليه وآله) باستمرار طواف الحجيج حول الكعبة وكثرتهم، فربط المعنى الديني بالمعنى  
 الديني، مغيراً ما درج إليه شعراء المدائح النبوية من ربطها بالعدد، واستمرار مظاهر  
 الطبيعة وتكرارها فقال:<sup>(383)</sup>

(374) المجموعة النبهانية 272/3.

(375) المصدر السابق 463/1.

(376) صدع: شق. تبلج: أشرق.

(377) المجموعة النبهانية 257/2.

(378) نفح الطيب 315/2.

(379) المجموعة النبهانية 359/2.

(380) النشر: الرائحة الطيبة. فتح المسك: شقه لتخرج رائحته.

(381) نفح الطيب 363/6. المجموعة النبهانية 364/1.

(382) القد: القامة، المرّج: المهتز، افتّر: ابتسم، الثغر: المبسم، الشنيب: البراق.

(383) نفح الطيب 148/3.

عليك سلام الله ما طاف طائفٌ \*\*\* بكعبتك العليا وما قام قائم  
وأهدي صلاتي والسلام لأحمد \*\*\* لعليّ به من كبة النار سالم  
ويختم أبو إسحاق الإلبيري الأندلسي إحدى قصائده بالصلاة على النبي (صلى الله عليه  
 وآله) فيقول (384) :

ومن الإله على النبيّ صلاته \*\*\* عدد النجوم وعدة الأملاك  
فالصلاة على النبيّ (صلى الله عليه وآله) مما حرص الشعراء على ذكره في قصائدهم  
واعتادوا أن يختموا قصائدهم بأحد عناصر المدح النبوي وهو الصلاة على الرسول الكريم  
(صلى الله عليه وآله)، فشعراء المديح النبوي أكثرهم ذكروا آل رسول الله عليهم الصلاة والسلام  
وصحابته في قصائدهم لأنهم لا يستطيعون مدح النبيّ (صلى الله عليه وآله) دون أي ذكر لمنزلة  
الآل والصحابة فيه، ولا يستطيعون أن يشيدوا بجهاد الرسول (صلى الله عليه وآله) دون أي ذكر  
لمن كانوا معه في نشر الدعوة ; لذلك صار ذكر آل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصحابته من  
مستلزمات المدحة النبوية ومن مفردات مضمونها نذكره فيما بعد.



## المعارضة

وثمة ظاهرة أخرى برزت في قصيدة المدح النبوي هي «المعارضة» فقد شاعت بين شعراء الأندلس وانتشرت، فكان كثير من قصائد المديح النبوي معارضة لقصائد سابقة قيلت في المدح النبوي وسواه.

إن بعض الشعراء يضع القصيدة المعارضة أمامه ويأخذ في تتبعها بيتاً بيتاً منذ بدايتها حتى نهايتها ويأخذ بعضهم الشكل العام لكنه يظهر ذاتيته في الصياغة والمضمون وبعضهم يزيد عليها أو ينقص منها وكلهم يحافظون على الشكل وتسلسل الأجزاء.

فقصيدة كعب بن زهير - بانث سعاد - التي لاقت من المعارضة ما لم تلقه قصيدة أخرى ويرجع ذلك إلى أسباب عديدة منها: أنها قيلت في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأعجب بها وأيضاً لأنها قصيدة أصيلة قديمة، فتعطي معارضتها الشاعر معرفة بالشعر العربي الأصيل فلأبي حيان قصيدة في معارضتها يقول (385):

لاتعذلاه فما ذو الحب معذول \*\*\* العقل مختبل والقلب متبول

وأبو حيان ينهج في ذلك نهج كعب في قصيدته حيث يقول في مطلعها متغزلاً (386):

بانث سعاد فقلبي اليوم متبول \*\*\* متيم إثرها لم يُقَدَّ مكبول

فيُحسن أبو حيان التخلص فيقول (387):

وأمل العفو واسلك مهمها قذفاً \*\*\* إلى رضى الرب إن العفو مأمول

إن الجهاد وحج البيت مختتما \*\*\* بزورة المصطفى للعفو تأميل

كما احسن كعب التخلص فقال في مدح سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله) (388):

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي \*\*\* والعفو عند رسول الله مأمول

(385) ديوان أبي الحيان الاندلسي ص45.

(386) ديوان كعب بن زهير ص8.

(387) ديوان أبي الحيان ص47. المهمة: المفازة البعيدة. القذف: الفلاة البعيدة.

(388) ديوان كعب بن زهير ص9.

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ \*\*\* قران فيها مواعيز وتفصيل  
ويتحدث أبو حيان عن سفره، ويصف ما رأى حتى إذا لاح بيت الله حفّ الناس بكعبته  
قائلاً (389):

حفّوا بكعبة مولاهم فكعبهم \*\*\* عال بها، فلهم طوف وتقبيل  
ثم يمدح النبيّ (صلى الله عليه وآله) بقوله: (390)  
إلى الرسول نَزَجِي كلَّ يَعمَلَة \*\*\* أَجلّ مَنْ نحوه نَزَجِي المراسيل (391)  
مَنْ أنزلت فيه آياتٌ مطهرة \*\*\* وبشّرت فيه توراة وإنجيل  
ومنها:

وكم له معجزاً غير القرآن أتى \*\*\* فيه تضافر منقول ومعقول  
فللرسول انشقاق البدر نَشْهده \*\*\* كما لموسى انفلاق البحر منقول  
وبعد أن يذكر كراماته (صلى الله عليه وآله) يختم قصيدته بقوله (392):  
هذا وكم معجزات للرسول أتت \*\*\* لها من الله إمدادٌ وتأصيل  
غدت من الكثر أعداد النجوم فما \*\*\* يُحصي لها عدداً كُثْبٌ ولا قيل  
قد انقضت معجزات الرسل منذ قضاوا \*\*\* نَحْباً، وأفحم منها ذلك الجيل  
ومعجزات رسول الله باقية \*\*\* محفوظة مالها في الدهر تحويل  
هذي المفاخر لا تحظى الملوك بها \*\*\* الملك منقطع والوحي موصول  
ولشمس الدين محمد بن جابر الأندلسي قصيدة في معارضتها يقول (393):  
بانّت سعاد فَعَقْدُ الصبر محلول \*\*\* والدمعُ في صفحات الخَدّ مبذول  
وبعد تغزله في عدة أبيات يمدح النبيّ (صلى الله عليه وآله) فيقول:  
هادي البرية من بعد الضلال ومن \*\*\* له على الرُّسل تخصيص وتفضيل  
له الشفاعة حيث الرُّسلُ جاثية \*\*\* وكل شخص لهول الحشر مخبول (394)

---

(389) ديوان أبي حيان ص 47.

(390) المصدر السابق.

(391) نزج: نسوق. اليعملة: الناقة النجبية. المراسيل: النياق السهلة السير.

(392) ديوان أبي حيان الأندلسي ص 50.

(393) المجموعة النبهانية 71/3.

(394) جثا: جلس على ركبتيه، الخبل: اختلال العقل.

ثم يشير إلى معجزات النبي (صلى الله عليه وآله) مثل معجزة القرآن وعجز العرب عن الإتيان بسورة مثله ومعراج النبي (صلى الله عليه وآله) و... ويمدح الرسول (صلى الله عليه وآله) في باقي الأبيات; وفي ختامها، يختم قصيدته بالصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) وآله (عليهم السلام) وصحبه. (395)

صلى عليك إله العرش ما سجت \*\*\* ورقّ لهنّ على الأغصان تهديل (396)  
أزكى صلاة تَعُمُّ الآلَ واصلة \*\*\* صحباً هم للورى زين وتحجيل (397)

يعارض بعض شعراء المديح النبوي قصائد امرئ القيس ليكتسبوا المran على نظم الشعر الأصل، واتكأ بعضهم على قصائده فشطروها صارفين معناها إلى المديح النبوي، ومن ذلك قصيدة حازم القرطاجني التي شطر فيها معلقة امرئ القيس باذلاً جهداً كبيراً في صرف معناها إلى المديح النبوي، على بُعد ما بين موضوعها وبين المديح النبوي، كأنه يريد أن يبرهن على قدرته الشعرية أو يريد الإفادة من شهرة القصيدة ومن وزنها وقافيتها، فقد سمى ابن حازم هذه القصيدة حديقة الأزهار وحقيقة الافتخار في مدح النبي المختار (صلى الله عليه وآله) فمن أبياتها (398) :

لِيَهْنِكَ قُلْ إِنْ زُرْتَ أَفْضَلَ مُرْسَل \*\*\* «قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل» (399)  
وفي طيبة فأنزل ولا تغش منزلاً \*\*\* «يسقط اللوى بين الدّخول فحومل» (400)  
وزر روضة قد طالما طاب نشرها \*\*\* «لما نسجتّها من جنوب وشمال» (401)  
نبيّ هدىّ قد قال للكفر نوره \*\*\* «ألا أيّها الليل الطويلُ ألا انجل»

أيا سامعي مدح الرسول تَنَشَّقُوا \*\*\* «نسيم الصبا جاءت برياً القرنفل» (402) لقد كانت قصيدة البردة للبوصيري عملاً أدبياً مهماً في مجال المدحة النبوية التي تقترب من نفوس الخاصة والعامة على السواء، ومن هنا حظيت لدى الشعراء بالمعارضة والتخميس والشرح

---

(395) المجموعة النبهانية 77/3.

(396) سجت: صوتت، الورق: جمع ورقاء وهي الحمامة، التهديل: التصويت.

(397) التحجيل: أصله بياض في قوائم الفرس.

(398) نفح الطيب 520/5 - المجموعة النبهانية 244/3.

(399) ليهنك: أي تهناً من معنى الهنيء.

(400) غشى المنزل: نزل به، اللوى: منعطف الرمل.

(401) نشرها: رائحتها الطيبة.

(402) الرّيا: الرائحة الذكية.

والإنشاد في مناسبات المولد النبوي، وعلى هذا النهج صنع ابن جابر ميميته الطويلة منها قوله (403):

صافح ثراه وقل إن جئت مستلماً \*\*\* إنا محبوك من ريع لمستلم  
ومن أخرى له (404):

لو لا تبسم برق لاح من إضم \*\*\* ما بتُ أمزجُ معنى في الدجى بدم  
في هذا الفصل تحدثنا عن المضمون الأصلي للمدحة النبوية وهو مدح النبي الكريم (صلى الله عليه وآله)، وقد مدحه (صلى الله عليه وآله) الشعراء مدحاً دينياً، وأضافوا إلى أشعارهم قيماً اقتضتها طبيعة شخصية الرسول، فيرون أن مدح الرسول (صلى الله عليه وآله) بما هو أهله لا يصل إليه أحد من الخلق مهما أوتي من الفصاحة والبلاغة، والوصول إلى ذلك مما يدخل تحت قدرة الله تعالى وحده فمن يمدحه لابد أن يعترف بالعجز والقصور عن إيفاء حقه.  
عبّر الشعراء في أشعارهم عن حبهم له وتعلقهم به، وعددوا فضائله وتغنوا بشمائله وخصائصه، وتحدثوا عن مكانته السامية عندربه ومنزلته بين سائر الأنبياء والخلق جميعاً مجسدة بالحقيقة المحمدية وأشاروا إلى معجزاته الكثيرة كالإسراء والمعراج ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة وانشقاق القمر و... وتوسلوا به وتشفعوا ليفرج الله تعالى كربهم ويغفر ذنوبهم، وتحدثوا عن آثار رسول الله (صلى الله عليه وآله) المادية الباقية وذكروا سيرته العطرة وأشادوا بآله الكرام (عليهم السلام) وحرصوا على ذكر الصلاة عليه (صلى الله عليه وآله) وعلى آله (عليهم السلام) وتكرارها في قصائدهم، واعتادوا أن يختموها بالصلاة عليه (صلى الله عليه وآله) وعلى آله (عليهم السلام).

بدأ بعضهم قصائدهم بغزل لطيف وبيان الهوى النبوي أو التشوق إلى أرض الحجاز وما جاورها أو ببيان شوقهم وحنينهم للروية أو للحج أو للتأثر بروية ركب الحجاج السائرين من الأندلس إلى مكة والمدينة وما يركبون من النياق.

وأيضاً ظهرت في الأندلس المدائح النبوية التي تضارع القدماء في صياغتهم وألفاظهم وطريقتهم في التعبير الشعري وتتابعهم في خصائص شعرهم مثل المعارضات التي يستعين بها الشاعر فينظم على مثال معروف في ذهنه يتتبعه في إطاره العام، مستفيداً من وزنه وقافيته وبعض ألفاظه وتعابيرها وشاعت المعارضات بين الشعراء.

(403) القصيدة الاندلسية 338/1 نقلا عن ديوان ابن جابر 36.

(404) المصدر السابق نقلاً عن ديوانه: 163.

أما معاني المدح فمعظمها مأخوذة من القرآن الكريم والحديث الشريف والسيرة النبوية والتراث العربي شعره ونثره.

وفي هذه الأشعار تكثر الإشارات التاريخية وأسماء المواضع والمواقع ذات الصلة بالسيرة وبيئاتها خاصة طبيعة الأندلس، فكان الشعراء يستمدون من الطبيعة ومظاهرها المتلونة في إظهار تعبير جميل يبين صفات الرسول (صلى الله عليه وآله) الجميلة الحميدة لكثرتها وتنوعها...

ويميل الشعراء في أشعارهم إلى البساطة والسهولة ورقة العبارة.

ويغلب على الشعر العنصر الوجداني والعواطف المشبوبة

والأشواق الزائدة.

ويكثر اعتذار الشعراء من التقصير في أداء الواجب الكامل نحو محبة رسول الله (صلى الله

عليه وآله).

قد ظهر في بعض تلك الأشعار ميل إلى التفنن بنظم القصائد أوالمخمسات على حروف

المعجم مثل خمسة مالك ابن المرحل.

وقد برزت في الأندلس أشكال مختلفة من المدائح النبوية منها: الخمسات، المعشرات،

العشرينات، الموشحات...



ذكر أهل البيت (عليهم السلام) في الأشعار



### ذكر أهل البيت (عليهم السلام) في الأشعار

لَمَّا تحدثنا عن فنون الشعر الديني التي تقرب من المدائح النبوية ذكرنا مدح أهل البيت عليهم السلام وأدخلناه في زمرة المدائح النبوية، بيدَ أن صاحب كتاب المدائح النبوية يرى «أن قصائد مدح أهل البيت (عليهم السلام) لا تدخل في نطاق المديح النبوي وإن ذكر فيها النبي (صلى الله عليه وآله) لأنها نظمت أساساً لمدح آل البيت (عليهم السلام) ولا يمكن أن يذكر آل البيت (عليهم السلام) دون أن يذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله)» (405).

ولكن المزج بين المدح النبوي ومدح أهل البيت (عليهم السلام) هو الذي يدفعنا إلى إدراج مدح آل البيت (عليهم السلام) ضمن المدح النبوي، أو إلى جعله لوناً من ألوانه لأن النبي (صلى الله عليه وآله) علة تفضيلهم ومدحهم، ولأن أهل البيت (عليهم السلام) ينتسبون إليه ولأن غاية ما يُمدحون به هي علاقتهم برسول الله (صلى الله عليه وآله). ولذلك لا بأس أن يرد المدح النبوي في قصائد مدح أهل البيت (عليهم السلام) أو أن يرد مدح أهل البيت (عليهم السلام) في قصائد المدح النبوي.

وقد ورد ذكر أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) في المدائح النبوية فإما مدحون النبي (صلى الله عليه وآله) حينما يذكرونه لا ينسونهم، فهم الذين حملوا معه رسالة الإسلام وجاهدوا في سبيل الله وأخلصوا لله ولرسوله، فكان لهم على مدّاحي النبي (صلى الله عليه وآله) حقّ ذكرهم والإشادة بهم، وهذا ما فعله معظم شعراء المدائح النبوية؛ لذلك أضحي ذكر الآل من مضمون المدحة النبوية يردّدونه في قصائد مختلفة خاصة في ختامها حين يجمعونهم في صلاتهم على النبي (صلى الله عليه وآله) معه أوفي أثناء القصيدة.

قلّما نجد قصيدة في ديوان محمد بن جابر الهواري الأندلسي لا تتضمن مدح أهل البيت (عليهم السلام) كما في قوله (406):

(405) المدائح النبوية، د. محمود سالم محمد ص 278.

(406) المجموعة النبهانية 272/3.

عليك صلاة تشمل الآل عرفها \*\*\* وأصحابك الأخيار أهل التفضل نعلم أن أقرب الناس إلى النبي (صلى الله عليه وآله) هم أهل بيته (عليهم السلام) ولهم فضلهم وسبقهم إلى الإسلام، فعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ابن عمه، كفله الرسول (صلى الله عليه وآله) ورافقه في كل مراحل دعوته إلى الإسلام وتزوج من فاطمة ابنته ولهما الحسن والحسين (عليهما السلام) سبطا رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ونرى أيضاً أن الآيات المتعددة والأحاديث الكثيرة وردت في شأنهم منها هذه الآية الشريفة (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (407) وأيضاً قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (408).

ويضاف إلى ذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أوصى بالخلافة بعده للإمام علي (عليه السلام) صراحة في حديث الغدير والأحاديث المتعددة الأخرى التي تنص على تفضيل علي (عليه السلام) وأهل بيته (عليهم السلام) وحقهم في إمامة المسلمين.

وقد ورد معظم هذه الأحاديث في كتب الشيعة والسنة وليس هنا مجال للبحث عنها، ولا نريد أن ندخل فيه إذ بُحث الموضوع كثيراً في الكتب المختلفة وإنما نريد أن نشير إلى بعضها بصورة موجزة مثل حديث المنزلة المشهور الذي ورد عن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) في حق الإمام علي (عليه السلام): «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» (409) وأيضاً في حديث آخر حينما دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام) وحسناً (عليه السلام) وحسيناً (عليه السلام) قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي» (410). وأيضاً حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» (411)، وحديث الغدير: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» (412) وأيضاً حديث الثقلين له:

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي» (413).

---

(407) سورة الشورى 23/42.

(408) سورة الأحزاب 33/33.

(409) صحيح مسلم 1870.

(410) أصول الكافي 41/2. صحيح مسلم 1871.

(411) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج1، باب 8، ص 80 - 81.

(412) الإرشاد 166/1. أصول الكافي 41/2.

(413) الإرشاد 169/1.

وقد ورد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) في شعر شعراء الأندلس منهم ابن جابر الهواري الذي له قصائد مطولة في فضائل بعض الصحابة وأهل البيت (عليهم السلام) فيقول عن الإمام عليّ (عليه السلام) مشيراً إلى كثير من الأحاديث التي ذكرناها خاصة حديث الغدير الذي أبلغه الله الي النبيّ (صلى الله عليه وآله) وهو بدوره أبلغه الى الأمة وينوه فيها بالأحاديث الأخرى في مناقب وفضائل الإمام عليّ (عليه السلام) والحسين (عليهما السلام). قال: (414)

وإنّ عليّاً كان سيفَ رسوله \*\*\* وصاحبه السامي لمجد مشيد  
وصهر النبيّ المجتبى وابن عمه \*\*\* أبو الحسين المحتوي كلّ سؤدد  
وزوجه ربّ السماء من سمائه \*\*\* وناهيك تزويجاً من العرش قد بُدي  
بخير نساء الجنة الغرّ سؤددا \*\*\* وحسبك هذا سؤدداً لمسودّ  
فباتاً وجُلّ الزهد خير حلاهما \*\*\* وقد آثرا بالزاد من كان يجتدي  
فآثرت الجنات من حلّ ومن \*\*\* حلّى لها رعيّاً لذاك التزهد  
وما ضرّ من قدبات والصوف لبسه \*\*\* وفي السندس الغالي غداً سوف يغتدي  
وقال رسول الله إني مدينة \*\*\* من العلم وهو الباب والباب فاقصد (415)  
ومن كنتُ مولاه عليّ وليه \*\*\* ومولاك فاصدق حبّ مولاك ترشد (416)  
وإنّك مني خالياً من نبوة \*\*\* كهارونَ من موسى وحسبك فاحمد (417)  
وكان من الصبيان أوّل سابق \*\*\* إلى الدين لم يُسبق بطائع مرشد (418)  
وجاء رسول الله مرتضياً له \*\*\* وكان عن الزهراء بالمتشرد  
فمسحّ عنه التراب إذ مس جلده \*\*\* وقد قام منه ألفا للتفرد  
وقال له قول التلطف «قم أبا \*\*\* تراب» كلام المخلص المتودد (419)

---

(414) نفح الطيب 221-222/10.

(415) إشارة إلى حديث النبيّ (صلى الله عليه وآله) «أنا مدينة العلم وعليّ (عليه السلام) بابها».

(416) إشارة إلى حديث الغدير: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم وال من والاه...».

(417) إشارة إلى حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي».

(418) إشارة بأن عليّ (عليه السلام) أوّل المؤمنين.

(419) إشارة إلى كلام النبيّ (صلى الله عليه وآله) يخاطب عليّاً (عليه السلام) بعد أن يمسح التراب عنه فيقول: «قم يا أبا تراب».

وفي ابنه قال المصطفى زان سيدا \*\*\* شبائكم في دار عزّ وسودد<sup>(420)</sup>  
وأرسله عنه الرسول مُبلّغاً \*\*\* وخُصّ بهذا الأمر تخصيص مفرد  
وقال هل التبليغ عني ينبغي \*\*\* لمن ليس من بيتي من القوم فاقتد<sup>(421)</sup>  
وقد قال عبدالله للسائل الذي \*\*\* أتى سائلاً عنهم سؤال مشدد<sup>(422)</sup>  
وأما علىّ فالتفت أين بيته \*\*\* وبيت رسول الله فاعرفه تشهد  
وما زال صوّماً منياً لرّبه \*\*\* على الحقّ قوَّاماً كثير التعبد  
قنوعاً من الدنيا بما نال معرضاً \*\*\* عن المال مهما جاءه المال يزهد  
لقد طلق الدنيا ثلاثاً وكلّما \*\*\* رآها وقد جاءت يقول لها ابعدى  
وأقربهم للحق فيها وكلهم \*\*\* أولو الحق لكن كان أقرب مهتد  
وأيضاً ذكر أبياتاً في الحسن (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) سبطي نبي الرحمة (صلّى الله عليه وآله) قائلاً: <sup>(423)</sup>

وبالحسين السيّدين توسّلي \*\*\* بجدّهما في الحشر عند تفرّدي  
هما قرّتا عين الرسول وسيّدا \*\*\* شباب الورى في جنة وتخذ<sup>(424)</sup>  
وقال: هما ریحانتاي، أحبّ من \*\*\* أحبّهما، فاصدقهما الحبّ تسعد<sup>(425)</sup>  
هما اقتسما شبه الرسول تعادلاً \*\*\* وماذا عسى يُحصيه منهم تعدّدي<sup>(426)</sup>  
فمن صدره شبه الحسين أجله \*\*\* وللحسن الأعلى وحسبك فاعدد  
وللحسن السامي مزايا كقوله \*\*\* هو ابني هذا سيّد وابن سيّد<sup>(427)</sup>  
سيصلح ربّ العالمين به الورى \*\*\* على فرقة منهم وعظم تبدّد  
وإن تطلبوا ابناً للنبي فلن تروا \*\*\* سوى مقال منه غير مُفدّد

- 
- (420) إشارة إلى قول رسول الله (صلّى الله عليه وآله) «بأن الحسن والحسين (عليهما السلام) سيّدا شباب أهل الجنة».
- (421) إشارة إلى تبليغ سورة البراءة وأنه لا يجوز إلا لشخص من أهل بيت النبي (صلّى الله عليه وآله).
- (422) إشارة إلى سورة المعارج 1/70 للاحتجاج بالقرآن.
- (423) نفح الطيب 223/10، دائرة المعارف الحسينية ديوان القرن الثامن ص77.
- (424) إشارة إلى قول النبي (صلّى الله عليه وآله): «الحسن والحسين (عليهما السلام) سيّدا شباب أهل الجنة».
- (425) إشارة إلى حديث: «هذان ریحانتاي من الدنيا، من أحبّني فليحبهما». (دائرة المعارف الحسينية ديوان القرن الثامن ص77 نقلاً عن صحيح الترمذي 306/2).
- (426) عن الإمام عليّ (عليه السلام): «الحسن (عليه السلام) أشبه الناس برسول الله (صلّى الله عليه وآله) ما بين الصدر إلى الرأس والحسين (عليه السلام) أشبه الناس بالنبي (صلّى الله عليه وآله) ما كان أسفل من ذلك». المصدر السابق نقلاً عن مسند أحمد 99/1.
- (427) إشارة إلى الحديث الشريف: «إنّ ابني هذا سيّد يصلح الله على يديه بين فتنين عظيمتين». دائرة المعارف الحسينية ديوان القرن الثامن ص78 نقلاً عن صحيح الترمذي 306/2.

بدا سيّدا ظهرَ الرّسول قد ارتقى \*\*\* ففَرَّ ولم يُعجله وهو بمسجد  
فقالوا له طال السجود فقال لا \*\*\* ولكنما ابني خفت إن قُمتُ يَشُرد  
وكان الحسين الصارمَ الحازم الذي \*\*\* متى يَفْصُر الأبطالُ في الحرب يَشدد  
شبيهه رسول الله في البأس والندى \*\*\* وخير شهيد ذاق طعم المهند  
لمصرعه تبكي العيون وحقّها \*\*\* فلله من جرم وعظم تمرّد  
فَبعداً وسحقاً لليزيد وشمره \*\*\* ومن سار مسرى ذلك المقصد الردي  
يبدو أن مديح الرسول (صلى الله عليه وآله) ومديح آله (عليهم السلام) اقترنا كما ذكرنا .

يشير ابن جابر في كل بيت من هذه الأبيات إلى الأحاديث المختلفة التي ذكرها النبيّ (صلى الله عليه وآله) في حقّ الإمام عليّ (عليه السلام) وأولاده ويذكر مناقبهم وحقهم في إمامة المسلمين، وأنّه صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتزوجه بابنته، ثم يستدل بالآية القرآنية التي نزلت في شأنهم، في قوله تعالى: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا\* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا)<sup>(428)</sup> ويذكر الشاعر إطعامهم للمسكين واليتيم والأسير وإيثارهم على أنفسهم، ثم يشير إلى زهد الإمام عليّ (عليه السلام) وينتقل بعده إلى أحاديث النبيّ (صلى الله عليه وآله) في حقه - ذكرنا بعضها آنفاً - ويقول الشاعر إن الإمام (عليه السلام) كان أول المسلمين، وقد خاطبه الرسول في

يوم يمسح عنه التراب «قم يا أبا تراب»<sup>(429)</sup> ويؤكد الشاعر بأن هذا الكلام كلام تلطف وحبّ من النبيّ (صلى الله عليه وآله) له وفي شأن ابنه يذكر الشاعر أنهما ابنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسيدا شباب أهل الجنة إشارة إلى الحديث المشهور «الحسن (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) سيّدا شباب أهل الجنة»<sup>(430)</sup>.

ثم يحتجّ الشاعر بقضية التبليغ عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأنها لا يستطيع القيام بها إلا من يكون من أهل بيته (عليهم السلام)، ثم يستمر في ذكر مناقب الإمام عليّ (عليه السلام) وفضائله ويختم قصيدته بوجوب حق الإمامة له بقوله:

وأقربهم للحقّ فيها كلّهم \*\*\* أولو الحق لكن كان أقرب مهتد

(428) سورة الدهر 8/76 - 9.

(429) حديث النبيّ (صلى الله عليه وآله) ذكر في كثير من كتب السيرة.

(430) من الأحاديث المتواترة عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) في حقهما.

وفي القصيدة الأخرى يذكر فضائل الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) وما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيهما وفي موقعهما ومنزلتهما عنده، ويؤكد الشاعر في القصيدة على أنهما ابنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويصّب غضبه ولعناته على من ظلم وقهر ونهب واغتصب حق أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله).

إنّ لابن جابر الهواري قصائد كثيرة في مدح النبيّ الكريم (صلى الله عليه وآله) وفي أكثرها قد خصّص قسماً منها بذكر أهل البيت (عليهم السلام) ومدحهم وبيان مظلوميتهم وحقهم المغتصب. منها قصيدة مطولة باسم المقصورة الفريدة في مدح الرسول (صلى الله عليه وآله)، والتي يبلغ رقم أبياتها أكثر من ثلاثمائة بيت. قد بدأ ابن جابر المقصورة بالغزل وضمّنها في تضاعيف المديح النبوي كثيراً من الخواطر والحكم، وفصل القول في شمائل الرسول (صلى الله عليه وآله) ومعراجه ومعجزاته و... ويشير فيها إلى مدح أهل البيت (عليهم السلام) ويقول إن بهم الغنى وبهم النجاة.

مطلع هذه القصيدة<sup>(431)</sup>:

بادر قلبي للهوى وما ارتأى \*\*\* لمّا رأى من حُسنها ما قد رأى<sup>(432)</sup>  
فَقَرَّبَ الوجد لقلبي حُبّها \*\*\* وكان قلبي قبل هذا قد نأى<sup>(433)</sup>  
ومنها: \*\*\* إنّ رسول الله مصباح هُدى \*\*\* يُهدى به من كان في دُجى الليل متاً<sup>(434)</sup>  
كفّ بني الجور بعدل واضح \*\*\* كما تكفّ اليدُ كفّاً من عتاً<sup>(435)</sup>  
كم ذي هوى قد راضه بهديّه \*\*\* فانقاد كالعبد إذا العبد قتي<sup>(436)</sup>  
أقسمت لازلت أوالي مدحه \*\*\* ما اشتدّ بالناس زمان ووثنى<sup>(437)</sup>  
لو لا اشتياقي لديار كُرمت \*\*\* لعبدها يرثي لنا من قد رثى<sup>(438)</sup>  
ومدح من أرجو بأمداحي له \*\*\* إصلاح ما قد عاثَ مني وعثا  
ومنها: \*\*\* حسبي بنو عبد مناف بهم \*\*\* يغنى من استغنى ويُجو من نجا

(431) نفح الطيب 168/10. المجموعة النبهانية 253/1.

(432) بادر: أسرع، ارتأى: تروى وتدبر.

(433) الوجد: الحب، نأى: بعد.

(434) متاً: مشى والمستعمل أمتى وفي المجموعة النبهانية: حتا: عدا عدواً شديداً.

(435) كفّ: منع. عتاً: استكبر.

(436) الهوى: ميل النفس المذموم، راضه: ذللّه وقتى (في النفح): خدم وفي المجموعة النبهانية فتى.

(437) في المجموعة وثى اللحم: أماته وفي النفح رتا: اشتد.

(438) رثى: يرق ويرحم.

أولئك القوم الألى من أمهم \*\*\* يأمن ممن لأم يوماً وهجا  
يلفك منهم كل وجه مشرق \*\*\* كائنه البدر إذا الليل سجا<sup>(439)</sup>  
ومنها: \*\*\* إن تحسب الرسل سماء قد بدت \*\*\* فإنه في أفقها نجم هدى  
وإن يكونوا أنجماً في فلك \*\*\* فإنه من بينهم بدرٌ بدا  
ويواصل الشاعر مقصوده في مدح الرسول (صلى الله عليه وآله).  
وفي قصيدة أخرى يقول أيضاً<sup>(440)</sup>:  
جعلوا لأبناء الرسول علامة \*\*\* إن العلامة شأن من لم يشهر  
نور النبوة في كريم وجوههم \*\*\* يغنى الشريف عن الطراز الأخضر  
يعتبر الشاعر في هذين البيتين أن أهل البيت (عليهم السلام) معروفون بنور النبوة الذي  
ورثوه من جدّهم رسول الله (صلى الله عليه وآله).  
وهنا نشير إلى بعض الشعراء والنماذج من أشعارهم التي تحتوي مناقب أهل البيت (عليهم  
السلام) وفضائلهم مع ذكر الرسول (صلى الله عليه وآله) فيها:  
ابن دراج المتوفي سنة 421 هـ من الشعراء الذين قد أثبتوا حق آل البيت (عليهم السلام) وأنهم  
أبناء الرسول (صلى الله عليه وآله) في قصيدته التي سمّاها ابن بسام الهاشميات الغرّ بقوله «هذه  
القصيدة له - وما أطولها! - وهي من الهاشميات الغرّ بناها من من المسك والدّر لامن  
الجص والآجر، لابل خلّدها حديثاً على الدهر وسرّ بها مطالع النجوم الزهر، لو قرعت سمع  
دعبل بن عليّ الخزاعي والكميت بن زيد  
الأسدي لأمسكا عن القول، بل لو رآها السيد الحميري وكثير الخزاعي لأقامها بنية على  
الدعوى ولتلقاها بشارة على زعمها بخروج الخيل من رضوى وقد ثبتنا أكثرها إعلاناً  
بجلالة قدرها واستحساناً لعجزها وصدرها»<sup>(441)</sup>:  
أولها:

لعلك يا شمسُ عند الأصيل \*\*\* شجيت لشجّو الغريب الذليل  
فكوني شفيعي إلى ابن الشّفيع \*\*\* وكوني رسولي إلى ابن الرسول  
ومنها: \*\*\* إلى الهاشمي إلى الطالبي \*\*\* إلى الفاطمي العطوف الوصول  
إلى ابن الوصي إلى ابن النبي \*\*\* إلى ابن الذبيح إلى ابن الخليل

(439) سجا: دأى وسكن.

(440) نفح الطيب. 196/1. ينابيع المودة 471/2.

(441) الذخيرة 87-98/1/1. دائرة المعارف الشيعية 28-29/4.

ومنها: \*\*\* فأنتم هُداةُ حياة وموت \*\*\* وأنتم أئمةُ فعل وقيل  
وسادات من حلّ جنات عدن \*\*\* جميع شبابهم والكهول  
وأنتم خلائفُ دنيا ودين \*\*\* بحكم الكتاب وحكم العقول  
ووالدكم خاتم الأنبياء \*\*\* لكم منه مجدٌ حقّي كفيل  
تلدّ بحملكم عاتقاه \*\*\* على حملة كلّ عبءٍ ثقيل  
ورحباً على ضمّكم صدره \*\*\* إذا ضاق صدر أب عن سليل  
وزودكم كلّ هديّ زكيّ \*\*\* وأودعكم كلّ رأي أصيل<sup>(442)</sup>

يطلب ابن دراج في هذه الأبيات التي ذكرنا قليلاً منها - من الشمس عند غروبها أن تكون شافعة له عند ابن الرسول (صلى الله عليه وآله) وابن الشفيع، ويشير إلى أنهم أبناء الرسول (صلى الله عليه وآله)، ومن هنا تتأتّى لهم الشفاعة، ثم يصرح بإمامة أهل البيت (عليهم السلام) وينوّه بهذه الحديث: «الحسن والحسين عليهما السلام سيّدا شباب أهل الجنة» بقوله :

وسادات من حلّ جنات عدن \*\*\* جميع شبابهم والكهول  
ويتبع استدلاله على الإمامة لأهل البيت (عليهم السلام) بأنها ثابتة بنص القرآن، وكذلك بحكم العقل لأنهم أبناء الرسول (صلى الله عليه وآله) فهم أحق الناس بوراثته، ثم يقول إن جدكم خاتم الأنبياء فهو يحملكم على عاتقيه ويضمكم إلى صدره، فهو الذي غرس فيكم المعالي وبذلك فلكم حق وراثته.

وفي قصيدة أخرى يمدح القاسم بن حمود وفيها يشير إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) مطلعها:<sup>(443)</sup>

كم أستطيل تضللي وتلددي \*\*\* وأروح في ظلم الخطوب واغتدي  
والأرض مشرقة بنوري ربها \*\*\* والفجر منبلجٌ لعين المهتدي<sup>(444)</sup>  
ومنها: \*\*\* بأغر من بيت النبوة والهدى \*\*\* كالبدر من ولد النبيّ محمّد  
الهاشمي الطالبي الفاطمي \*\*\* الوارث العليا بأعلى قعد  
بعداً عن الرجس الذميم وطهروا \*\*\* في منشأ للمنجبين ومولد<sup>(445)</sup>  
ومنها: \*\*\* يا ابن الوصي عليّ أوص سميّه \*\*\* إلا يضيع سميّ جدك أحمد  
يا صفوة الحسنين قد أحسنا \*\*\* إصغاء ودّ النازح المتودد<sup>(446)</sup>

(442) المصدر السابق.

(443) رسالة الدكتور الغزالي ص112 نقلاً عن ديوان ابن دراج ص73-70.

(444) انبلج: بلج. بلج الصبح : أسفر فأنار.

(445) إشارة إلى آية التطهير (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ...) سورة الأحزاب 33/33.

وإذا وردنا حوض جدك فاستمع \*\*\* وأبوك يقي للرواء السرمد  
ونرى في هذه الأبيات أن ابن دراج يؤكد أن تطهير أهل البيت (عليهم السلام) ورد في القرآن  
الكريم ثم يشير إلى أن علياً (عليه السلام) هو ساقى الكوثر، وحينما يريد أن يوكد للحموديين  
يذكرهم أبناء الحسن (عليه السلام) والحسين (عليه السلام).  
ويعتبر ابن هانيء أن الإمامة إرث لأهل البيت (عليهم السلام)؛ وبهذا يرد على من يقول بأن  
وصاية الإمام عليّ (عليه السلام) على ما خلفه النبيّ (صلى الله عليه وآله) من ممتلكات مادية فقط وإلى  
هذا يشير (447) :

فما لقريش وميراثكم \*\*\* وقد فرغ الله مما قضى  
لكم طور سيناء ومن فوقهم \*\*\* وليس لهم فيه من مرتقى  
شهيدي على ذاك حكم النب \*\*\* ي من بين المقام وبين الصفا  
فإن كان يجمعكم غالب \*\*\* فإن الوشائظ غير الذرى (448)  
حينما يمدح ابن هانيء المعز الفاطمي يصرح على تقديم أهل البيت (عليهم السلام) ويشير إلى  
أنهم آل محمد (صلى الله عليه وآله) ويذكر أنهم أبناء فاطمة (عليها السلام) وأهل النبوة والرسالة والهدى  
وذلك بما نزل فيهم من الوحي فيقول (449) :

ثمن آل محمد كل فخر لم يكن \*\*\* يُنمى إليهم ليس فيه فخر  
أبناء فاطمة هل لنا في حشرنا \*\*\* لجأ سواكم عاصم ومجار  
أهل النبوة والرسالة والهدى \*\*\* في البيئات وسادة الأطهار  
والوحي والتأويل والتحريب \*\*\* م والتحليل لا خلف ولا أنكار  
وأيضاً نراه يهجو بني أمية وبني العباس في أبيات على غضبهم حق الخلافة من أهل  
البيت (عليهم السلام) واضطهادهم لهم ثم يقول (450) :

لو تسألون القبر يوم فرحتم \*\*\* لأجاب أن محمداً محزون  
ماذا تريد من الكتاب نواصب \*\*\* وله ظهور دونها وبطون  
هي بغية أضللتموها فارجعوا \*\*\* في آل ياسين ثوت ياسين  
ردوا عليهم حكمهم فعليهم \*\*\* نزل البيان وفيهم البيتان

---

(446) أيضاً يوجد هذان البيتان في دائرة المعارف الحسينية ديوان القرن الخامس ص 93.

(447) ديوان ابن هانيء ص 217.

(448) الوشائظ جمع الوشيطة: الدخلاء في القوم ليسوا من صميمهم.

(449) ديوان ابن هانيء ص 146.

(450) ديوان ابن هانيء ص 303، أدب الطف 82/2.

وأيضاً يقول: (451)

أفي ابن أبي السبطين أم في طليقكم \*\*\* تنزلت الآيات والصور الغرّ  
يقول في هذه الأبيات أنّ هذا الذي فعلتموه غير مرضي للنبي (صلى الله عليه وآله) وهو  
محزون له فأنتم حرّقتُم معاني القرآن وصرفتموها عن مواضعها الحقّة، فأهل البيت (عليهم  
السلام) هم آل ياسين فأعيدوا الحق لأهله.

ويؤكد ذكر مناقب وفضائل أهل البيت (عليهم السلام) قائلاً: (452)

إن قيل من خير البرية لم يكن \*\*\* إلّا كم خلقٍ إليه يشار  
والشاعر الآخر الذي نستطيع أن نذكره هو عبادة بن ماء السماء وهو حينما يمدح  
مؤسس دولة الحمودين ويهنئه، يقول (453):

أطاعتك القلوب ومن عصى \*\*\* وحزب الله حزبك يا عليّ  
فكل من ادعى معك المعالي \*\*\* كذوب مثلما كذب الدّعيّ  
أبى لك أن تهاض علاك عهد \*\*\* هشامي وجدّ هاشمي  
وما سُميت باسم أبيك إلّا \*\*\* ليحيا بالسمي له السمي  
فان قال الفخور أبي فلان \*\*\* فحسبك أن تقول أبي النبيّ  
في هذه الأبيات يؤكد عبادة بن ماء السماء أن العلويين معدن الفخر ذلك لكونهم أبناء  
الرسول (صلى الله عليه وآله)، وبما أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبوهم فهم أحق بالحكم وراثته.  
ومن هؤلاء الشعراء الذين يذكرون محبتهم لأهل البيت وحبهم لبني فاطمة (عليهم السلام) هو  
ابن الحنّاط الرعيني، وفي أشعاره يمدحهم ويشير فيها إلى أنهم أبناء الرسول (صلى الله عليه وآله)،  
ولهم الفضل والأحقية بالإمامة والخلافة، وحتى حينما يصف طبيعة الأندلس من خلال  
وصفه يعبر أن كل هذا الجمال يكون لشمائل ممدوحه الذي صرّح عليه بالهاشمي والفاطمي.  
قال: (454)

راحت تذكر بالنسيم الراحا \*\*\* وطفاء تكسر للجنوح جناحا  
ومنها:

روض يُحاكي الفاطمي شمائلًا \*\*\* طيّباً ومزن قد حكاها سماحا  
وأيضاً قال (455)

---

(451) المصدر السابق.

(452) المصدر السابق ص 146.

(453) الذخيرة 478/1/1.

(454) تاريخ الأدب العربي. عمر فروخ 484/4.

إمام وصي المصطفى وابن عمه \*\*\* أبوه فتم المجدبين أب وابن  
ويشير في هذا البيت إلى أن الإمام وصي النبي (صلى الله عليه وآله). ومن قوله (عليه  
السلام): (456)

أبناء فاطمة رسل العلا رضعوا \*\*\* وبالسماح غدوا والجود إذ فطموا  
قوم إذا حلف الأقوام أئهم \*\*\* خير البرية لم يحنت لهم قسم  
سمالهم من سماء المجد من شرف \*\*\* بيت تداعت له العرب والعجم  
مناقب سمحت في كل مكرمة \*\*\* كأنما هي في أنف العلا شمم  
يدافع ابن الحناط عن أهل البيت (عليهم السلام) والتشيع والاعتقاد بهما لأنهم أبناء فاطمة (عليها  
السلام). فإنهم أفضل الناس وخير البرية وجدّيون بالخلافة والإمامة لأن كل منقبة شريفة فيهم  
ولهم:

ويمدح القاسم بن حمود قائلا: (457)  
لك الخير خير إن مضى لسبيله \*\*\* وأصبح أمر الله في ابن رسوله  
وفرق جمع الكفر واجتمع الوري \*\*\* على ابن رسول الله بعد خليله  
وقام لواء النص فوق ممّع \*\*\* من العز جبرئيل أمام رعيه  
وأشرقت الدنيا بنور خليفة \*\*\* به لاح بدر الحق بعد أفوله  
من الهاشميين الذين بمجدهم \*\*\* تعود شخص المجد جرّ ذيله  
ولما دعا الشيطان في الخيل حزبه \*\*\* وأقبل حزب الله فوق خيوله  
يذكر الشاعر أن الحموديين أبناء رسول الله (صلى الله عليه وآله) والخلافة حقهم وقد أعيدت  
فيهم بعد أن أخذت غصباً منهم، وأنهم حزب الله ثم يذكر نسبهم الهاشمي، ذلك النسب الذي  
يرجون منه كل الخير، وفي قصيدة أخرى يشير إلى حبه لآل محمد (صلى الله عليه وآله)  
فيقول (458):

إن كان عدوا حبّ آل محمد \*\*\* ذنباً فإنني لست منه أتوب  
ونرى في أشعار ابن مقانا الإشبوني أنه يمدح الحموديين لصلتهم بالرسول (صلى الله عليه  
وآله) قائلا: (459).

(455) الذخيرة 451/1/1.

(456) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 486/4.

(457) الذخيرة 484/1/1 .

(458) المصدر السابق 481/1/1.

(459) الذخيرة 791/2/2 - المغرب في حلى المغرب 413/2 - المعجب ص 118 - تاريخ الأدب الأندلسي. إحسان

عباس ص 135 - دائرة المعارف الشيعية 28/4.

يا بني أحمد يا خير الورى \*\*\* لأبيكم كان وفد المسلمين  
نزل الوحي عليه فاحتبى \*\*\* في الدجى فوقهم الروح الأمين  
إلى أن قال الشاعر في حق أهل البيت (عليهم السلام) مشيراً إلى بني حمود:  
خلقوا من ماء عدل وتقى \*\*\* وجميع الناس من ماء وطين  
انظرونا نقتبس من نوركم \*\*\* إنه من نور رب العالمين  
مع أن هذه الأبيات ليست مدح رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولكن ذكر النبي (صلى الله عليه وآله) في كلها، ونص فيها على نسبة أهل البيت (عليهم السلام) إليه.

الرثاء: نرى في أشعار الرثاء التي أنشدها الأندلسيون أنهم ذكروا أهل البيت (عليهم السلام) ونسبتهم بالنبي (صلى الله عليه وآله) أيضاً. إنهم جروا في رثائهم على سنن المشاركة ولم يختلفوا عنهم من حيث التفجع على الميت ووصف المصيبة وتعداد المناقب، فكانت معانيهم وأساليبهم متشابهة «بيد أنهم فاقوا المشاركة برثاء الممالك البائدة لما في نفوسهم من محبة صادقة لوطنهم وشغف عظيم بجمال طبيعته وعمرانه» (460).

وأكثر الشعراء في رثاء مدنهم فصار بسبب ذلك فناً شعرياً قائماً بذاته في أدبهم. وقد اتسعت موضوعات الرثاء لدى الأندلسيين، فهناك رثاء الأفراد كرثاء الخلفاء والأمراء ورجال الدولة ورثاء الأهل والأقارب والأمهات والأبناء والأصدقاء والزوجات ورثاء العلماء والفضلاء والأساتذة الكبار.

وهناك لون آخر من الرثاء وجد رواجاً في عصر الموحدين وهو رثاء الحسين (عليه السلام) وأهل البيت (عليهم السلام) وكان إقبال الشعراء عليه تعبيراً عن حبهم وتعلقهم بالحسين (عليه السلام) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام)، وتأكيداً على المكانة التي وجدها المسلمون في قلوبهم.

«وقد ذكر ابن الخطيب أن الأندلسيين كانت لهم عادات ومراسيم معينة في ذكرى مقتل الحسين (عليه السلام) من التمثيل بإقامة الجنائز وإنشاد المراثي وإقامة الاحتفالات وطبخ الأطعمة وإنارة الشموع وقراءة القرآن والتغني بالمراثي وذكر أن هذه المراثي كانت تسمى "الحسينية" وأشار إلى أنها ظلت قائمة حتى أيامه» (461).

(460) أدباء العرب - البستاني 50/3.

(461) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ص178 نقلاً عن أعمال الأعلام المخطوط 36.

وقد أورد ابن الخطيب إنموذجاً لهذه المراثي ممثلاً في قصيدة لأبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي (المتوفى سنة 598 هـ) وذكر أن هذه القصيدة كانت مشهورة ينشدها المسمعون وفيها يقول<sup>(462)</sup>:

سلامٌ كأزهار الربى يَنْتَسِمُ \*\*\* على منزل منه الهدى يتعلم<sup>(463)</sup>  
على مَصْرَعٍ للفاطميين غُيِّبَتْ \*\*\* لأوجههم فيه بدورٌ وأنجم  
على مشهد لو كنت حاضر أهله \*\*\* لعابنتُ أعضاء النبي تُقسم  
على كربلاً لا أخلف الغيثُ كربلاً \*\*\* وإلا فإنَّ الدَّمْعَ أُنْدَى وأكرم  
مصارغُ ضجَّتْ يثربُ لمصابها \*\*\* وناح عليهنَّ الحطيمُ وزمزم  
ومنها: \*\*\* وروضة مولانا النبي محمد \*\*\* تَبْدَى عليه الثكلُ يوم تخرم<sup>(464)</sup>  
ومنبره العلوي للجدع أعولا \*\*\* عليهم عويلا بالضمائر يُفهم  
وما قدروا ما تبكي البلادُ وأهلها \*\*\* لآل رسول الله والرُّزءَ أعظم  
لو أن رسول الله يحيى بُعيدهم \*\*\* رأى ابنُ زياد أمَّهُ كيف نُعَمِّم  
وأقبلتِ الزَّهراءُ فُدِّسَ ثربها \*\*\* تُنادي أباهَا والمدامع تَسْجَمُ<sup>(465)</sup>  
تقول أبي هم غدروا ابني نهبة \*\*\* كما صاغه قيسٌ وما مَجَّ أرقم<sup>(466)</sup>  
سَقَوْا حسناً للسمِّ كاساً روية \*\*\* ولم يقر عوا سِناً ولم ينتدموا<sup>(467)</sup>  
وهم قطعوا رأس الحسين بكربلاً \*\*\* كأنهم قد أحسنوا حين أجرموا  
فخذ منهم ثأري وسكن جوانحاً \*\*\* وأجفانَ عين تستطير وتسجم<sup>(468)</sup>  
أبي وانتصر للسهبِ واذكر مصابه \*\*\* وغلته والنهر رِيَّانُ مفعَم<sup>(469)</sup>  
وأسر بنيه بعده واحتمالهم \*\*\* كأنهم من نسل كسرى نُعْثَمُوا  
ونقر يزيد في الثنايا التي اغتدت \*\*\* ثناياك فيها أيُّها النورُ تُلْثَمُ<sup>(470)</sup>

(462) نفس المصدر ومن رسالة الدكتور الغزالي 159 نقلاً عن أعمال الأعلام المخطوط ص38-36. دائرة المعارف الشيعية 29/4، أدب الطف 12/4 .

(463) تَنْسَمُ الريح: هبَّت هبوباً رويداً وتَنَسَم المكان بالطيب: أَرَج.

(464) تَبْدَى: ظهر، تخرم: أهلك.

(465) سجم الدمع: سال وانصب.

(466) مَجَّ الشيء من فمه: رماه، الأرقم: أخبث الحيات.

(467) قرع السن: كناية عن الندم.

(468) استطار الشيء: انتشر وتفرق.

(469) الغله: العطش الشديد، فَعَمَ الأبناء: مَلَأه.

(470) نقره: ضربه.

إذا صدّق الصديقُ حَمْلَةَ مُقَدِّم \*\*\* وما فارقَ الفاروقَ ماضٍ ولَهْذَم (471)

وعاثَ بهم عثمان عيْثَ ابن مرة \*\*\* وأعلى علي كعب من كان يُهْضَم (472)

يبدو في هذه الأبيات أن الشاعر يشير إلى حزن النبي (صلى الله عليه وآله) وتألمه لأجل الفجعة التي وقعت على أهله ويفيض صفوان في وصف ما تركته تلك الفجعة من آثار محزنة في نفوس المسلمين، ويتحدث عما فعله الأمويون بأهل البيت (عليهم السلام)، ثم يقول: إن الزهراء (عليها السلام) تأتي ودموعها تجري بغزارة وتنادي أباها وتشرح له ما أصيب به أبناءها من قبل الأعداء وتضرعت الزهراء (عليها السلام) عند أبيها لأخذ الثأر...

ويستمر صفوان قائلاً: (473)

فيا أيّها المغرور والله غاضب \*\*\* لبنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أين تيمم (474)

ألا طربٌ يُقلى ألا حزنٌ يُصطفى \*\*\* ألا أدمع تُجرى ألا قلب يُضرم

قفوا ساعدونا بالدموع فإنها \*\*\* لتصغر في حقّ الحسين ويعظم

ومهما سمعتم في الحسين مراثياً \*\*\* تُعبر عن محض الأسى وتترجم

فمدّوا أكفّاً مُسعين بدعوة \*\*\* وصلّوا على جدّ الحسين وسلّموا

يبكي صفوان على مصرع الحسين (عليه السلام) بكاءً حاراً وينهي قصيدته بالدعاء والصلاة على جدّ الحسين (عليه السلام). وقد اشتهر صفوان بمراثيه في الحسين (عليه السلام) وأشار إلى ذلك عبد الملك المراكشي أيضاً فقال: «وانفرد صفوان في تأبين الحسين (عليه السلام) وبكاء أهل البيت (عليهم السلام)» (475).

ومدحهم وذكر حكايات كثيرة في بركات المدائح النبوية وتحول عن مدح الملوك والأمراء إلى مدح النبي (صلى الله عليه وآله) وآله (عليهم السلام) كما ورد في الكتب التي تُرجمت له. ورثاء صفوان «يتسم بعمق الإحساس ولوعة الأسى وتوهج العاطفة وفي جوّ موسيقي محزن وبنبرات متوجعة وأتات متحرقة بحيث يجعل القارئ يفعل مباشرة بالمأساة كتصويره لمشهد فاطمة (عليها السلام) وعلي (عليه السلام)، وهي على مسرح المأساة تتوجه إلى أبيها

(471) اللهزم: الحاد القاطع من السيوف.

(472) عاث الشيء عثياً: أفسده - أعلى كعبه: رفع شأنه. هضم فلاناً: ظلمه وغصبه.

(473) المصدر السابق نقلاً عن أعمال الأعلام المخطوط 37.

(474) يَمّمه: قصده.

(475) الذيل والتكملة 140/4.

شاكية ما أصاب ولدها الحسين (عليه السلام) وهي تذرف الدموع من مظالم بني أمية ومع الأسف لم يصلنا من أدبه هذا ومن خصائصه الجميلة الجليلة من مرثي الحسين (عليه السلام) إلا قصيدتان وبضعة أبيات»<sup>(476)</sup>.

وفي قصيدته الأخرى يرثي بها الإمام الحسين (عليه السلام) فيقول<sup>(477)</sup>:

أومض ببرق الأضلع \*\*\* واسكب غمام الأدمع

واحزن طويلاً واجزع \*\*\* فهو مكان الجزع

وانثر دماء المقلتين \*\*\* تألماً على الحسين (عليه السلام)

وابكّ بدمع دون عين \*\*\* إن قلّ فيض الأدمع

قضى لهيفاً فقضى \*\*\* من بعده فصل القضا

ريحانة الهادي الرضا \*\*\* وابن الوصي الأ نزع

وقد أظهر صفوان أن لوعته على الحسين (عليه السلام) لم تكن إلا لأنه ابن النبي (صلى الله عليه

وآله) وابن الوصي، وإشارته إلى ابن النبي (صلى الله عليه وآله) اثبات لحق أهل البيت (عليهم السلام)

لأنهم أبناء رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم اثبات أحقية الإمام علي (عليه السلام) لأنه وصي النبي

(صلى الله عليه وآله).

وهناك شاعر عاصر صفوان، هو ناهض الوادي آشي (المتوفى 615 هـ)، وله قصيدة

في رثاء الحسين (عليه السلام) «شديدة الأسى والنياح وقد اختار لها إطاراً فنياً أضفى عليها

ظلالاً من الحزن وشحنها بأنغام شجية باكية»<sup>(478)</sup>.

فيقول<sup>(479)</sup>:

أمرئة سَجَعَتْ بَعْدَ أَرَاكِ \*\*\* قولي مؤلِّهةَ علامَ بُكَاءِ<sup>(480)</sup>

أجفالكِ إلفكِ أم بُليتِ بفرقة \*\*\* أم لاحَ برقٌ بالحمى فشجالكِ<sup>(481)</sup>

حتى يقول:

لو كنتِ مثلي ما أَقَفْتِ مِنَ البكا \*\*\* لا تحسبي شكوايَ من شكواكِ

---

(476) درر السمط ص42.

(477) أدب الطف 250/3.

(478) نفح الطيب 373/6.

(479) المصدر السابق 70/5. دائرة المعارف الحسينية ديوان القرن السابع ص138.

(480) أرْنَ رنيناً: رفع صوته بالبكاء والمرئة: الكثيرة الرنين.

(481) جفا صاحبه: أعرض عنه. الإلف: الصديق. شجاء: أحزنه.

أبكي قَتِيلَ الطِفِّ فرَعَ نَبِيَّنا \*\*\* أكرمُ بفرع للنبوة زاكي  
ويلُّ لِقوم غادروه مضرَّجاً \*\*\* بدمائه نضواً صريعَ شكاك<sup>(482)</sup>  
مُتَعَفِّراً قد مزَّقت أَشْلاؤه \*\*\* فَرِيّاً بكلِّ مهتدٍ فَنَّاك<sup>(483)</sup>  
ويوجه حديثه إلى يزيد الذي قتل الحسين (عليه السلام)، دون مراعاة لمكانته وصلته  
بالرسول (صلى الله عليه وآله) فيقول:

أيزيدُ لو راعيتَ حرمةَ جدِّه \*\*\* لم تقتنص ليثَ العرين الشاكي  
أو كنتَ تُصغي إذ نقرتَ بثغره \*\*\* قَرَعْتَ صماخك أنه المسواك  
أترومُ ويك شفاعَةً من جدِّه \*\*\* هيهاتَ لا ومدبِّر الأفلاك  
ولسوف تُنبذُ في جهنم خالداً \*\*\* ما اللُّهُ شاء ولاتَ حين فكاك  
نسب صاحب أدب الطف 249/3 وصاحب دائرة المعارف الشيعية 302/4 هذه الأبيات  
لصفوان بن إدريس ولكن في نسبتها إليه غفلة لهما، وقد ذكرها المقري في كتابه (نفح الطيب  
70/5) كاملة وقد نسبها لقائلها ناهض بن محمد الوادي.

وهكذا لأبي البقاء الرندي (المتوفى سنة 684 هـ) قصيدة طويلة في رثاء الحسين (عليه  
السلام) محاولة منه، مضاهاة لقصيدة صفوان بن إدريس، وهي قصيدة مخمسة على حروف  
المعجم، وتسير القصيدة على نسق من التحسر على الحسين (عليه السلام) والتنديد بقاتليه. ولكن  
أكثر شعره في هذا الباب قد أصابه الضياع. ومن مخمسته<sup>(484)</sup>:

أبيت فلا يساعدي عزاء \*\*\* إذا ذكر الحسين وكربلاء  
فخلَّ الوجد يفعل مايشاء \*\*\* لمثل اليوم يدّخر البكاء  
عفا من آل فاطمة الجواء  
بعينك يا رسول الله مابي \*\*\* دموعي في انهمال وانسكاب  
وقلبي في انتهاب والتهاب \*\*\* على دار مكرمة الجناح  
عفتها الريح بعدك والسماء  
بكيت منازل الصبر السؤاة \*\*\* بمكة والمدينة والفرات  
معالم للعلا والمكرمات \*\*\* عفت آثارها وكذاك يأتي  
على آثار من ذهب العفاء

(482) ضرَّج الثوب بالدم: لطحه. نضا الرجل من ثوبة: جرده، النضو: البعير المهزول.

(483) تعفر الشيء: تترب. الأشلاء: هو القطعة من اللحم. فري الشيء: فرياً: قطعه.

(484) أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس ص166.

وحسينياته كثيرة مشهورة منها<sup>(485)</sup>:

أندب الطف وسبط المصطفى \*\*\* بمراث هي أسرى من قفا

لا ترم ضوء هدى من بعده \*\*\* فسراج الهدى بالطف انطفا

«ولابن المناصف موسى بن عيسى المتوفى سنة (627 هـ) أرجوزة في مقتل الحسين

(عليه السلام) نظمها باقتراح إبراهيم الدرعي الكفيف»<sup>(486)</sup> ولكن لم يصل إلينا شيء منها.

ظهر الحب للنبي (صلى الله عليه وآله) في رثاء الحسين والأئمة (عليهم السلام) عند كثير من شعراء

الأندلس كابن هانيء، ابن دراج، ابن عبدون، ابن أبي الخصال، ابن جابر، صفوان بن

إدريس،... أتينا ببعضها وسنذكر بعضاً آخر منها.

من الشعراء الذين نظموا في رثاء الحسين (عليه السلام) هو ابن هانيء الذي نجد بدايات

رثاء الحسين (عليه السلام) عنده، وهو في قصائده المختلفة وأشعاره الكثيرة يسجل كربلاء وما

حل بها على أهل البيت (عليهم السلام) من تقتيل وسبي لحرهم من قبل يزيد والحزب الأموي

ويدافع عنهم في مواضع مختلفة من ديوانه.

ومن أشعاره<sup>(487)</sup>:

ألا إن يوماً هاشمياً أظلم \*\*\* يطير فراش الهام عن كل مجثم<sup>(488)</sup>

كيوم يزيد والسبايا طريده \*\*\* على كل موار الملاط عثم<sup>(489)</sup>

وقد غصت البيداء بالعيس فوقها \*\*\* كرائم أبناء النبي المكرم

وأيضاً يقول<sup>(490)</sup>:

سمّاه جدك ذا الفقار وإنما \*\*\* سمّاه من عاديت عزرائيلا

وكان به لم يبق وترا ضائعاً \*\*\* في كربلاء ولادماً مطلولا

ومن هؤلاء الشعراء ابن أبي الخصال (المتوفى سنة 540 هـ) يقول في إحدى

حسينياته: <sup>(491)</sup>

---

(485) أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس ص 165 .

(486) نفح الطيب 397/6.

(487) ديوان ابن هانيء ص 279. أدب الطف 74/2. أعيان الشيعة 86/10.

(488) فراش الدماغ: عظام دقيقة تبلغ القحف. الهام: جمع هامة وهو الرأس. جثم الرجل: تلبد بالأرض. والمجثم: محل الجثوم.

(489) مارت الناقة: ترددت وناقة مائرة: النشيطة في سيرها. الملاط: جانب السنام. بغير عثم: قوي طويل في غلظ.

(490) ديوان ابن هانيء ص 240.

(491) رسالة الدكتور الغزالي ص 155 نقلاً عن فهرسة ابن خير ص 421. أدب الطف 305/10.

عَرَجَ عَلَى الطِفِّ إِنْ فَاتَتْكَ مَكْرَمَةٌ \*\*\* وَاذُرِ الدَّمْعَ بِهَا سَحاً وَهَتَانَا<sup>(492)</sup>  
 وَابِكَ الْحُسَيْنَ وَمَنْ وَافَى مَنِّيَّتَهُ \*\*\* فِي كَرْبَلَاءَ مَضَوْا مَتْنَى وَوَحْدَانَا  
 يَا لَيْتَ شَعْرِي أَنِّي جَرِيحُ الطِفِّ دُونَهُمْ \*\*\* أَهْيَنَ نَفْساً تُفِيدُ الْعِزَّ مَنْ هَانَا  
 إِنِّي لِأَجْعَلَ حَزَنِي فِيهِمَا تَرْفَأَ \*\*\* يَكُونُ لِلذَّنْبِ تَكْفِيراً وَغَفْرَانَا<sup>(493)</sup>  
 اللَّهُ عَيْنٌ بَكَتْ أَبْنَاءَ فَاطِمَةَ \*\*\* تَرَى الْبَكَاءَ لَهُمْ تَقْوَى وَإِيمَانَا  
 مَا سَرَّنِي بِبَكَائِي مُلْكٌ قَاتِلُهُمْ \*\*\* وَمِثْلُهُ مَعَهُ لَوْ صَحَّ أَوْكَانَا  
 أَلَيْتُ بِاللَّهِ لَا أُنْسَى مَصَائِبَهُمْ \*\*\* حَتَّى أَضْمَنَ أَطْبَاقاً وَأَكْفَانَا  
 فَيَا مُحَمَّدَ قُمْ لِلَّهِ مُعْتَرِفاً \*\*\* فَإِنْ رَبَّكَ قَدْ أَوْلَاكَ إِحْسَانَا  
 لَمْ يُفْرِغِ اللَّهُ فِي جَنبِيكَ حُبَّهُمْ \*\*\* إِلَّا لَتَلْقَى بِهِمْ فَوْزاً وَرِضْوَانَا  
 فِي بَدَايَةِ الْقَصِيدَةِ يَهْتَفُ صَارِخاً مَتَمْنِياً الشَّهَادَةَ وَالْمَوْتَ مَعَ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَلَكِنْ  
 الْأَيَّامُ هِيَ الَّتِي أَخْرَتْهُ عَنْهَا؛ فَلِذَلِكَ يَطِيلُ الْبَكَاءُ وَالْجَزَعُ عَلَى الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَعَلَى أَهْلِ  
 بَيْتِهِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وَصَحْبِهِ، وَيَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهُ فِدَاهُمْ بِنَفْسِهِ حَتَّى تَبْقَى تِلْكَ النُّفُوسُ الطَّاهِرَةُ أَنْ  
 لَا يِنَالَهَا مَا نَالَهَا، ثُمَّ يَقُولُ: إِنْ اعْتَقَادِي بِالْحُزْنِ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا هُوَ الْغُفْرَانُ وَالتَّكْفِيرُ لِلذَّنُوبِ.  
 إِنَّهُمْ أَبْنَاءُ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ)، فَالْبَكَاءُ وَالْحُزْنُ عَلَيْهِمْ مِنْ عِلَامَاتِ التَّقْوَى وَالْإِيمَانِ ثُمَّ يَذْكُرُ  
 أَنَّهُ لَا يَنْسَى أَبَداً الْمَصَائِبَ الَّتِي جَرَتْ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وَيُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ  
 عَلَيْهِ الْحَمْدَ لِلَّهِ الَّذِي أَلْقَى حَبَّ آلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فِي قَلْبِهِ لِيَلْقَى بِذَلِكَ الْفَوْزَ وَالرِّضْوَانَ.  
 وَيَقُولُ فِي قَصِيدَةٍ أُخْرَى لِرِثَاءِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) <sup>(494)</sup>:  
 لَهْفُ نَفْسِي عَلَى الْحُسَيْنِ وَمَنْ لِي \*\*\* أَنْ تَقْضِيَ حَقُّهُ عِبْرَاتِي  
 يَا جَفُونِي بَرِئْتُ مِنْكَ إِذَا لَمْ \*\*\* تُغْرِقِي فِي بَحُورِهَا نَظْرَاتِي  
 لَهْفُ نَفْسِي عَلَى قَتِيلٍ يُعَزَّى \*\*\* عَنْهُ خَيْرُ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ  
 أَيُّ عَيْشٍ يَطِيبُ بَعْدَ قَتِيلٍ \*\*\* مَاتَ بِالْمَرْهَفَاتِ أَيَّ مَمَاتِ  
 حَرَمَوْهُ مَاءَ الْفِرَاتِ وَلَوْ لَا \*\*\* جَدُّهُ مَا سَقَوْا بِمَاءِ الْفِرَاتِ  
 إِنْ فِي كَرْبَلَاءَ كَرْباً سَقِيماً \*\*\* فَتَنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ  
 فَاتَنِي نَصْرُكُمْ بِنَصْلِي فَنَصْرِي \*\*\* بِفَوَادٍ مُجَدَّدِ الْعِبْرَاتِ

(492) أَدْرَى الدَّمْعُ: أَسَالُهُ. سَحَ الدَّمْعُ سَحاً: صَبَّهُ صَبّاً مُتَتَابِعاً غَزِيراً. هَتَنْتُ السَّمَاءَ: تَتَابَعَتْ مَطَرُهَا وَانْصَبَتْ.

(493) تَرْفَعُ: تَتَعَمَّقُ.

(494) أَدَبُ الطِّفْلِ 306/10 - دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْحُسَيْنِيَّةِ دِيْوَانُ الْقُرْنِ السَّادِسِ ص 51 .

والقصيدة تسعة وعشرون بيتاً وهو يدافع فيها عن أهل البيت (عليهم السلام) وحقهم ويذكر نسبتهم إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، وفي رثائه للحسين (عليه السلام) يكرّر اللوعة والألم في نفسه بتمنيه الحضور مع الحسين (عليه السلام) كي يفديه بنفسه.

وأيضاً يقول الشاعر في إحدى حسينيّاته الأخرى (495):

ولو حَدَّثت عن كربلاء لأبصرت \*\*\* حسيناً فتاها وهو شِلُو مُقَدَّد (496)  
وثاني سبْطى أحمد جَعَجَعَتْ به \*\*\* رُعاء جُفأة وهو في الأرض أجرد (497)  
ولم يَرُقُّبوا إلا لآل محمّد \*\*\* ولم يذكروا أنّ القيامة موعد  
وأنّ عليهم في الكتاب مودّة \*\*\* بقرباه لا يَنحاش عنها موحّد (498)  
فيا سرع ما ارتدّوا وصدّوا عن الهدى \*\*\* ومالوا عن البيت الذين به هُدوا  
ويا كبدي إن أنت لم تَنصَدَّعي \*\*\* فأنت من الصّفّوان أفسى وأجلد (499)  
فيا عبرتي إن لم تَفِضْ عليهم \*\*\* فنفسى أسخى بالحياة وأجود  
أنتنهبُ الأيام فلذة أحمد \*\*\* وأفلاد من عاداهم تتودّد  
أيضُحى ويظمى أحمد وبناته \*\*\* وبنّت زياد وردها لا يُصرّد (500)  
وما الدّين إلا دينُ جدّهم الذي \*\*\* به أصدرّوا في العالمين وأوردوا  
ينامُ النّصارى واليهودُ بأمنهم \*\*\* ونومُهم بالخوف نومُ مشرّد  
وماهي إلا ردةٌ جاهليّة \*\*\* وحقد قديم بالحديث يؤكّد

يلجّ الشاعر على مأساة كربلاء ويقدمها في صور شتى ويكرّر أفكاره خلال قصائده، وفي هذه الأبيات يؤكد على عدم رعاية حرمة آل رسول الله (صلى الله عليه وآله) في قتل الحسين (عليه السلام) السبط. وأنهم - أي قاتلوا الحسين (عليه السلام) وأصحابه - تناسوا آية المودة. فاعتبر قتل الحسين (عليه السلام) ارتداداً عن الدين والهدى وبقتله قُتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وما هذا إلا تنفيذ للحقد القديم الذي يحمله الأمويون وقد ثاروا له.

---

(495) أدب الطف 307/10، دائرة المعارف الحسينية. وديوان القرن السادس ص 82 .

(496) الشلو: الجسد من كل شيء. قدّه: شقّه.

(497) جعجع بالقوم: ألزهم الجعجاع وهو المكان الضيق الخشن.

(498) إشارة إلى الآية الشريفة (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) سورة الشورى/42.. تحوش عنه: تنحى وانحاش عنه: نفر.

(499) الصفوان: جمع صفوانة وهي الحجر الصلد الضخم. الجلد: القوة والصلابة.

(500) ضحى: أصابته الشمس، انكشف. والظمأ هو الحسين (عليه السلام) وتعبيره بأحمد رائع فكأن الرسول (صلى الله عليه وآله) هو المصاب بما أصيب به الحسين (عليه السلام) وأهل بيته. صرّد الشيء: قطعته وصرّد الرجل: سقاه دون الري.

علينا أن نشير إلى أن كثيراً من الأدب الأندلسي ومنه الأشعار وخاصة الأشعار التي كانت في أهل البيت (عليهم السلام) أو التشيع قد ضاعت أولم يذكرها الكتاب والمؤلفون في كتبهم مثل المقرئ يقول: «لم أورد من ابن الأبار الكلمات التي تُشم رائحة التشيع منها»<sup>(501)</sup>.

وقد اتجه ابن الأبار إلى مدح الرسول (صلى الله عليه وآله) لأنه الشفيع المطاع وإلى البكاء على آل البيت (عليهم السلام) لأنهم السادة الأولياء والرجاء بهم ليوم الجزاء حتى تمحي سيئاته وينعم في دار القرار بمجاورة الأبرار، ولكن لم يصل إلينا إلا القليل من قصائده مع ذلك يوجد في بعض قصائده ما يدل على حبه الشديد في كل ما يتعلق برسول الله (صلى الله عليه وآله) وحبّه بالبقاع الحجازية.

وقال أيضاً في التشوق إلى الضريح الشريف وعلى الدفين به:<sup>(502)</sup>

ولو عزّلي عونٌ من المقدار \*\*\* لهجرتُ للدار الكريمة داري  
ويا زائرَين القبرِ قبرِ محمدٍ \*\*\* بشرى لكم بالسبق في الزّوار  
أوضعتُم لنجاتكم فوضعتُم \*\*\* ما لاذكم من فادح الأوزار

وله قصائد في الشفاعة بقبر النبي (صلى الله عليه وآله) والرجاء في شفاعته الكبرى وحث الناس على حب آل البيت (عليهم السلام) واللجوء إليهم للخلاص من مصائب الدهر وأهوال يوم الخلاص.

وقد برز هذا الإتجاه في القرن السادس بين العامة والالتجاء إلى الزوايا والتوسل إلى الرسول بين الخاصة، وشاع إرسال القصائد إلى الروضة الشريفة والبكاء على آل البيت (عليهم السلام) وخاصة الحسين (عليه السلام) وفي كتابه درر السمط في خبر السبط يقول<sup>(503)</sup>:

تذكرتُ يومَ السبط من آل هاشم \*\*\* وما يومنا من آل حرب بواحد  
لئن رقد النَّصارُ عما أصابنا \*\*\* فما اللهُ عما نيل منا براقد

ويتذكر ما حلّ بآل الرسول (صلى الله عليه وآله) في كربلاء، وبعد ذكر لمأساتهم يشير إلى فريقين متفاوتين: فريق لهم وفريق عليهم ويعلن عن نفسه بأنه معهم ويظهر أن الله لبا لمرصاد.

قال ابن جبير (المتوفى 614 هـ) في الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام)<sup>(504)</sup>

(501) نفح الطيب 506/4.

(502) ديوان ابن الأبار ص 444.

(503) درر السمط في خبر السبط ص 185.

(504) دائرة المعارف الحسينية ديوان القرن السابع ص 80.

أحبّ النبيّ المصطفى وابنَ عمّه \*\*\* عليّاً وسبطيه وفاطمة الزهراء  
هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم \*\*\* وأطلعهم أفق الهدى أنجماً زُهر<sup>(505)</sup>

موالاتهم فرض على كل مسلم \*\*\* وحُبُّهم أسنى الذخائر للأخرى  
ومن هؤلاء الشعراء ابن عبدون صاحب الرائية في رثاء بني الأفطس، وفي قصيدته  
يشير إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) ويبيّن نكبات الزمن لأهل البيت (عليهم  
السلام) وما لاقوه من مصائب، ويشير إلى أعمال الأمويين ضد العلويين.  
ومطلع القصيدة<sup>(506)</sup>:

الدهر يفجع بعد العين بالأثر \*\*\* فما البكاء على الأشباح والصور  
وسنذكر بعض أبياتها في ترجمته.

حينما تدرس هذه الأشعار دراسة سريعة وموجزة ترى أن أكثر ألفاظها سهلة، واضحة  
المعاني ولعل سبب هذه السهولة يرجع إلى البيئة الأندلسية الجميلة التي بهرت الشعراء  
بجمالها، ويوجد فيها كثير من الكلمات التي تشير إلى نسبة أهل البيت (عليهم السلام) بالنبي (صلى  
الله عليه وآله) مثل: ابن رسول الله، أبناء فاطمة، ابن النبوة، هاشمي، طالبي، ... وتدل كل هذه  
الكلمات على تصريح الشعراء بقرابة أهل البيت (عليهم السلام) وممدوحهم بالرسول الكريم (صلى  
الله عليه وآله).

وأيضاً يرى في هذه الأبيات المزج بين توصيف شمائل الممدوح ووصف الطبيعة الذي  
يكون من خصائص الشعر الأندلسي، وأشار فيها إلى مناقب وفضائل أهل البيت (عليهم السلام)  
وما ورد بحقهم من تفضيل وثناء وما لحق بهم من ظلم وقتل وتشريد.

واتخذ الشعراء من المديح الديني لآل البيت (عليهم السلام) وسيلة سياسية لمطالبة حقهم  
بالخلافة والحكم والدعوة إلى الثأر والانتقام والتنديد بالظلم.

وأشير أيضاً في كثير من الأبيات إلى خلقتهم بأنها غير عادية وليست كخلقة سائر الناس  
بل أنهم خلقوا من ماء عدل وتقى، ونورهم مأخوذ من نور رب العالمين.

وقد ظهرت في أشعارهم قصائد مستقلة في رثاء الحسين (عليه السلام) تسمى بالحسينيات  
ذكرنا بعضاً منها في الصفحات السابقة، حيث إنّنا نجد معاني الأشعار واضحة، جلية، بعيدة

(505) إشارة إلى آية التطهير (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ...).

(506) الإحاطة 47/4. تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 195/5.

عن الغرابة والتراكيب بسيطة والعاطفة صادقة حارة والأسلوب جزل وفيه السهولة  
والوضوح والموسيقى فيها ظاهرة وإيقاعه بيّن.

تراجم الشعراء



### تراجم الشعراء

من الطبيعي أن يتغنى شعراء الأندلس بمدائح الرسول (صلى الله عليه وآله)، فمثلهم في ذلك مثل الشعراء في جميع البلدان الإسلامية إذ هو المثل الكامل لكل مسلم في تقواه ونسكه وورعه وامتناله لأوامر ربه.

ذكرنا في الفصول السابقة أن أول نص نبوي بلغنا عن شعراء النبويات في الأندلس هو مقطوعة لعبد الملك بن حبيب السلمي المتوفى سنة 238 هـ مطلعها<sup>(507)</sup> :

لله درّ عصابة صاحبها \*\*\* نحو المدينة تقطع الفلوات

وقد أخذت هذه المدائح فيما بعد تتكاثر وقد نضجت في القرون التالية.

لقد ذكرت في هذا الفصل الشعراء الذين أنشدوا أشعاراً حول النبي (صلى الله عليه وآله) وحصلت على أخبارهم وترجمتهم وشعرهم في المصادر الموجودة ورتبتهم على حسب حروف الهجاء على الرغم من أن شعراء الأندلس كثيرون. ويصعب استقصاء جميع الشعراء الذين خصصوا شعرهم للمدح النبوي.

ونظراً لضخامة المادة اكتفيت بترجمة مختصرة للشاعر المداح والاستشهاد ببعض الأبيات ما أمكن، ولا أدعي أنني قد أحصيتهم احصاءً كاملاً وحصلت على أخبارهم جميعاً لأنّ هذا العمل يتطلب زمناً أطول للبحث في هذا الأمر .

#### ابن الأبار القضاعي<sup>(508)</sup>

«هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاعي البلنسي اشتهر بلقب ابن الأبار. ولد في مدينة بلنسية سنة 595 هـ / 1198 م. نشأ في أسرة علم وفضل. وكان فقيهاً، راوياً، محدثاً، أديباً، شاعراً، كاتباً، نحويّاً ولغويّاً وعارفاً بالتاريخ... ألف أكثر من خمسين كتاباً وقد ضاع كثير منها - خاصة كتاب اللجين في رثاء

(507) نفح الطيب 55/1.

(508) ترجمته في: معجم المؤلفين 100/2 - نفح الطيب 457/4 - بغية الملتبس 152 - الذيل والتكملة 252/6 - الوافي بالوفيات 355/3 - فوات الوفيات 404/3 - العبر لابن خلدون 283/6 - أزهار الرياض 204/3 - المغرب في حلى المغرب 309/2 - التكملة لكتاب الصلة 511 - تاريخ علماء الأندلس رقم 608 - أعيان الشيعة 384/9 - أدب الطف 69/4 - تاريخ بروكلمان 476/6.

الحسين (عليه السلام) - سوى ثماني كتب منها: درر السمط في خبر السبط، تكملة الصلة، الحلة السيراء في الأشعار الأمراء، تحفة القادم...»<sup>(509)</sup>.

يوجد في بعض قصائده ما يدل على حبه الشديد في كل ما يتعلق برسول الله (صلى الله عليه وآله) وهواه إلى البقاع الحجازية مثلاً<sup>(510)</sup>.

لمثال نعل المصطفى أصفى الهوى \*\*\* وأرى السُّلو خطيئة لن تغفرا

وقال في التشوق إلى الضريح الشريف والدفين به:<sup>(511)</sup>

لو عزلي عون من المقدار \*\*\* لهجرت للدار الكريمة داري

وحللت أطيب طينة من طينة \*\*\* جارا لمن أوصى بحفظ الجار

ومنها: \*\*\* يا زائر القبر، قبر محمد \*\*\* بشرى لكم بالسبق في الزوار

أوضعتم لنجاتكم فوضعتم \*\*\* ما لاذكم من فادح الأوزار

« وله قصائد في الشفاعة بقبر النبي (صلى الله عليه وآله) والرجاء في شفاعته الكبرى وحث

الناس على حب آل البيت (عليهم السلام) واللجوء إليهم للخلاص عن مصائب الدهر وأهوال يوم

الخلاص وهذا الاتجاه قد برز في القرن السادس بين العامة والالتجاء إلى الزوايا والتوسل

إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) وبين الخاصة، وشاع إرسال القصائد إلى الروضة الشريفة ببكاء

آل البيت (عليهم السلام) وخاصة الحسين (عليه السلام)»<sup>(512)</sup>.

#### ابن الأحمر<sup>(513)</sup>

هو «أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد بن فرج بن إسماعيل بن يوسف المدعو

بالأحمر ولد سنة 725 هـ / 1325 م»<sup>(514)</sup> اشتغل بالعلم والأدب منذ مطلع حياته. فهو شاعر

وناثر وله في الشعر قصائد ومقطعات أكثرها شعر مناسبات يغلب عليها المديح، وله أيضاً

---

(509) بتصرف من درر السمط في خبر السبط ص 5 إلى 22 - تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 210/6 - ديوان ابن

الأبار - أدب الطف 69/4.

(510) ديوان ابن الأبار ص 444.

(511) درر السمط ص 51.

(512) درر السمط ص 52.

(513) ترجمته في: تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 615/6 - أزهار الرياض 186/1 و 291 - معجم المؤلفين 301/2 -

الأعلام للزركلي 329/1 - تاريخ بروكلمان 52/7.

(514) تاريخ الأدب العربي. عمر فروخ 615/6.

بديعيات أو مولديات في مدح النبي (صلى الله عليه وآله). ومن كتبه نثير الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان... وهو في مولدية يمدح رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيقول: (515)  
ففي الماء لما من أصابعه انهمى \*\*\* لمعجزة ما في البرايا ضريبها (516)  
إليك رسول الله نيران لوعتي \*\*\* فها هو شوقي الخارجي شبيبها (517)  
هي النفس في آمال زورك سؤلها \*\*\* ورغبتها في أن يتاح رغيها (518)

#### يوسف بن الأحمر (يوسف الثالث) (519)

هو «الثالث عشر من ملوك غرناطة، أبو الحجاج يوسف الناصر بن يوسف (الثاني) بن محمد بن إسماعيل بن يوسف بن نصر» (520). وكانت أيام حكمته أيام ضعف واضطراب من استمرار تنازع أمراء بني الأحمر على البقعة الصغيرة التي كانوا يحكمونها، توفي سنة 819 هـ / 1417 م.

كان أديباً، ناثراً، ناظماً ومُصنّفاً. وفي قصيدته يشير إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وسبطيه إذ يقول (521):

رَضِيتُ بما يرضاه ربِّي وناصرِي \*\*\* مجاهدة بين السيوف البواتر  
وبين افتكاري في العدو المحاصر \*\*\* أنادي إلهاً عالماً بالسرائر  
عسى عطفة من عالم الله والامر  
إليه استنادي حيث حلت ركائبي \*\*\* عليه اعتمادي في جميع المطالب  
وخير شفيع من لوى بن غالب \*\*\* واتباعه ما بين سبط وصاحب (522)  
وما جاء في الفرقان والشفع والوتر

---

(515) تاريخ الأدب العربي. عمر فروخ ص 617/6.

(516) إشارة إلى إحدى من معجزات النبي (صلى الله عليه وآله). الضريب : المثل، الشبيه.

(517) الخارجي: الظاهر، الشبيب: اشتعال النار ويقول: ظاهر شوقي كاشتعال النار.

(518) السؤل: المطلب، الرغيب: شدة الشوق.

(519) ترجمته في: تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 621/6 - الأعلام للزركلي 259/8 - نفح الطيب 303/4 .

(520) تاريخ الأدب العربي. عمر فروخ 621/6.

(521) المصدر السابق 622/6.

(522) لوي بن غالب: من أجداد رسول الله. السبط: ابن البنت، إشارة إلى الإمام الحسن (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام) سبطي رسول الله (صلى الله عليه وآله).

#### أبو البقاء الرندي<sup>(523)</sup>

هو صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف، «اشتهر بكنيتين هما: أبو البقاء وأبو الطيب، وإن كانت الأولى منهما أكثر ذيوماً من الثانية»<sup>(524)</sup> ولد سنة 651 هـ وتوفي 684 هـ<sup>(525)</sup> ومسقط رأسه رندة.

كان من أهل العلم وكان كاتباً وشاعراً وفقياً وحافظاً ومحدثاً، وله كتاب «روضة الأنس ونزهة الأنفس» وكتاب «الوافي في نظم القوافي»<sup>(526)</sup>، وله ديوان شعر، كان معروفاً في زمنه وقد طارت شهرته شرقاً وغرباً لقصيدته النونية التي نظمها بعد سقوط مدن الأندلس في يد النصارى.

وقد رثى الإمام الحسين (عليه السلام) وحسينياته كثيرة يقول في إحداها<sup>(527)</sup>:

أندب الطف وسبط المصطفى \*\*\* بمراث هي أسرى من قفا  
لا ترم ضوء هدى من بعده \*\*\* فسراج الهدى بالطف انطفا  
وله مخمسة على حروف المعجم ذكرت في الفصل السابق.

#### ابن البراق<sup>(528)</sup>

محمد بن إبراهيم بن محمد الهمداني من أهل وادي آش، يكنى أبا القاسم ويعرف بابن البراق ولد سنة 529 هـ / 1134 م<sup>(529)</sup> وتوفي سنة 596 هـ / 1200 م.

كان ابن البراق «محدثاً حافظاً راوية كثيراً وضابطاً لروايته، وكذلك كان أدبياً بارعاً وكاتباً بليغاً، سريع البديهة في النظم والنثر»<sup>(530)</sup>، وكانت له بديعيات في مدح رسول الله (صلى الله عليه وآله). صنّف في الأدب مصنفات منها: بهجة الأفكار وفرصة التذكار في مختار

(523) ترجمته في: الإحاطة 360/3 - أزهار الرياض 47/1 - الذيل والتكملة 136/4 - نفح الطيب 486/4 - دائرة

المعارف الشيعية 215/4 - تاريخ الأدب العربي (الدول والإمارات - الأندلس) د. شوقي ضيف 388 - الشعر الأندلسي في عصر الموحدين 296 - أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس - في الأدب الأندلسي محمد الداية ص 356.

(524) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ص 297.

(525) الإحاطة 360/3.

(526) أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس ص 112.

(527) أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس ص 165.

(528) ترجمته في: الإحاطة 488/2 - تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 530/5 - التكملة 271 (رقم 556) - الأعلام

للزركلي 168/7 و 280/6 - نفح الطيب 516/3 و 278/4 - زاد المسافر 151 - الذيل والتكملة 469/6.

(529) الإحاطة 488/2.

(530) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 531/5.

الأشعار، روضة الحقائق في تأليف الكلام الرائق، وله قصيدة في ذكر النبي (صلى الله عليه وآله) وآله (عليهم السلام) وأصحابه، وقد سماها «القرارة اليتريية بشرف الأحناء القدسية» فيقول فيها<sup>(531)</sup>:

أو ليس حبُّكَ للنبي محمّد \*\*\* أضعاف ما بثته من لوعاتها  
يا كعبة الإسلام يا كهف الهدى \*\*\* يا صارف الأيام عن عاداتها  
يا شارعاً في أمة جُعِلَتْ به \*\*\* وسطاً فنالت مُستدامَ حياتها<sup>(532)</sup>  
ثم يستمر ويشير إلى الإمام عليّ (عليه السلام) ويذكر الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام):  
وعليُّها في المكرمات عليُّها \*\*\* ربُّ اختراط النصر في غزواتها<sup>(533)</sup>  
بابُ العلوم وخيرُ من جالت به \*\*\* همّائه في مرتضى صهواتها<sup>(534)</sup>  
مَنْ حُفَّ بالسبطين ذروة عزّة \*\*\* فنَقَّهقر التغيير عن هضباتها<sup>(535)</sup>  
وفي ختام القصيدة يقول:

يا طيباً ضمّته مسكّة طيبة \*\*\* فنَضَّوَعت دارين عن جذراتها<sup>(536)</sup>  
شوقي لثربتك المقدّسة اقتضى \*\*\* دنفي وصدّ النفس عن خطراتها<sup>(537)</sup>  
ويقول أيضاً:<sup>(538)</sup>

حسبي رسول الله حوضك مورداً \*\*\* أشفي به من غلّتي برّح الصدا  
وأرى جبينك واضحاً متوقداً \*\*\* يا كعبة الإسلام يا كهف الهدى  
يا صارف الأيام عن عاداتها

أبوالقاسم البرجي الغساني<sup>(539)</sup>

(531) المصدر السابق 535/5.

(532) إشارة إلى الآية القرآنية: (جعلناكم أمة وسطاً...) سورة البقرة 143/2.

(533) عليها الأولى: الإمام عليّ (عليه السلام) وعليّها الثانية: أعلاها. ربّ: صاحب - اختلط السيف: سله من غمده.

(534) باب العلوم: إشارة إلى حديث النبي (صلى الله عليه وآله): «أنا مدينة العلم وعلى بابها». الصهوة: من كل شيء أعلاه.

(535) حف القوم بالشيء: أحاط به ونائب الفاعل أمير المؤمنين (عليه السلام) - تفهقر: تراجع .

(536) ياطيباً: يا رسول الله - ضمّته: ضمّت جسده - مسكة طيبة: تراب المدينة المنورة الطيب الطاهر - تضوّع: انتشر طيب الرائحة - دارين: مكانان ذوا شهرة بوجود المسك - الجدرية: حظيرة الغنم (وتكون عادة غير طيبة الرائحة).

(537) الدنف: المرض الذي يشرف بصاحبه على الموت - الحطرة: ما يحظر ببال الإنسان.

(538) الذيل والتكملة 470/6.

«محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن إبراهيم الغساني البرجي الغرناطي المتوفى سنة 786 هـ / 1389 م يكنى أبا القاسم»<sup>(540)</sup> هو فاضل، جامع المحاسن، «طاهر النشأة، طرف في الخير والحشمة، صدر في الأدب، حسن الخط والشعر والكتابه»<sup>(541)</sup>.

أنشد بباب ملك المغرب ليلة ميلاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذه القصيدة الفريدة:<sup>(542)</sup>  
أصغى إلى الوجد لما جدّ عاتبه \*\*\* صبّ له شغل عمّن يعاتبه  
لم يعط للصبر من بعد الفراق يدا \*\*\* فضلّ من ظلّ إرشاداً يخاطبه  
واستهل الشاعر قصيدته بالغزل ثم انتقل من ذلك إلى مخاطبة الربوع المقدسة في مكة وطيبة ويذكر أنها شرّفت بمحمد (صلى الله عليه وآله):

شوقي إليها وإن شط المزار بها \*\*\* شوق المقيم وقد سارت حباته  
معاهدُ شرفت بالمصطفى قلها \*\*\* من فضله شرفٌ تعلو مراتبه  
محمدُ المجتبي الهادي الشفيع إلى \*\*\* ربّ العباد أمينُ الوحي عاقبه  
هو المُكَمَّل في خلق وفي خُلق \*\*\* زكت حلاه كما طابت مناسبه  
جاءت تبشّرنا الرّسلُ الكرامُ به \*\*\* كالصبح تبدوتباشير كواكبه  
سرى وجنح ظلام الليل منسدل \*\*\* والنجم لايهتدي في الأفق ساربه  
يسمو لكل سماء منه منفردٌ \*\*\* عن الأنام وجبرائيل صاحبه  
لمنتهى وقف الروح الأمين به \*\*\* وامتاز قرباً فلا خلق يقاربه

#### البسطي

هو «عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القيسي البسطي، وكانت ولادته في العقد الثاني من القرن التاسع الهجري، إن شعره يردّد أصداء الحياة اليومية، ويعتبر مرآة لعدد من جوانب الحياة الأندلسية في عصره»<sup>(543)</sup>.  
وفي أبيات له يقول متشفعاً بجاه النبيّ (صلى الله عليه وآله)<sup>(544)</sup>:

(539) ترجمته في: الإحاطة 293/2 - نفح الطيب 68/6 - خط سير الأدب العربي 491 - الكتيبة الكامنة ص250.

(540) نفح الطيب 68/6.

(541) الإحاطة 293/2.

(542) المصدر السابق 295/2.

(543) البسطي آخر شعراء الأندلس ص15-17.

(544) المصدر السابق ص33.

مالي إلى ربّ سواك وسيلة \*\*\* أرجو بها أن يمحو الأوزارا  
ويجمع الشمل الشتيت بوالد \*\*\* أضحت ضلوعي من نواه حرارا  
وفي أبيات أخرى عند شدة المطر يقول<sup>(545)</sup>:  
يا ربّ يا ربّ بالآيات والسّور \*\*\* وأحمد المصطفى المختار من مضر  
ارحم ضراعتنا واقبل وسيلتنا \*\*\* وامنن علينا بما نرجو من المطر

ابن جابر الأندلسي<sup>(546)</sup>

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن جابر الأندلسي الهواري المالكي من أهل المرية، ولد بها سنة 698 هـ / 1298 م<sup>(547)</sup> ونشأ فيها طالباً للعلم، «كان كفيف البصر»<sup>(548)</sup> وخرج من الأندلس حاجاً واتخذ لنفسه صاحباً في رحلته هذه، وهو أبو جعفر الرعيني الذي لازمه في حله وترحاله حتى أخريات حياته، ويقول المقري عنهما: «كان ابن جابر ينظم وأبو جعفر يكتب»<sup>(549)</sup> توفي سنة 780 هـ / 1378 م.

كان أديباً، ناثراً، شاعراً، وهو أكثر شعراء عصره عناية بالمديح النبوي، فقد ترك دواوين في هذا الغرض منها: ديوان سمّاه نظم العقدين في مدح سيد الكونين، وهذا الديوان مجموعة مدائحه مرتبة على حروف الهجاء وأيضاً له ديوان آخر «نفائس الملح وعرائس المدح» ورد ذكر ديوان شعره في المدائح النبوية في هدية العارفين<sup>(550)</sup>.

له بديعية اشتهرت بين البديعيات وهي الحلة السيرة في مدح خير الورى وقد يطلق على البديعية «بديعية العميان» وهو الأثر الثاني من آثار البديعيات من حيث التاريخ الزمني.

وفي نفح الطيب طائفة كبيرة من نبوياته منها: مقصورة في نحو ثلاثمائة بيت جميع أبياتها مختومة بألف المقصورة، وكل مقطع مؤلف من عشرة أبيات، والموضوع الغالب على هذه المقصورة مدح الرسول (صلى الله عليه وآله) وإن كان فيها أشياء من الغزل والأدب والتاريخ...

مطلعها: (551)

بادر قلبي للهوى وما ارتأى \*\*\* لمّا رأى من حسنّها ما قد رأى  
إن رسول الله مصباح هدى \*\*\* يُهدى به من في دجى الليل مشى

(546) ترجمته في: معجم المؤلفين 2/294 - تاريخ الأدب العربي 6/530 - الإحاطة 2/330 - نفح الطيب 10/162 - الوافي بالوفيات 2/157 - الأعلام للزركلي 6/225 - بغية الوعاة 1/34 - هدية العارفين 2/170 - تاريخ آداب اللغة العربية جرجي زيدان 2/130 - الحلة السيرة في مدح خير الورى ص6 - وفيات الأعيان 2/68 - تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف 376.

(547) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 6/530.

(548) الإحاطة 2/330.

(549) نفح الطيب 10/162.

(550) هدية العارفين 2/170.

(551) نفح الطيب 10/167.

وإن يكونوا أنجماً في فلك \*\*\* فإنه من بينهم بدرٌ بدا  
وقد بدأ ابن جابر المقصورة بالغزل وضمّتها في تضاعيف المديح النبوي كثيراً من  
الخواطر والحكم، وفصل القول في شمائل الرسول ومعاجزه ومعجزاته و...  
وأنشد له المقرئ مدحة من غرر مدائحه للرسول ورى فيها بسور القرآن الكريم، لو لم  
يكن له في مديحه سواها لكفى وهي تمضي على هذا النحو: (552)  
في كل فاتحة للقول معتبرة \*\*\* حق الثناء على المبعوث بالبقرة  
في آل عمران قد شاع مبعثه \*\*\* رجالهم والنساء استوضحوا خبره  
وأيضاً له قصيدة مطوّلة في فضائل آل البيت (عليهم السلام) ذكرناها في الفصل السابق  
نشعر دائماً أنه يستمد من نبع فياض لا يتوقف بل يتدفق تدفقاً غزيراً.  
و«أهم ما يميّز مدائح ابن جابر، اعتمادها على البحر الطويل في الوزن، ثم الكامل  
فالبسيط، وقلة مقدماته واختتام معظمها بالصلاة والتسليم على النبيّ (صلى الله عليه وآله وآله (عليهم  
السلام) وصحابته». (553)

عليك صلاة الله يا خير مرسل \*\*\* وآلك والصحب الألى نصرّوا الحقاً (554)  
ابن جبّير (555)

«هو أبو الحسين محمّد بن أحمد بن جبّير بن سعيد بن جبّير بن محمّد بن عبد السلام  
الكناني ولد سنة 540 هـ / 1145 م، وتوفي سنة 614 هـ / 1271 م، كان أديباً بارعاً شاعراً  
مجيداً، كريم الأخلاق، ونظمه فائق ونثره بديع وكلامه المرسل وأغراضه جليّة» (556).  
رحل ابن جبّير إلى مشرق ثلاثاً وحجّ في كلّ واحدة منها. وإنما شهرته في رحلته  
المعروفة برحلة ابن جبّير، وأسلوبه في رحلته نثر رصين، جزل الألفاظ، بارع  
السبك... (557)

وله قصيدة مشهورة نظمها وقد شارف المدينة المنورة كان مطلعها: (558)

(552) المصدر السابق 182/10.

(553) القصيدة الأندلسية 338/1.

(554) المجموعة النبّهانية 351/2.

(555) ترجمته في: الإحاطة 230/2 - تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات - الأندلس) د. شوقي ضيف 532 -

تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 608/5 - دائرة المعارف الإسلامية 755/4 - الذيل والتكملة 595/5 - نفح الطيب

380/2 و 485 و 497 - الأعلام للزركلي 214/6 و 309/5.

(556) الإحاطة 230/2.

(557) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 609/5.

أقول وآنست بالليل ناراً \*\*\* لعلّ سراج الهدى قد أنارا  
ويستمر فيقول:

جرى ذكر طيبة ما بيننا \*\*\* فلا قلب في الركب إلا وطارا  
حنيناً إلى أحمد المصطفى \*\*\* وشوقاً يهيج الضلوع استعارا  
ويقول أيضاً: (559)

إذا بلغ العبدُ أرض الحجاز \*\*\* فقد نال أفضل ما أمّ له  
فإن زار قبر نبي الهدى \*\*\* فقد أكمل الله ما أمّله

وأيضاً قال في الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) (560)

أحبُّ النبيِّ المصطفى وابن عمّه \*\*\* عليّاً وسبطيه وفاطمة الزهراء  
هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم \*\*\* وأطلعهم أفقُ الهدى أنجماً زهراً (561)  
موالاتهم فرضٌ على كل مسلم \*\*\* وحبُّهم أسنى الذخائر للأخرى

أبو القاسم ابن جزي (562)

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن ابن يوسف بن  
جزي الكلبي، يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة وهو من ذوي الإصالة والنباهة فيها (563).  
كان فقيهاً، حافظاً، قائماً على التدريس، مشاركاً في فنون العربية والفقه والأصول  
والأدب... ولد سنة 693 هـ / 1264 م، وتوفي سنة 741 هـ / 1344 م من تأليفه كتاب:

---

(558) الإحاطة 235/2.

(559) المصدر السابق 237/2.

(560) دائرة المعارف الحسينية ديوان القرن السابع ص 85.

(561) إشارة إلى الآية الشريفة: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ...) سورة الأحزاب 33/33.

(562) ترجمته في: الإحاطة 21/3 - الكتيبة الكامنة 46 - الأعلام للزركلي 325/5 - نفح الطيب 514/5 - تاريخ بروكلمان 540/7.

(563) الإحاطة 21/3.

الأنوار السنية في الكلمات السنّية، «وله شعر يدور على المعاني الدينية من التقوى ومدح الرسول (صلى الله عليه وآله) والتصوف»<sup>(564)</sup>.

ومن شعره:<sup>(565)</sup>

أروم امتداح المصطفى فيردّني \*\*\* قصوري عن إدراك تلك المناقب  
ومن لي بحصر البحر، والبحر زاخر \*\*\* ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب  
ولو أن أعضائي غدت ألسناً إذاً \*\*\* لما بلغت في المدح بعض مآربي  
ولو أن كل العالمين تألفوا \*\*\* على مدحه لم يبلغوا بعض واجب

أحمد بن محمد بن جزي<sup>(566)</sup>

هو عبدالله بن محمد بن أبي القاسم أحمد بن محمد بن جزي من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، «وهذا الفاضل قريع بيت نبيه وسلف شهير لأبوة خيرة وأخوة بليغة، أخذ عن والده أبي القاسم حديث الرحمة وسمع عليه أبعاضاً من كتب عدة في فنون مختلفة»<sup>(567)</sup>.

ولد سنة 721 هـ وتوفي سنة 757 هـ:

ومن شعره:<sup>(568)</sup>

سنى الليلة الغرّاء وافتك بالبشرى \*\*\* وأبدى منها وجهُ القبول لك البشرى  
لها المنة العظمى بميلاد أحمد \*\*\* لها الرتبة العليا لها العزة الكبرا  
وفي ليلة الميلاد لاحت شواهد قضت \*\*\* أن دين الكفر قد أبطل الكفرا  
لقد أخدمت أنوارها نار فارس \*\*\* وأرجف كما ارتجّ إيوانه كسرى  
له معجزات يُعجز كُنْهها \*\*\* ويُحصّر إن رام اللسان لها حصرا  
ويستمر في ذكر معجزاته وصفاته .

---

(564) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 420/6.

(565) الكتبية الكامنة ص48، الإحاطة 22/3.

(566) ترجمته في الإحاطة 392/3 - الكتبية الكامنة 238.

(567) الإحاطة 392/3.

(568) المصدر السابق ص295.

أبو جعفر أحمد بن محمد بن جزي<sup>(569)</sup>

هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن جزي من أهل  
غرناطة، كناه ابن الخطيب في الكتبية الكامنة أبا جعفر<sup>(570)</sup> والمقري كناه أبابكر<sup>(571)</sup> ولد  
سنة 715 هـ / 1315 م وتوفي سنة 785 هـ / 1383 م.  
تلقى العلم على يد والده وعلى الآخرين. كان فقيهاً وأديباً وشاعراً. وله قصيدة جعل كل  
عجز فيها عجزاً من قصيدة لامرئ القيس.  
منها: <sup>(572)</sup>

ألا ليت شعري هل تقول عزائي \*\*\* «لخيلي كرّ كره بعد أجفال»<sup>(573)</sup>  
فأنزل داراً للرسول نزيلها \*\*\* «قليل هموم ما يبيت بأوجال»<sup>(574)</sup>  
فطوبى لنفس جاورت خير مُرسل \*\*\* «بيثرب أدنى دارها نظراً عالي»  
ثم يذكر بعض معجزات النبي (صلى الله عليه وآله) في الأبيات التالية ويستمر ويقول:  
وقد أخدمت ناراً لفارس طالما \*\*\* «أصابك غصاً جزلاً وكُفّت بأجزال»  
لأحمد خير العالمين انتقيتها \*\*\* «وربضت فذلت صعبة أيّ إذلال»  
وإن رجائي أن ألاقيه غداً \*\*\* «ولست بمقليّ الخلال ولا قالي»<sup>(575)</sup>

أبو جعفر الرعيني<sup>(576)</sup>

هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي، ولد سنة 708 أو 709 هـ /  
1308 أو 1309 م<sup>(577)</sup>. في غرناطة وتتلّمذ على عدد من علمائها. ثم أنه رافق ابن جابر  
في رحلته إلى المشرق حاجاً ولازمه بعدها في كل أموره حتى «صارا روحين في  
جسد»<sup>(578)</sup>. وقد عرف ابن جابر وصديقه أبو جعفر بين الناس «بالأعمى والبصير»<sup>(579)</sup>

---

(569) ترجمته في: الكتبية الكامنة 138 - الإحاطة 163/1 - معجم المؤلفين 72/2 - نفح الطيب 517/5 - تاريخ الأدب  
العربي 558/6.

(570) الكتبية الكامنة 138.

(571) نفح الطيب 517/5.

(572) المصدر السابق 518/5.

(573) كرّ: هجم. يريد أن يذهب إلى الحج وزيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وآله) بعد أن طال عليه الزمن ولم يفعل.

(574) الوجل: الخوف.

(575) القلي: البغض. القالي: المبغض. المكلو: المكروه.

(576) ترجمته في: نفح الطيب 206/10 - تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 528/6 - بغية الوعاة 403/1 - الإحاطة

330/2 - الحلة السيرة في مدح الوري ص 18 - الأعلام للزركلي 260/1 - الوافي بالوفيات 305/8.

(577) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 528/6.

(578) الإحاطة 330/2.

(579) بغية الوعاة 403/1.

توفي أبو جعفر سنة 779 هـ / 1378 م وكان أبوجعفر مقتدراً على النظم والنثر عارفاً  
بالنحو وفنون اللسان، حسن الخلق<sup>(580)</sup>.

يُعد شرحه لبديعية ابن جابر «المسمى طراز الحلة وشفاء الغلة» من أهم مؤلفاته، وهو  
من الشروح الكبيرة الغنية بمادتها<sup>(581)</sup>.

يمدح النبيّ (صلى الله عليه وآله) خاتم المرسلين فيقول: <sup>(582)</sup>

رحمة أرسله الله لنا \*\*\* وشفيعاً قد غدا فينا غدا

وهب المال لمن مال له \*\*\* وفدى من ذنبه من وفدا

ليس يحصي فضله إلا الذي \*\*\* هو أحصى كل شيء عدداً

وله أيضاً: <sup>(583)</sup>

هذه روضة الرسول فدعني \*\*\* أبذل الدمع في الصعيد السعيد <sup>(584)</sup>

لا تلمني على انسكاب دموعي \*\*\* إنما صُنِّتْها لهذا الصعيد

ابن الجنان <sup>(585)</sup>

هو أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد القيسي المعروف بابن الجنان «(اختار خير  
الدين الزركلي 256/7، والمقري 271/10 ان يسميا ابن الجنان هذا، ابن الجيان بالياء  
بنقطتين تحتها) من أهل المرية»<sup>(586)</sup>.

«كان محدثاً راوية، ضابطاً، كاتباً بليغاً، شاعراً بارعاً»<sup>(587)</sup>، وفنون شعره الزهد  
والمواعظ والبديعيات و... والسهولة والعذوبة تغلبان على شعره <sup>(588)</sup> وله طائفة رائحة من  
مدائحه النبوية، ذكرنا بعضاً منها في الفصول السابقة ونذكر بعضاً آخر منها. يقول في ختام  
قصيدة في الحج <sup>(589)</sup>:

لعلّ شفيعي أن يكون معاجلاً \*\*\* لداء ذنوب بالشفاء معاجلاً

---

(580) المصدر السابق.

(581) الحلة السيرة في مدح خير الورى ص18.

(582) نفح الطيب 207/10.

(583) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 529/6.

(584) الصعيد: الأرض، التراب.

(585) ترجمته في: الإحاطة 348/2 - تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 196/6 - ديوان ابن الجنان - نفح الطيب 271/10

- تاريخ الأدب العربي: (عصر الدول والإمارات - الأندلس) د. شوقي ضيف 484.

(586) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 196/6.

(587) الإحاطة: 348/2.

(588) تاريخ الأدب العربي 197/6.

(589) الإحاطة 352/2.

فَيْشْفُنِي بَيْتُ الْإِلَهِ نَوَافِحاً \*\*\* وَيُعْبِقُ لِي قَبْرَ النَّبِيِّ نَوَافِجَا  
فَمَا لِي لِإِمَالَتِي سِوَى حُبِّ أَحْمَد \*\*\* وَصَلْتُ لَهُ مِنْ قَرَبٍ قَلْبِي وَشَائِجَا  
وَفِي مَخْمَسْتِهِ يَلْتَزِمُ عِبَارَةً مِمَّا تَلَّهُ هِيَ «صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً» وَيَجْعَلُهَا الشُّطْرَ  
الْخَامِسَ مِنْ كُلِّ بَيْتٍ. مَطْلَعُهَا<sup>(590)</sup>:

زَادَ اللَّهُ مُحَمَّدًا تَكْرِيمًا \*\*\* وَحِبَّاهُ فَضْلاً مِنْ لَدُنْهِ عَظِيماً  
وَهَذِهِ الْمَوْشِئَةُ بَدِيعِيَّةٌ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَذَكَرَ فَضَائِلَهُ وَمُعْجَزَاتِهِ وَهِيَ  
مَشْهُورَةٌ جَدًّا لَا تَزَالُ إِلَى الْيَوْمِ تُسْمَعُ فِي الْمُنَاسَبَاتِ الدِّينِيَّةِ.

أَبُو الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ الْجِيَابِ<sup>(591)</sup>

عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ حَسَنِ الْأَنْصَارِيِّ مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةَ،  
يَكْنَى أَبُو الْحَسَنِ وَيَعْرِفُ بِابْنِ الْجِيَابِ<sup>(592)</sup> شَاعِرٌ وَنَاطِرٌ، وَزُرَّ وَكُتِبَ لِمُلُوكِ بَنِي الْأَحْمَرِ وَلَدَ  
سَنَةِ 673 هـ / 1276 م وَتُوفِيَ سَنَةَ 749 هـ / 1352 م .

كَانَ شَيْخَ طَلَبَةِ الْأَنْدَلُسِ، قَائِماً عَلَى الْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَةِ، مُتَبَحِّراً فِي الْأَدَبِ وَالتَّارِيخِ، مُشَارِكاً  
فِي عِلْمِ التَّصَوُّفِ وَمُشَارِكاً فِي كَثِيرٍ مِنَ الْعُلُومِ<sup>(593)</sup>.

وَشَعْرُهُ كَثِيرٌ مَدُونٌ يَشْتَمِلُ عَلَى الْأَغْرَاضِ الْمُتَعَدِّدَةِ مِنَ الْمَعْشَرَاتِ النَّبَوِيَّاتِ وَالْقَصَائِدِ  
السُّلْطَانِيَّاتِ وَالْمَقْطُوعَاتِ الْأَدْبِيَّةِ وَالْأَلْغَازِ.

وَفِي قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ يَشِيرُ إِلَى صِفَاتِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَدَلَائِلِ نَبُوَّتِهِ وَمُعْجَزَاتِهِ، ثُمَّ  
يَذْكُرُ الْوَقَائِعَ التَّارِيخِيَّةَ الَّتِي حَدَّثَتْ فِي زَمَنِهِ وَبَعْدَهُ، فَيَقُولُ فِي مَطْلَعِ قَصِيدَتِهِ<sup>(594)</sup> :

أَلَا عَدَّ عَنْ وَصْفِ الدِّيَارِ الْمَوَاتِلِ \*\*\* وَدَهْرٍ مَضَى لَمْ تَحْظْ فِيهِ بِطَائِلِ<sup>(595)</sup>  
وَمِنْهَا:

فَهَلْ لَكَ فِي إِعْدَادِ زَادٍ مُبْلَغٍ \*\*\* لِنَيْلِ نَعِيمٍ عِنْدَ رَبِّكَ كَامِلٍ  
بِمَدْحِ رَسُولِ رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ \*\*\* وَأَوْجَدَهُ مِنْ خَيْرِ خَيْرِ الْقَبَائِلِ

(590) ديوان ابن الجنان ص149 - نفح الطيب 287/10.

(591) ترجمته في: الكتيبة الكامنة ص183 - الإحاطة 125/4 - نفح الطيب 434/5 - بغية الوعاة 189/2 - تاريخ بروكلمان 518/7.

(592) الإحاطة 825/4.

(593) المصدر السابق.

(594) المجموعة النبهانية 160/3.

(595) الموائل جمع مائل وهو رسم الدار الذي ذهب أثره. الطائيل: الفضل.

وشرف بيتاً فيه أسس مجده \*\*\* بفضل على كل البرية شامل  
ومنها:

له خُلِقَ جاء الكتاب بمدحه \*\*\* فهل بعد هذا من مقال لقائل  
وإنجيل عيسى قد تضمّن فضله \*\*\* وتوراة موسى بالنصوص الفواضل  
ولمّا اصطفاه الله للوحي لم يزل \*\*\* يؤيّده بالمعجزات الدلائل  
وقد أشير إلى بعض معجزات النبي (صلى الله عليه وآله) في شعره في الفصول السابقة ثم يذكر  
بعض الأخبار:

وبُشِرَ عليّ بالغلام وباسمه \*\*\* فيا فخر مَنسُول بذاك وناسل<sup>(596)</sup>  
وأخبار صدق في الحسين وصنوه \*\*\* ووالده مع أمّه والحلائل  
فذلك مقتول وذلك مُصلِح \*\*\* وذاك إمام مدحُصّ للبواطل<sup>(597)</sup>  
وتلك تليه في الوفاة وزينب \*\*\* فتلك التي طالت يداً بالنوافل  
وفي قصيده أخرى يقول<sup>(598)</sup>:

ناشدتك الرحمن وافد مكة \*\*\* ألا صرفت إليّ صرفاً طامحاً  
وأخا أتيت القبر قبر محمد \*\*\* وحمدت سعيّاً من سفارك ناجحاً  
فاقرأ سلامي عند قبر المصطفى \*\*\* وامسح بيميناك الجدار مصافحاً  
أبو الحسن بن محمد الجيّاني<sup>(599)</sup>

هو أبو الحسن عليّ بن محمد بن حسن الأنصاري الإشبيلي الجيّاني المتوفى سنة 663 هـ / 1164 م، يبدو أنه قد وقف جميع آثاره شعراً أو نثراً على مدح الرسول (صلى الله عليه وآله). ورغم أن هذه الآثار «عادية في معانيها وفي المعجزات التي سردها من تلك الخارقة للعادة والخارقة للطبيعة. فإننا نلمح فيها عاطفة دينية مشبوبة ورغبة ملحة في زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله) ويبدو أن هذه الفرصة لم تُتَح له قط، ومن أجل ذلك كتب رسالة طويلة بهذا المعنى وأرسلها لثوضع على قبر الرسول (صلى الله عليه وآله)»<sup>(600)</sup>. ومن بديعياته في مدح الرسول (صلى الله عليه وآله)<sup>(601)</sup>:

(596) المنسول: المولود.

(597) مدح: مهلك.

(598) الإحاطة 131/4.

(599) ترجمته في تاريخ الأدب العربي عمرفروخ: 237/6 - الأعلام للزركلي 33/4- الذيل والتكملة 287/5.

(600) تاريخ الأدب العربي - عمر فروخ 237/6.

(601) المصدر السابق 239/6 - 237.

كيف لا أندبُ عهداً بالحمى \*\*\* عن جفوني طارقَ النومِ حمى<sup>(602)</sup>  
نزعت شوقاً إليه مُهجةً \*\*\* لم يدع منها الهوى غيرَ دما<sup>(603)</sup>  
ويذكر أماكن مختلفة ليست أعلاماً جغرافية معينة بل هي رموز للمكان الذي يتشوق إليه  
فيقول:

يا ليالينا بذى العور، أما \*\*\* يتسلى القلبُ عنكنّ أما  
وعهوداً باللوى قد سلفت \*\*\* لم أزل أبكي عليهنّ دما  
يا حداة العيس رفقاؤها \*\*\* شكت الجهدَ وبُعَدَ المرتضى<sup>(604)</sup>  
وبعد أبيات أخرى يقول:  
إن حسبي في غد أن أغتدي \*\*\* لائذاً بالمصطفى مُحترماً  
النبي الأبطحيّ المُجتبى \*\*\* سيّد الخلق الكريم المُنتمى<sup>(605)</sup>  
الرسول الساطع النور الذي \*\*\* قد جلا نور هُداه الظلما

#### حازم القرطاجني<sup>(606)</sup>

هو أبو الحسن حازم بن محمد بن خلف بن حازم الأوسي الأنصاري القرطاجني. ولد في  
قرطاجنة سنة 608 هـ / 1211 م.

بدأ حازم القرطاجني يتلقى العلم في بلده من والده ثم تنقل في طلب العلم بين مدائن  
مختلفة في الأندلس فاطلع على العلوم المختلفة، وتوفي سنة 684 هـ / 1285 م. كان رجلاً  
واسع الدراية وكان أديباً ناثراً قديراً وشاعراً مجيداً طويل النفس وله ديوان شعر، وفي  
قصيدة يمدح بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ببديعية يُنصّف  
فيها معلّقة امرئ القيس (صدر القصيدة من نظم حازم وأعجازها تضمن  
أعجاز معلّقة امرئ القيس) تسمّى هذه القصيدة حديقة الأزهار وحقيقة الافتخار في مدح  
النبي (صلى الله عليه وآله) المختار.

(602) طارق النوم: النوم الطبيعي.

(603) نزعت: مالت، تشوقت. مُهجة: دم القلب. الذماء: بقية الروح في الجسم.

(604) المرتضى: الطليعة (الذي يسير في مقدمة القوم) والمراد هو المكان الذي يودّ الشاعر أن يذهب إليه.

(605) الأبطحي: من بطحاء مكة. المُنتمى: الأصل.

(606) ترجمته: تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ 312/6 - 291، الإحاطة 208/1 - 208/2 - نفح الطيب 189/5 - 190

- 198 - 519 - 525 - الأعلام للزركلي 163/2 - معجم المؤلفين 177/3 - دائرة المعارف الحسينية ديوان القرن السابع

189 - 194 - دائرة المعارف الإسلامية 327/3 - بغية الوعاة 214 - تاريخ بروكلمان 114/5.

ومطلع هذه القصيدة<sup>(607)</sup>:

لِيَهْنِكَ قُلْ إِنْ زُرْتَ أَفْضَلَ مُرْسَلٍ \*\*\* «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل»  
وفي قصيدة أخرى يُرثي الإمام الحسين (عليه السلام) ويذكر أنه ابن البتول ويشير إلى أن  
أعداءه لم يُراع حرمة النبي (صلى الله عليه وآله) فيقول<sup>(608)</sup>:  
لا تبك حُزناً ليوم بين \*\*\* وذكر ريم برامتين  
وابن البتول الحسين فاندب \*\*\* الطاهر ابن المُطهرين  
فإن رُزءاً بكر بلاء \*\*\* فرق بين الكرى وبينني  
بالطف يوماً بكته منا \*\*\* ومن حيا المزن كل عين<sup>(609)</sup>  
ومنها:  
أشقى تالله نجل سعد \*\*\* ونجل حرب وحزب دين<sup>(610)</sup>  
ويح ابن حرب لقد تعدى \*\*\* لنقر تلك الثنيتين<sup>(611)</sup>  
لم يرع لثم النبي تلك \*\*\* الثنيتين السنيتين<sup>(612)</sup>  
ومنها:  
لو نظرت مقلتا أبيه \*\*\* إليه بين الكتبتين<sup>(613)</sup>  
لراع منه العدى هزبر \*\*\* خضيب كف ومخلبين<sup>(614)</sup>  
ولو رنا جدّه إليه \*\*\* وهو خضيب الدوابتين<sup>(615)</sup>  
لجالدت دونه سيوف \*\*\* ما أرهفها يمين قين<sup>(616)</sup>  
ويقول في قصيدة أخرى<sup>(617)</sup>:

- 
- (607) نفح الطيب 523/5 - 520 - تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 309/6.  
(608) دائرة المعارف الحسينية ديوان القرن السابع 191.  
(609) الحيا: المطر، المزن: السحاب.  
(610) النجل: الولد نجل سعد هو عمر بن سعد ونجل حرب هو يزيد بن معاوية. والتقدير: أشقى قتل الحسين (عليه السلام) نجل سعد وحزبه.  
(611) نقره: ضربه، الثنية: أسنان مقدم الفم ثنتان من فوق وثنتان من أسفل.  
(612) إنه لم يراع مكانة هاتين الشفتين اللتين طالما كان رسول الله يقبلهما فهو لذلك لم يراع حرمة النبي (صلى الله عليه وآله).  
(613) الكتبية: القطعة من الجيش.  
(614) راع منه: فزع.  
(615) رنا إليه: أدام النظر إليه بسكون الطرف.  
(616) جالده بالسيف: ضاربه به - أرهف السيف: رقق حده.  
(617) دائرة المعارف الحسينية، ديوان القرن السابع ص53.

وانتهج المصعبُ نهج من قضى \*\*\* بالطفّ من آل النبيّ وانتسى<sup>(618)</sup>  
وخاض بحر الحرب وهو مزبد \*\*\* حتى نعاه للمعاني مَن نعى<sup>(619)</sup>

ابن الحناط الكفيف<sup>(620)</sup>

كان أبو عبدالله محمد بن الحناط الكفيف القرطبي زعيماً من زعماء العصر ورئيساً من رؤساء النظم والنثر، «وشعره يتراوح بين الرقة والسلاسة ثم بين المتانة والجزالة، وعليه نفحة دينية، وكذلك كان هواه مع الفواطم (أبناء فاطمة) من بني هاشم»<sup>(621)</sup>. كانت وفاته في أواخر سنة 437 هـ / 1046 م.  
ومن شعره<sup>(622)</sup>:

إن كان عدّوا حبّ آل محمد \*\*\* ذنباً فإنّي لست منه أتوب  
ومن قصيدة أخرى يقول<sup>(623)</sup>:

فبوّأتُ رحلي ظلّ أروع ماجد \*\*\* يقولُ بلا خُلف ويعطي بلا مَن  
إمام، وصيّ المصطفى وابن عمّه \*\*\* أبوه فَنَمَّ الفخرُ بين أب وابن  
ويقول في المعتلي بالله<sup>(624)</sup>:

أمام تميز في وجهه \*\*\* صفات النبيّ (صلى الله عليه وآله) وسيما عليّ (عليه السلام)  
ذكرنا بعضاً من أشعاره في الفصل السابق.

أبوحيان الغرناطي<sup>(625)</sup>

- 
- (618) انتهج الطريق: سلكه.  
(619) خاض الماء: دخله وخاض الغمرات: اقتحمها - نعى لنا فلاناً: أخبرنا بوفاته.  
(620) ترجمته في: الذخيرة 437/1/1 - المحمدون من الشعراء 491/2 - تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 482/4 - الوافي بالوفيات 124/3 - دائرة المعارف الإسلامية 786/3 - الأعلام للزركلي 149/6 - نفح الطيب 483/1 و 263/3 - بغية الملتزم رقم 124.  
(621) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 483/4.  
(622) الذخيرة 449/1/1.  
(623) المصدر السابق 451/1/1.  
(624) الذيل والتكملة 221/6.  
(625) ترجمته في: بغية الوعاة 280/1 - تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 426/6 - الإحاطة 43/3 - نفح الطيب 295/3 - ديوان أبي حيان - الأعلام للزركلي 269/7 - أفاق الشعر في العصر المملوكي 57.

هو «محمّد بن يوسف بن عليّ بن يوسف بن حيان الغرناطي، أثير الدين أبوحيان الأندلسي الجياني النَّفْزي»<sup>(626)</sup>. ولد في غرناطة سنة 654 هـ / 1256 م وتوفي سنة 745 هـ / 1344 م

كان فاضلاً جيد الكلام، عارفاً باللغة، بارعاً في التفسير والفقه والحديث وشاعراً مكثرأ، وفي ديوانه قصائد ومقطّعات وموشّحات. «شعره عربي الأسلوب وفيه تتضح الأصالة التي صقلتها الدّربة والحنكة»<sup>(627)</sup> تتجلى أساليب الشعر العربي وألفاظه وفنونه لمعارضته لقصيدة كعب بن زهير التي ذكرناها في بحث المعارضات. يذكر أبوحيان في أشعاره المتعددة النبيّ (صلى الله عليه وآله) ويمدحه ويصفه ويشير إلى بعض معجزاته، ويقول<sup>(628)</sup>:

نورٌ تمثّل في أبصارنا بشراً \*\*\* على الملائك من سيماء تمثيل  
لقد تسامى وجبرئيل مصاحبه \*\*\* إلى مقام تراخي عنه جبريلُ  
أوحى إليه الذي أوحاه من كُتب \*\*\* فالقلبُ واع بسرّ الله مشغولُ  
يتلو كتاباً من الرحمن جاء به \*\*\* مُطَهَّراً ظاهراً منه وتأويل  
جار على منهج الإعراب أعجزهم \*\*\* باق مدى الدّهر لا يأتيه تبديل

#### ابن أبي الخصال<sup>(629)</sup>

هو أبو عبدالله محمّد بن مسعود الغافقي المعروف بابن أبي الخصال<sup>(630)</sup> ولد سنة 465 هـ / 1072 وتوفي سنة 540 هـ / 1146 م كان من أكبر أعلام القرن الخامس والسادس ثقافة وعلماً وكتابةً وشعراً ومتبحراً في الآداب واللغة وكان مفخرة وقته من أهل الخصال الباهرة والأذهان الثاقبة، وله قصيدة في مدح الرسول (صلى الله عليه وآله) وآله (عليهم السلام) سمّاها معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب<sup>(631)</sup>.

(626) ديوان أبي حيان الأندلسي ص11.

(627) ديوان أبي حيان الأندلسي ص44.

(628) المجموعة النبّهانية 47/3.

(629) ترجمته في: أدب الطف 305/10 - الاحاطة 264/2 - المعجب 237 - الخريدة 449/2 - الصلة رقم 1187 - دائرة

المعارف الحسينية ديوان القرن السادس - في الأدب الأندلسي محمّد الداية ص342 - تاريخ بروكلمان 634/6 - ظهر

الإسلام 218/3.

(630) تاريخ الأدب العربي، د. شوقي ضيف 419.

(631) دائرة المعارف الحسينية ديوان القرن السادس ص37.

ومن شعره<sup>(632)</sup>:

يا رسول الإله هل \*\*\* أنا في الركب مغتدي  
ليت شعري تلهفا \*\*\* من شج عنك مُبْعَد  
هل أقولن لمقلتي \*\*\* وهي بالدمع ترتدي  
إجزعي أو تجلدي \*\*\* هذه دارُ أحمد  
هذه ثربة الهدا \*\*\* ة فضلي أو اهتدي  
وفي أبيات أخرى يقول<sup>(633)</sup>:

وَيَلْحَقُهُمْ فَضْلُ الشِّفَاعَةِ بِالرَّضَى \*\*\* كُلُّوا واشْرَبُوا من خير أكل ومشربِ  
سِوَى أَنْ قَوْمًا جَعَجَعُوا بَابِنَ بِنْتِهِ \*\*\* وَحَقُّوا به من قائل ومُؤَلَّبِ<sup>(634)</sup>

---

(632) في الأدب الأندلسي محمد الداية ص344.

(633) دائرة المعارف الحسينية ديوان القرن السادس ص37.

(634) جعجع بالقوم: ألزمهم الجعجاع وهي معركة الحرب، ألب: جمع بينهم أي يجمع الناس ضد الحسين(عليه السلام) ويحرضهم عليه.

ابن دراج القسطلبي<sup>(635)</sup>

كان أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج القسطلبي الذي ولد سنة 347 هـ / 958م وتوفي سنة 421 هـ / 1031 م.

من كبار الشعراء وكان بُصقع الأندلس كالمُتنبّي بصقع الشام كما قال صاحب اليتيمة<sup>(636)</sup>، ويقول ابن بسام عنه: «إنه كان لسان الجزيرة شاعراً وأولاً حين عدّه معاصروه من شعرائها وآخر حاملي لوائها وبهجة أرضها وسمائها وأسوة كتابها وشعرائها...»<sup>(637)</sup>.  
ابن دراج القسطلبي «شاعر فحل مُكثر مطيل وكاتب مترسل بارع، وهو من جملة الشعراء المجيدين والعلماء المتقدمين وشعره أعلى من نثره. وأسلوبه مطبوع على غرار الشعر المشرقي، وخلط بين مذهب أبي تمام ومذهب المتنبي، وكان مولعاً بمتنبي في شعره، ولم يكتف بتقليده فقط إذ كان يشغف بتقليد غيره من المشاركة كأبي نؤاس وابن الرومي والشريف الرضي وغيرهم. غير أنّ في شعره قدراً كبيراً من العذوبة والسلاسة مع شيء من الغموض أحياناً»<sup>(638)</sup>.

ذكرنا بعضاً من أشعاره في الفصل السابق<sup>(639)</sup> ونكتفي بهذا المقدار منه.

ابن رُشيد الفهري<sup>(640)</sup>

محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر بن رُشيد الفهري يكنى أبا عبدالله ويعرف بابن رُشيد<sup>(641)</sup> كان فقيهاً أديباً خطيباً، محدثاً، متبحراً

---

(635) ترجمته في: الذخيرة 99/1/1 - 87 - تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 385/4 - 377 - وفيات الأعيان لابن خلكان 135/1 - 139 بغية الملتبس 147 رقم 342 - نفح الطيب 195/3 - 341 - دائرة المعارف الإسلامية 742/3 - الأعلام للزركلي 204/1 - الجامع في الأدب العربي 964 - الوافي بالوفيات 52/8 - 49 - المعجب للمراكشي 85 - يتيمة الدهر 438/1 - الموازنة بين الشعراء 216 - معجم المؤلفين 101/2 - هدية العارفين 73/1 - الأدب العربي في الأندلس د. عليّ محمد سلامة 763 - تاريخ التراث العربي 77/5/2 - تاريخ بروكلمان 122/5 .

(636) يتيمة الدهر للثعالبي 438/1.

(637) الذخيرة 99/1/1 - 87.

(638) المضمون يتصرف من تاريخ الأدب العربي 378/4.

(639) الكتاب هذا ص 209 - 211 .

(640) ترجمته في : الوافي بالوفيات 284/4 - الإحاطة 135/3 - أزهار الرياض 347/2 - بغية الوعاة 199/1.

(641) الإحاطة 135/3.

في علوم الرواية والإسناد. كان مولده بسبته سنة 657 هـ / 1260 م وتوفي سنة 721 هـ / 1324 م.

قال أشعاراً في نعل النبي (صلى الله عليه وآله) (642):

هنيئاً لعيني أن رأت نعل أحمد \*\*\* فياسعدُ جدِّي قد ظفرت بأسعد  
وقبّلتها أشفي الغليل فزادني \*\*\* فيا عجباً زاد الظما عند موردي  
ومنها:

عليه صلاة نشرها طيّبٌ كما \*\*\* يحبُّ ويرضى ربُّنا لمحمد  
وأيضاً في قصيدة أخرى يقول (643):

فخرتُ بمدحي للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) ومن \*\*\* مدحه المداح يزهي ويفخر  
أطلتُ وإني في المديح مُقصر \*\*\* فكلّ طويل في معاليك يُقصر  
ابن زمرك (644)

«هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصُّريحي، يكنى أبا عبدالله ويعرف بابن زُمرك، ولد سنة 733 هـ / 1333م في غرناطة، وكان أشهر تلامذة ابن الخطيب وقتل مع أفراد عائلته سنة 793 هـ / 1391م، كان ابن زمرك شاعراً وجدانياً مجيداً ووشاحاً وخطيباً ومرتسلاً. أكبر فنون شعره في المديح وله عيديات وميلاديات كثر» (645). وله موشحة زهرية مولودية مطلعها (646):

لو ترجع الأيام بعد الذهاب \*\*\* لم تقدح الأيام ذكرى حبيب (647)  
هل يُحمل الزادُ لدار الكريم \*\*\* والمصطفى الهادي شفيحُ مطاع  
فجاهه دُخرُ الفقير العديم \*\*\* وحُبُّه زادي ونعمَ المتاع  
عسى شفيحُ الناس يومَ الحساب \*\*\* وملجأُ الخلق لرفع الكُروب  
يلحفني منه قبولُ مُجاب \*\*\* يشفّع لي في مَوباتِ الدنوب

(642) المصدر السابق 138/3.

(643) المصدر السابق 141/3.

(644) ترجمته في: أزهار الرياض 206/2 - الإحاطة 300/2 - تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 569/6 - الكتيبة الكامنة 282 - دائرة المعارف الإسلامية 972/3 - الأعلام للزركلي 154/7 - تاريخ الأدب العربي (عصر الإمارات والدول.

الأندلس) د. شوقي ضيف ص207 - ديوان ابن زمرك - نفح الطيب 22/10. تاريخ بروكلمان 520/7.

(645) بتصرف من ديوان ابن زمرك ص8 تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 569/6 - الإحاطة 300/2 - نفح الطيب

140/10 - تاريخ بروكلمان 520/7.

(646) أزهار الرياض 205/2.

(647) تقدح: مراده تشعل أي بنار الوجد والحب.

وفي قصيدة أخرى يقول<sup>(648)</sup>:

يا ليت شعري هل أرى أطوي إلى \*\*\* قبر الرسول صحائف البيداء<sup>(649)</sup>  
فتطيب في تلك الربوع مدائحي \*\*\* ويَطُولُ في ذاك المُقام ثوائي<sup>(650)</sup>  
حيثُ النبوة نورُها متألق \*\*\* كالشمس تُزهي في سنا وسنَاء  
حيث الضريح ضريح أكرم مرسل \*\*\* فخر الوجود وشافع الشفعاء  
ذو المعجزات العُزِّ والآي الألى \*\*\* أكبرنَ عن عدِّ وعن إحصاء  
ثم يشير إلى معجزات النبي (صلى الله عليه وآله) كردّ الشمس والإسراء وشق القمر ونبع الماء  
من بين أنامله وتنبأ الكهان ببعثته ثم يصف صفاته الأخرى ويطلب منه الشفاعة.

منذر بن سعيد البلوطي<sup>(651)</sup>

هو أبو الحكم منذر بن سعيد بن عبدالله ولد سنة 265 هـ / 869 م في قرطبة، وأقبل منذ  
نعومة أظفاره على الدراسات الدينية واللغوية، كان قاضياً في بعض مدن الأندلس وتوفي  
سنة 355 هـ / 959 م<sup>(652)</sup>.

كان شاعراً، خطيباً، واعظاً وله كتاب أحكام القرآن والناسخ والمنسوخ وغير ذلك من  
التصانيف<sup>(653)</sup>.

ومن شعره الذي كتب في حاشية كتاب ابن عبد ربّه حينما رأى أنه ما ذكر الإمام  
عليّ (عليه السلام) الخليفة الرابع وذكر بدلاً منه معاوية، ويغضب ويسب ابن عبد ربّه بهذين  
البيتين<sup>(654)</sup>:

أوَ ما عليّ - لا برحت - مُلَعْنَا \*\*\* يابن الخبيثة - عندكم بإمام  
رُبَّ الكساء وخيرُ آل محمد \*\*\* داني الولاء، مقدّم الإسلام

ابن سهل الإشبيلي<sup>(655)</sup>

---

(648) نفح الطيب 40/10.

(649) البيداء: الفلاة.

(650) المقام: محل الإقامة - الثواء: الإقامة.

(651) ترجمته في: أزهار الرياض 272/2 - معجم الأدباء 174/19 - بغية الوعاة 301/2 - تاريخ التراث العربي

54/5/2 - تاريخ بروكلمان 139/5.

(652) معجم الأدباء 174/19.

(653) بغية الوعاة 301/2.

(654) شعر ابن عبد ربّه ص31.

هو أبو إسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي ولد سنة 607 هـ / 1210 م وتوفي غريقاً مع حاكم مدينة سبته سنة 649 هـ / 1251 م. «عاش أيام بني هود والمرابطين في بيئة علم وأدب وترف وتتلذذ لأشهر علماء النحو واللغة والأدب»<sup>(656)</sup>، كان يهودياً ثم أسلم، «ولكن المقرئ كان يشك في صحة إسلامه، ولكنه لم يكن على حق في إعلان الإرتياب بصحة إسلام ابن سهل، ذلك لأن الإيمان شيء بين الإنسان وخالقه ولا يجوز لنا إذا قال إنسان أنه مسلم أن نرد قوله ما لم يكن لنا دليل على أن عملاً من أعماله مخالف للإسلام جهاراً»<sup>(657)</sup>، وأيد هذا القول ابن شاعر في الفوات «وكان قد أسلم وقرأ القرآن»<sup>(658)</sup>.  
إنه شاعر مقلّ محسن، له قصائد وموشحات متنوعة وجميع شعره سلس وكان شعره مثلاً للرقّة<sup>(659)</sup>.

وله بديعية يمدح فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله)<sup>(660)</sup> :  
وركب دعتهم نحو طيبة نيّة \*\*\* فما وجدتُ إلا مطيعاً وسامعاً  
تضيء من التقوى خبايا صدورهم \*\*\* وقد لبسوا الليل على الشيم ذائعاً<sup>(661)</sup>  
تكاد مناجاة النبيّ محمّد \*\*\* تنمُّ بهم مسكاً على الشمّ ذائعاً  
وله موشحة في النبيّ (صلى الله عليه وآله)<sup>(662)</sup> :  
جعل المهيمن حبّاً أحمدَ شيمه \*\*\* وأتى به في المرسلين كريماً  
فغدا هواه على القلوب تميمة \*\*\* وغدا هُداة لهديهم تميماً  
صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

صفوان ابن إدريس<sup>(663)</sup>

- 
- (655) ترجمته في: فوات الوفيات 29/1 - تاريخ الأدب العربي (عمر فروخ 179/6 - حنا الفاخوري 843) - الأدب الأندلسي (مصطفى الشكعة 78 - عبدالمنعم خفاجي 522) - الأعلام للزركلي 36/1 - الوافي بالوفيات 5/6 - نفح الطيب 307/2 و 522/3 و... دائرة المعارف الإسلامية 925/3 - تاريخ بروكلمان 133/5.
- (656) تاريخ الأدب العربي حنا الفاخوري 843.
- (657) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 179/6.
- (658) فوات الوفيات 41/1.
- (659) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 174/6.
- (660) المصدر السابق 175/6.
- (661) لبسوا الليل مدارع: استعانوا على برد الليل بثياب من صوف ثم تابعوا سيرهم.
- (662) نفح الطيب 299/10.
- (663) ترجمته في: تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 550/5 - أدب الطف 249/3 و 9/4 - معجم الأدباء 10/12 - دائرة المعارف الشيعية 32/4 - نفح الطيب 67/7 - الإحاطة 349/3 - روائع من الأدب العربي 354 - معجم المؤلفين 20/5 - فوات الوفيات 392/1 - الأعلام للزركلي 295/3 - تاريخ بروكلمان 131/5.

أبو بحر صفوان بن إدريس بن عبدالرحمن بن عيسى بن إدريس التجيبي المرسى، كان كاتباً بليغاً وشاعراً بارعاً<sup>(664)</sup> وأديباً حسيباً جليلاً أصيلاً، رياناً من الأدب، حافظاً سريع البديهة، سمحاً ذكياً ممّن تساوى حظّه في النظم والنثر<sup>(665)</sup>، ولد في مُرسية سنة 561 هـ / 1164، وتلقّى العلم على كثيرين من العلماء وتوفي سنة 598 هـ / 1202 م. هو أنبه الأندلس في عصره «قصر أمداحه على أهل البيت (عليهم السلام) وأكثر من تأبين الحسين (عليه السلام) له كتاب زاد المسافر وكتاب الرحلة وديوان شعر و...»<sup>(666)</sup>.

هو شاعر وجداني، حلو الألفاظ، رقيق المعاني، سهل التراكيب وشعره قصائد ومقطعات وفنونه البديعيات في مدح الرسول (صلى الله عليه وآله)<sup>(667)</sup>.

ومن بديعته في مدح الرسول (صلى الله عليه وآله)<sup>(668)</sup>

تحية الله وطيب السلام \*\*\* على رسول الله خير الأنام  
على الذي فتح باب الهدى \*\*\* وقال للناس ادخلوها بسلام<sup>(669)</sup>  
بدر الهدى، سُبْح الندى والجدا \*\*\* وما عسى أن يتناهى الكلام

وقال في الاعتماد على شفاعته رسول الله (صلى الله عليه وآله)<sup>(670)</sup> :  
يقولون لي لما ركبتُ بطالتي \*\*\* ركوبَ فتى جمّ الغواية معتدي  
أعندك ما ترجو الخلاصَ به غداً \*\*\* فقلتُ نعم عندي شفاعَةُ أحمد  
ذكرنا بعض أشعاره حول أهل البيت (عليهم السلام) في الفصل السابق.

ابن الصقر الخزرجي<sup>(671)</sup>

---

(664) الطليعة من شعراء الشيعة 442/1 .

(665) الإحاطة 349/2.

(666) المضمون من تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 550/5.

(667) المصدر السابق 550/5.

(668) أدب الطف 256/3 - معجم الأدباء 12/12 - نفح الطيب 74/5.

(669) إشارة إلى الآية القرآنية: (ادخلوها بسلام آمنين) .

(670) معجم الأدباء 13/12 - أدب الطف 256/3 - تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 551/5.

(671) ترجمته في : الإحاطة 189/1 - نفح الطيب 319/3 - الذيل والتكملة 232/1.

هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن الصقر الأنصاري الخزرجي، أصل أهله من سرقسطة وولادته في المرية سنة 492 هـ / 1099 م وكانت وفاته في سنة 569 هـ / 1172 م.

كان محدثاً مكثراً، ثقة وفقيهاً متقدماً في علم الكلام وزاهداً وشاعراً محسناً وشعره سهل التراكيب واضح المعاني، له كتاب «أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار».

وقال في وداع قبر النبي المكرم (صلى الله عليه وآله)، مع أننا لا نعرف له رحلة إلى المشرق<sup>(672)</sup>.

حَسْبُ المحبِّ من الحبيب سلام \*\*\* يُقضى به يوم الوداع ذِمام<sup>(673)</sup>  
رُحنا وروغُ البين يُخرس ألسنا \*\*\* ومن الدموع إشارة وكلام<sup>(674)</sup>  
يا أرض يثرب لا عداك غمام \*\*\* أنتِ المني لو تُسَعِفُ الأيام<sup>(675)</sup>  
للقلب في تلك العراض عرامة \*\*\* مضمونه كلفُ بها وغرام  
قبرٌ تضمّن أعظماً تعظيمها \*\*\* عنه يصحّ الدين والإسلام

محمد بن عيسى الفقيه<sup>(676)</sup>

أبو عبد الله محمد بن عيسى الفقيه كاتب شاعر ماهر، مهندس منجم، لغارب الفصاحة متنسّم وفي ملتقى أولي العلم، وقد أورد من شعره ما يهزُّ أعطاف القلوب مراحاً<sup>(677)</sup>. وله من قصيدة<sup>(678)</sup>:

ألا لا يمتُّ من كان خَلَفَ بعده \*\*\* أخاه عليّاً، إذ إليه العُلا أفضى<sup>(679)</sup>  
أحبُّ محبٍّ للفضائل كلها \*\*\* وأفضلُ إنسان على كسبها حَضّاً

(672) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 410/5.

(673) الذمام: العهد، الحق، الحرمة.

(674) رُحنا: رجعنا مساء. روع: الخوف. البين: الفراق.

(675) لا عداك: لا تخطأك. تُسَعِفُ: تساعد.

(676) ترجمته في: خريدة القصر 37/1/4.

(677) خريدة القصر 37/1/4.

(678) المصدر السابق 44/1/4.

(679) إشارة إلى أخوة النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) والإمام علي (عليه السلام).

\*\*\*

ابن عبدون<sup>(680)</sup>

هو أبو محمد عبدالمجيد بن عبدون الفهري اليابري نسبة إلى يابرة وهي بلدة في غربي الأندلس، ولد سنة 454 هـ / 1060 م وتوفي سنة 529 هـ / 1134 م في الأغلب<sup>(681)</sup> كان ابن عبدون أديباً، كاتباً، شاعراً وكان عالماً بالخبر والحديث وعارفاً بالتاريخ، واسع الحفظ للأشعار ولم يصل إلينا من شعره سوى بضع مقطعات وقصيدة واحدة تعتبر من أشهر قصائد الشعر الأندلسي يرثي بها بني الأفطس. مطلع القصيدة<sup>(682)</sup> :

الدهرُ يَفْجَعُ بعد العين بالآثر \*\*\* فما البكاءُ على الأشباح والصور

ثم يذكر ما فعل الدهر بالأفراد العظام وبالقبائل القوية و... قبل الإسلام وبعده ويضرب المثل بالشهداء والقتلى من الصحابة والخلفاء والأئمة المطهرين فيقول:

وأجَزَرْتُ سيف أشقاها أباحسن \*\*\* وأمكنت من حُسين راحتي شمر<sup>(683)</sup>

ولَيْتَها، إذ قَدَتِ عمراً بخارجة \*\*\* قَدَتِ عَلَيَّا بمن شاءت من البشر<sup>(684)</sup>

وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حَسَن \*\*\* جاءت بُمُعضله الألباب والفكر

ويسوق ابن عبدون كل العبر في وقار الحكيم وأمانة المؤرِّخ ورشاقة الشاعر، إنه يقدم لونا من غدر الأيام في نطاق الأمثال متعرضاً لقضية اتهام معاوية بدس السم للإمام الحسن (عليه السلام) وعبيدالله بن زياد والحسين (عليه السلام) و... والشاعر في قصيدته هذه - أكثر من سبعين بيتاً - صحيح في المعاني، متين في الأسلوب، مقتدر في النظم، وأنه استطاع أن يجمع في هذه القصيدة بين كثرة الإشارات التاريخية وبين سلاسة التركيب.

ابن عربي<sup>(685)</sup>

---

(680) ترجمته في: الذخيرة 668/2/2 - تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 192/5 - 200 - المعجب 115 - فوات الوفيات 388/2 - الإحاطة 47/4 - بغية الملتمس 523 (رقم 1567) - نفح الطيب 305/4 - دائرة المعارف الإسلامية 680/3 - الأعلام للزركلي 293/4 - الأدب الأندلسي مصطفى الشكعة 540 - تاريخ آداب اللغة العربية جرجي زيدان 30/3 - تاريخ بروكلمان 126/5.

(681) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 192/5 - الأعلام للزركلي 293/4.

(682) الإحاطة في أخبار غرناطة 47/4 - تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 195/5 - أدب الطف 303/3 - دائرة المعارف الحسينية ديوان القرن السادس ص113.

(683) أشقاها: المقصود به ابن ملجم. أجزر فلاناً: أعطاه شاة ليذبحها، فكأنها منحت السيف أباحسن ليقتله.

(684) كان عمرو بن العاص والياً على مصر مرض يوماً فلم يستطع الخروج إلى صلاة الصبح فخرج مكانه رئيس شرطته خارجة بن حذافة فقتل وكان المقصود بالقتل عمرو بن العاص.

«هو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله العربي الحاتمي الطائي من سلالة حاتم الطائي، كنيته أبوبكر ولقبه الشيخ الأكبر وأيضاً اشتهر بمحيي الدين ابن عربي<sup>(686)</sup>، ويعتبر من أعظم الشخصيات الصوفية ولد في مرسية شرق الأندلس سنة 560 هـ / 1165 م في الأغلب<sup>(687)</sup> وترعرع فيها وتلقى علومه وحفظ القرآن الكريم وفي العشرين من عمره اتجه إلى الخلوة والتصوف، وهذه الحقبة له هي مرحلة التكوين العلمي والعملية التي قضاها في الأندلس، وفي هذه الأوقات بدأت المدن الإسلامية الكبرى تسقط في يد الأعداء المدينة تلو الأخرى<sup>(688)</sup>.

وفي سنة 598 هـ بدأ رحلته إلى المشرق فمرّ بمصر وفلسطين واستقرّ بمكة لأداء فريضة الحج ومكث فيها سنتين فألف كتاب الفتوحات، ثم تنقل في بلاد ما بين النهرين وآسيا الصغرى ثم استقر في دمشق، ولقب هناك بسيد محيي الدين توفي سنة 638 هـ، وله تصانيف كثيرة منها: الفتوحات المكية، ترجمان الأشواق، فصوص الحكم،... ويوجد في أشعاره كثير من الأبيات حول النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) نشير إلى قليل منها مثل<sup>(689)</sup> :

يا حبّذا المسجد من مسجد \*\*\* وحبّذا الروضة من مشهد  
وحبّذا طيبة من بلدة \*\*\* فها ضريح المصطفى أحمد  
صلى عليه الله من سيّد \*\*\* لولاه لم نعلم ولم نهتد  
قد قرّن الله به ذكره \*\*\* في كلّ يوم فاعتبر ترشد  
عشر خفيّات وعشر إذا \*\*\* أعلن بالتأذين في المسجد  
فهذه عشرون مقرونة \*\*\* بأفضل الذكر إلى الموعد  
ويقول في قصيدة أخرى<sup>(690)</sup> :

على لسان رسول سيّد ندس \*\*\* إذ طهر الله أهل البيت تطهيرا<sup>(691)</sup>

---

(685) ترجمته في: تاريخ الأدب العربي (الدول والإمارات - الأندلس) ص 364 - نفح الطيب 161/2 - الموشحات الأندلسية لانتوان محسن القوال ص 116، تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 188/5 - التكملة رقم 1023 - البداية والنهاية لابن كثير 49/14 - الأدب الأندلسي لعبد المنعم خفاجي ص 708 - ديوان ابن عربي ص 5 - يناير المودة 172/3 و 338 - الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ص 311، نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر ص 183 - دائرة المعارف الإسلامية 231/1 .

(686) ديوان ابن عربي ص 5.

(687) المصدر السابق وتاريخ الأدب العربي عمر فروخ 716/5.

(688) ديوان ابن عربي ص 6.

(689) ديوان ابن عربي ص 136.

(690) المصدر السابق ص 200.

فَلَمْ يَنْلَهُمْ لَذَا فِي عَرْضِهِمْ دَنْسٌ \*\*\* إِذْ شَمَّرُوا ذَيْلَهُمْ لِلنَّصْرِ تَشْمِيرًا  
وَيَقُولُ فِي قَصِيدَةٍ:

فَلَمْ أَجِدْ كَرَسُولِ اللَّهِ مِنْ بَشَرٍ \*\*\* أَوْ وَارِثِيهِ وَهُمْ أَهْلُ الْحَمِيَّاتِ (692)  
وَأَيْضًا يَقُولُ:

مَنْ طَهَّرَهُ اللَّهُ لَمْ يَلْحَقْ بِهِ دَنْسٌ \*\*\* وَهُوَ الْمُقَدَّسُ لَا بَلْ عَيْنُهُ الْقُدْسُ (693)  
كَأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ سَيِّدِنَا \*\*\* وَهُوَ الْإِمَامُ الْكَرِيمُ السَّيِّدُ النَّدَسُ  
وَيَقُولُ (694):

فَلَا تَعْدِلْ بِأَهْلِ الْبَيْتِ خَلْقًا \*\*\* فَأَهْلُ الْبَيْتِ هُمْ أَهْلُ الشَّهَادَةِ  
فَبِغَضِهِمْ مِنَ الْإِنْسَانِ خَسِرَ \*\*\* حَقِيقِي وَحُبِّهِمْ عِبَادَةَ

ابن العريف (695)

هو «أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى الصنهاجي الأندلسي ولد بالمرية سنة 481 هـ / 1088 م وتوفي سنة 536 هـ / 1141 م» (696)، وقد كان من كبار الصالحين، وله مشاركة في العلوم والشعر. وله كتب منها كتاب «المجالس» وأيضاً كتاب «مطالع الأنوار ومنابع الأسرار» ولكن لم يبق منه أثر، ذكرنا بعضاً من أشعاره في الفصول السابقة. ومن أشعاره (697):

وَحَقِّكَ يَا مُحَمَّدٌ إِنِّ قَلْبِي \*\*\* يَحْبُّكَ قَرَبَةً نَحْوَ الْإِلَهِ  
جَرَّتْ أَمْوَاهُ حَبِّكَ فِي فَوَادِي \*\*\* فَهَامَ الْقَلْبُ فِي طَيْبِ الْمِيَاهِ  
وَمِنْهَا (698):

صَلَّى عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ مُحَمَّدٌ \*\*\* مِنْ خَصَّهَ بِالنُّورِ وَالْإِرْشَادِ  
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فَهُوَ رَسُولُهُ \*\*\* أَعْطَاهُ رَايَةَ عَزْمِهِ وَرِشَادِ

---

(691) الندس: الفطن والمدقق النظر في الأمور الذي يسمع الصوت الخفي سريعاً وأيضاً في هذا البيت يشير إلى آية التطهير لأهل البيت (عليهم السلام) (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت...) سورة الأحزاب 33/33.

(692) ديوان ابن عربي ص 88، الحميات: المدافعون عن الدين.

(693) المصدر السابق 244، عينه القدس: طهر الطهر.

(694) ينابيع المودة 174/3.

(695) ترجمته في: نفح الطيب 5/598، 4/321 - تاريخ الأدب العربي 5/230 - بغية الملتبس 155 - وفيات الأعيان

94/1 - تاريخ الأدب العربي (الدول والإمارات - الأندلس) لشوقي ضيف 361.

(696) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 5/230.

(697) نفح الطيب 10/345.

(698) المصدر السابق.

صلى عليه الله فهو خليله \*\*\* أسدى إليه منه كل سداد  
ويذكر قريباً من ثلاثين بيتاً ويبدأ كل بيت بكلمة «صلى».

ابن عيسى المرسى<sup>(699)</sup>

هو أبو الوليد يونس بن عيسى المرسى الخباز أصله من مرسية، كان أديباً عصامياً ثقف  
نفسه وقال شعراً جيداً وموشحات كثيرة فيها براعة<sup>(700)</sup>، توفي في النصف الأول في القرن  
السادس الهجري وقال فيه ابن الخطيب: «عذب سبكه وراق ترصيعه وحبكه...»<sup>(701)</sup>.  
وله قصيدة يمدح بها فاضلاً من أهل مرسية، وفي هذه القصيدة يشير إلى مكة ورسول  
الله (صلى الله عليه وآله)<sup>(702)</sup> :

فبمكة نشأ النبي محمد \*\*\* واختص بالمعراج بيت المقدس<sup>(703)</sup>  
وأيضاً في شعر آخر يقول<sup>(704)</sup> :  
أين ثوى آدم ونوح \*\*\* والمصطفى صاحب البراق<sup>(705)</sup>

---

(699) ترجمته في: جيش التوشيح 135 - تاريخ الأدب العربي 310/5.

(700) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 309/5.

(701) جيش التوشيح 135.

(702) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 310/5.

(703) فيه إشارة إلى الإسراء والمعراج.

(704) تاريخ الأدب العربي 310/5.

(705) ثوى: استقر، بقى. البراق: الدابة التي ركبها الرسول في المعراج.

أبو زيد الفازازي<sup>(706)</sup>

هو «عبدالرحمن بن يخلفتن بن أحمد بن تفلّيت الفازازي يكنى أبا زيد ولد سنة 550 هـ / 1155 م في قرطبة ونشأ فيها وتوفي سنة 627 هـ / 1229 م.

كان حافظاً ذكياً ذا حظّ وافر من معرفة أصول الفقه وعلم الكلام، وكان أديباً ناثراً وشاعراً ويغلب على شعره مدح الرسول (صلى الله عليه وآله) وأشياء من الزهد والتصوف والحكمة، ويقبل الناس على أشعاره المدحية حول النبي (صلى الله عليه وآله) في احتفالات المولد النبوي إقبالاً جماعياً<sup>(707)</sup>، وقال عنه المقرئ: «إنّه صاحب الأمداح في الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله)»<sup>(708)</sup>.

يبدو أنه صرف شعره إلى هذا الفن لأنه ألف ديواناً كاملاً في المدح النبوي يحتوي على قصائد عشرينيات كما ألف ديواناً آخر في الموضوع نفسه بعنوان «ديوان الوسائل المتقبلة يرجع تاريخ تأليفه إلى سنة 604 هـ»<sup>(709)</sup> وهي مخمسات على الحروف الهجائية من الهزمة إلى الياء، ومن قوله عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)<sup>(710)</sup>:

بدا قمراً مسراه شرق ومغرب \*\*\* وخُصّت بمثواه المدينة يثرب  
وكان له في سُدّة النور مَضربٌ \*\*\* نجى لرب العالمين مقرب<sup>(711)</sup>  
حبيب فيدنو كل حين ويُستدنى

وفي قصيدة أخرى يقول<sup>(712)</sup>:

أتى والورى أسرى فكان غيائهم \*\*\* بنور سماء ينقلوه عن الإسرائ  
وعقى رسوم الكافرين وأهلها \*\*\* فلا قيصرٌ من بعد ذاك ولا كسرى  
ومنها:

(706) ترجمته في: بغية الوعاة 304 - الإحاطة 517/3 - الموشحات الأندلسية. أنطوان محسن القوال ص110 - الدول والإمارات، الأندلس لشوقي ضيف ص373 - نفح الطيب 119/2 - 122/4 و 468 - تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 655/5 - آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي ص5 - الأعلام للزركلي 118/4 و 342/3 - معجم المؤلفين 191/5 - التكملة 585/2 - تاريخ بروكلمان 132/5.

(707) بتصرف من كتاب آثار أبي زيد الفازازي ص5 - تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 655/5 - الإحاطة 517/3.

(708) نفح الطيب 468/4.

(709) تاريخ بروكلمان 132/5.

(710) تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات - الأندلس)، د. شوقي ضيف ص374.

(711) سدة النور: يريد بها سدره المنتهى المذكورة في سورة النجم وأن عندها الجنة التي تأوى إليها أرواح الشهداء والملائكة.

(712) نفح الطيب 355/10.

ترقى إلى السبع الطباق ترقياً \*\*\* حقيقاً ولم يعبر سفيناً ولا جسراً  
فسبحان من أسرى إليه بعبدہ \*\*\* وبورك في الساريوبورك في المسرى<sup>(713)</sup>  
وفي قصيدة أخرى يختم قصيدته بالصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) فيقول<sup>(714)</sup> :  
فصلّ على المختار من آل هاشم \*\*\* إمام الورى عند اشتداد النوائب  
وفي قصيدة أخرى يشير إلى حبه لأهل بيت النبي (عليهم السلام)<sup>(715)</sup> :  
فحبّ آل النبي زينٌ \*\*\* وبغضهم شينٌ كلّ شين

---

(713) إشارة إلى الآية الشريفة: (سبحان الذي أسرى بعبدہ ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى...) سورة الإسراء

1/17

(714) الإحاطة 523/3.

(715) دائرة المعارف الحسينية ديوان القرن السابع ص210.

#### ابن الفخار الرعيني<sup>(716)</sup>

هو أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عليّ بن محمّد بن عبد الرحمن بن هيصم الرعيني المعروف بابن الفخار، ولد في إشبيلية سنة 592 هـ / 1196 م وتوفي سنة 666 هـ / 1268 م، ونشأ في إشبيلية وأخذ عن شيوخ عصره، وقد عدّ منهم . هو فقيه ومحدّث وأديب وثائر وشاعر ومترسل، وكان شديد الميل إلى السّجع وإلى أنواع البديع.

وله أشعار يحن فيها إلى الذهاب إلى الحجاز للحج قائلًا<sup>(717)</sup> :

حنيني إلى البيت العتيق شديد \*\*\* وشوقي إلى وادي العقيق يزيّد<sup>(718)</sup>

فياليت شعري هل يُباح إليهما \*\*\* وُصولٌ فيحظى بالوصال عميد<sup>(719)</sup>

وهل ناقع لي ماء زمزم غُلة \*\*\* لها بين أحناء الضّلوع وقود<sup>(720)</sup>

وهل أنثني نحو الرسول لطيفة \*\*\* فيدنو لقلبي من مُناه بعيد<sup>(721)</sup>

وألصق خدي من ضريح محمّد \*\*\* بحيث تلاقت في ثراه خُدود

فمالي لا أسعى إليها مُبادراً \*\*\* بقية عُمر تنقضي وتبيد<sup>(722)</sup>

#### أبو سعيد بن لب<sup>(723)</sup>

هو أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لبّ التغلبي الشاطبي الغرناطي، ولد سنة 701 هـ / 1301 م وتوفي سنة 783 هـ / 1381 م كان فقيهاً، عارفاً بالتفسير، بارعاً في علوم الأدب، جيّد النظم والنثر، وتغلب على نظمه الصبغة الدينية، وكانت له تأليف منها: شرح الزجاجي<sup>(724)</sup> و...

---

(716) ترجمته في : تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 240/6.

(717) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 243/6.

(718) وادي العقيق في المدينة.

(719) العميد هو الذي ضرب على رأسه بالعمود.

(720) نفع الظمآن من الماء: روي وزال عطشه.

(721) أنثني: أرجع.

(722) إليها: إلى المدينة، مبادراً: مسرعاً، تبيد: تلاشى، تهلّك.

(723) ترجمته في: نفح الطيب 509/5 - معجم المؤلفين 58/8 - الكتبية الكامنة 67 - الأعلام للزركلي 341/5 - تاريخ

الأدب العربي 555/6 - تاريخ بروكلمان 522/7.

(724) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 555/6.

قال قصيدة في مدح الرسول(صلى الله عليه وآله)<sup>(725)</sup> :  
هو المصطفى المنتقى المجتبى \*\*\* أرى معجزات وآيا كبارا  
فيافوز من فاز في طيبة \*\*\* بلثم المغاني جداراً جداراً<sup>(726)</sup>  
وألصق خدّاً على تربها \*\*\* وأكمل حجّاً بها واعتمارا  
وأهدي السلام لخير الأنام \*\*\* على حين وافى عليه مزارا  
فصلّى الإله رسول الهدى \*\*\* عليك وأبقى هداك منارا

---

(725) نفح الطيب 510/5 - المجموعة النبّهانية 116/2.  
(726) المغاني: الأمكنة المسكونة.

محمّد بن لب الأمي<sup>(727)</sup>

هو محمّد بن عبدالله بن محمّد بن لب الأمي، يكنى أبا عبدالله ويعرف بابن الصائغ من أهل المرية<sup>(728)</sup>، كان سهلاً محبّاً للطب وماهراً في العربية واللغة قيماً بالعروض، ينظم نظماً وسطاً<sup>(729)</sup> توفي سنة 749 هـ . وله شعر في الشوق إلى زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله) ومدحه فيه مطلع قصيدة له<sup>(730)</sup> :

بعد المزار ولوعة الأشواق \*\*\* حكماً بفيض مدامع الآماق  
ومنها:

عرج على مثنوى النبي محمّد \*\*\* خير البرية ذي المنخل البراق  
ورسول ربّ العالمين ومن له \*\*\* حفظ العهود وصحة الميثاق  
أعلى الكرام ندأ وأبسّطهم يدأ \*\*\* قبضت عنان المجد باستحقاق  
وعليك يا خير الأنام تحية \*\*\* تحيي النفوس بنشرها الفتاق

ويشير في قصيدته هذه إلى الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ويقول:  
وعلى أب السبطين من سبق الألى \*\*\* سبقوا إلى الإسلام أيّ سباق  
الطاهر الصّهر ابن عم المصطفى \*\*\* شرف على التعميم والإطلاق

لسان الدين ابن الخطيب<sup>(731)</sup>

هو محمّد بن عبدالله بن سعيد بن عليّ بن أحمد السلّماني الغرناطي يكنى أبا عبدالله، واشتهر بـ «لسان الدين» وأيضاً من ألقابه الأخرى «ذو الوزارتين» ولد بمدينة غرناطة في

---

(727) ترجمته في: الإحاطة 437/2 - الكتيبة الكامنة ص 88 - بغية الوعاة 143/1 - الدرر الكامنة 484/3 .

(728) الإحاطة 433/2 .

(729) بغية الوعاة 143/1 .

(730) الإحاطة 435/2 .

(731) ترجمته في: الإحاطة 438/4 - تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 503/6 - ظهر الإسلام 218/3 - أزهار الرياض

186/1 وصفحات مختلفة أخرى منه - الموشحات الأندلسية 168 - معجم المؤلفين 216/10 - دائرة المعارف

الإسلامية 385/3 - الأعلام للزركلي 112/7 - نفح الطيب في مجلدات مختلفة منه وفي صفحات متعددة - تاريخ

بروكلمان 523/7.

الأندلس سنة 713 هـ / 1313 م، ونشأ فيها وتوفي سنة 776 هـ / 1374 م . وله كتب كثيرة منها: الإحاطة في أخبار غرناطة - جيش التوشيح، نفاضة الجراب، الكتيبة الكامنة و...

يصفه الصادق الرافي: «بأنه نابغة المائة الثامنة شعراً وكتابة وتفناً في العلوم»<sup>(732)</sup>

وفي دائرة المعارف نقراً عنه: «نبغ في التحصيل نبوغاً جعله أعظم الكتاب والشعراء»<sup>(733)</sup> وله شعر رقيق اللفظ، رائق المعنى، مقبول الصنعة»<sup>(734)</sup>.

مدح النبي (صلى الله عليه وآله) مدحاً صادقاً ; ففي مدحه النبوي توكأ على المعاني المألوفة في المدح فهو يعبر عن شوق لزيارة القبر الشريف فيرسل التحية إليه. يقول في إحدى قصائده <sup>(735)</sup> :

تألق نجدياً فأذكرني نجدا \*\*\* وهاج لي الشوق المبرح والوجد  
إذا أنت شافهت الديار بطيبة \*\*\* وجئت بها القبر المقدس واللحد  
وأنست نوراً من جناب محمد \*\*\* يُجلي القلوب الغلف والأعين الرمدا  
وقل يا رسول الله عبدٌ تقاصرت \*\*\* خطاه وأضحى من أحبته فردا  
ولم يستطع من بعد ما بعد المدى \*\*\* سوى لوعة تعتاد أو مدحة تهدي  
وأيضاً له <sup>(736)</sup> :

يا مصطفى من قبل نشأة آدم \*\*\* والكون لم تُفتح له أغلاق  
أيروم مخلوقٌ ثناءك بعدما \*\*\* أتنى على أخلاقك الخلاق  
وأيضاً في قصيدة أخرى يقول <sup>(737)</sup> :

محمد المصطفى المختار من ظهرت \*\*\* أنواره فتسلى كل محزون  
من خصه الله بالقرآن معجزة \*\*\* مانالها مُرسلاً قد جاء بالدين  
يا أكرم الخلق من عُرب ومن عجم \*\*\* وأحسن الناس في حُسن وتزيين  
إني أتيتك فاقبلني وخذ بيدي \*\*\* ومن لهيب لظى اشفع لي وسجين  
وفي قصيدة أخرى يقول <sup>(738)</sup> :

---

(732) تاريخ آداب العرب 169/3.

(733) دائرة المعارف الإسلامية 150/1 .

(734) تاريخ الأدب العربي حسن الزيات 250.

(735) نفح الطيب 155/9.

(736) أزهار الرياض 319/1 .

(737) المجموعة النبهانية 161/4.

(738) المجموعة النبهانية 242/3.

خيرُ الأنام ومعدنُ النور الذي \*\*\* نسخُ الضلالة بالهدى وأزالا  
والمجتبى من سرّ آدم نوره \*\*\* يَسِمُ الوجوه ويُوضَحُ الأغفالا<sup>(739)</sup>  
يا مَنْ ملائكة السّماء به اقتدت \*\*\* هدياً وصَلّت خلفه أرسالا<sup>(740)</sup>  
وعليك يا خير الأنام تحية \*\*\* كالرّوض صافح عارضاً هطالا<sup>(741)</sup>  
وعلى عليّ خير من صرّع العدا \*\*\* يبغي رضاك وجُنْدل الأبطالا<sup>(742)</sup>

مالك بن المرحل السبتي<sup>(743)</sup>

هو «أبو الحكم مالك بن عبدالرحمن بن عليّ بن عبدالرحمن بن الفرّج المعروف بابن المرحّل، ولد في مالقة سنة 604 هـ / 1207 م<sup>(744)</sup>. وكانت وفاته سنة 699 هـ / 1300 م. كان مشاركاً في بعض العلوم كالفقه واللغة والنحو، كما كان من مشاهير الأدباء، كاتباً، مترسلاً، شاعراً وفنّون من شعره مديح وبديعيات في مدح الرسول(صلى الله عليه وآله) وكان له عدد من الآثار منها: ديوان شعره، المعشرات النبوية<sup>(745)</sup>...

له موشحة بديعية في مدح الرسول(صلى الله عليه وآله) من غرر القصائد، فيها لزوم ما لا يلزم من ترتيبها على حروف المعجم ويجعل حروف المعجم بدءاً وروياً ألف<sup>(746)</sup>:

أجلّ الأنبياء نبيء \*\*\* بضيائه شمس النهار تضيء  
وبه يؤمّل محسنٌ ومسيء \*\*\* فضلاً من الله العظيم عظيم  
صلوا عليه وسلّموا تسليماً

باء:

بدأ في أفق مكة كوكباً \*\*\* ثم اعتلى فجلا سناه الغيها  
حتى أنار الدهر منه وأخصباً \*\*\* إذ كان فيض الخير منه عميما

(739) الأغفال جمع غفل وهو ما لا علامة فيه.

(740) الأرسال: الجماعات جمع رسل.

(741) العارض: السحاب المعترض في الأفق. الهطال: كثير السيلان.

(742) جندله: ألقاه على الجدالة وهي الأرض.

(743) ترجمته في: الإحاطة 304/3 - أزهار الرياض 32/1 - تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 335/6 - الجامع في تاريخ

الأدب العربي حنا الفاخوري ص 1015 - نفح الطيب 145/4 و 305/10 - الأعلام للزركلي 263/5 - بغية الوعاة

271/2 - تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان 136/5.

(744) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 335/6.

(745) المصدر السابق 336/6.

(746) نفح الطيب 305/10 - 309.

صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

نون:

نبي جاءنا ببيان \*\*\* وبمعجزات أبرزت لعيان  
وبحسبه أن جاء بالقرآن \*\*\* يشفي قلوباً تشتكي وجسوما  
صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

وفي قصيدة أخرى يقول<sup>(747)</sup>:

بوصف حبيبي طرّز الشعر ناظمه \*\*\* ونمّم خدّ الطّرس بالنّقش راقمه<sup>(748)</sup>  
نبيّ له فضلٌ على الناس كلّهم \*\*\* مفاخره مشهورة ومكارمه  
رؤوفٌ عطوفٌ أوسعُ الناسُ رحمةً \*\*\* وجاءت عليهم بالنّوال غنائمه  
وأيضاً في أبيات يتشوق إلى بيت الله الحرام ويمدح رسول الله (صلى الله عليه وآله)<sup>(749)</sup>:  
شوق كما رُفعت نار على علم \*\*\* تشبُّ بين فروع الضالّ والسّلم  
من يشتريني بالبشرى ويملكني \*\*\* عبداً إذا نظرت عيني إلى الحرم  
يا أهل طيبة طاب العيشُ عندكم \*\*\* جاورتم خير مبعوث إلى الأمم  
عاينتم جنة الفردوس من كذب \*\*\* في مهبط الوحي والآيات والحكم  
يبغي إليه شفيحاً لا نظير له \*\*\* في الفضل والمجد والعلياء والكرم  
ذاك الحبيب الذي تُرجى شفاعته \*\*\* محمداً خير خلق الله كلّهم  
صلى عليه إله الخلق ما طلعت \*\*\* شمسٌ وما رفعت نارٌ على علم

#### المتنبّي الجزيري

هو أبوطالب (أبو الوليد) عبد الجبار المعروف بالمتنبّي الجزيري وبالمتنبّي الشقري (نسبة إلى جزيرة شقر قرب شاطبة)<sup>(750)</sup> وكان لا يزال حياً في سنة 520 هـ / 1126 م.  
هو شاعر ونائر، ولكن شعره أفضل من نثره رتبةً وأشدّ تفوقاً منه. له أرجوزة قد استهلّها بمقدمات في أصول الاعتقادات والقضايا العلمية والفلسفية، ثم جاء فيها بالأحداث

(747) المجموعة النبهاية 78/4.

(748) طرز: زين وكذلك نمم.

(749) الإحاطة 314/3.

(750) وفيات الأعيان 57/1.

التاريخية منذ خلق آدم وحواء، ثم عدد أنبياء المنصوص ذكرهم في القرآن حتى إذا استوفى ذلك فأرّخ لتاريخ الإسلام في المشرق والأندلس، وكان أكثر توسعاً في تاريخ الأندلس. وتبلغ هذه الأرجوزة 464 بيتاً أو أكثر (751).

يشير في بعض أبياتها إلى الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) فيقول (752):

ونعمة الله ببعث الرّسل \*\*\* بحمدها ينطق كلُّ مقول (753)  
أولهم آدم الصفيُّ \*\*\* وآخر محمد النبيّ  
أرسلهم طراً ليهدوا الناسا \*\*\* مؤلفاً بالدعوة الأجناسا  
وبعد أبيات يذكر خلافة الإمام عليّ (عليه السلام)، ويشير إلى الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) بهذا القول:

ثم تولّاها أبو السّبطين \*\*\* الحسن (الإمام) والحسين  
عليّ ذو العلم وذو الشّجاعة \*\*\* والزّهد في الدنيا وذو البراعة  
وثارت الحروب بالخوارج \*\*\* أصلاهم بالنّار ذو المعارج (754)  
ومنها:

ثم تولّى الحسنُ الإمامة \*\*\* فمُنحت بيمنه السّلامة  
فَحَقَّنَ اللهُ به الدماء \*\*\* وأذهبَ المِحَنَةَ واللّأواء (755)  
ومنها:

فانتقل الأمرُ إلى يزيد \*\*\* فحادَ عن مناهج التّسديد (756)  
مجترماً في قتله الحسينا \*\*\* وجاء في الحرّة فعلاً شيناً (757)

---

(751) الذخيرة 431/2/1.

(752) تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ 144/5 - 131.

(753) المقول: اللسان.

(754) أصلاهم: أحرقتهم - ذو المعارج: الله.

(755) اللأواء: الشدة والضيق.

(756) حاد: مال - التّسديد: الاستقامة والصواب.

(757) الشين: العيب.

\*\*\*

عبدالمك بن حبيب بن مرداس السلمى (758)

عبدالمك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن العباس بن مرداس السلمى (759) كان أديباً،  
نحوياً حافظاً، شاعراً، متصرفاً في فنون العلم والأخبار والأنساب والأشعار (760). توفي سنة  
238 أو 239 هـ / 841م.  
ومن شعره (761) :

لله درّ عصابة صاحبها \*\*\* نحو المدينة تقطع الفلوات  
حتى أتينا القبر قبر محمد \*\*\* خصّ الإله محمّداً بصِلات  
ذكر بعض منه في الفصول السابقة.  
يقول في أبيات أخرى أنشدّها ليلة عاشوراء (762):  
لا تنسَ لا يُنسكُ الرحمن عاشورا \*\*\* واذكره لازالت في الأحياء مذكورا  
قال الرسول صلاة الله تشمله \*\*\* قولاً وجدنا عليه الحق والنورا  
من بات في ليل عاشوراء ذا سعة \*\*\* يكن بعيثه في الحول محبورا  
فارغب فديتك فيما فيه رغبنا \*\*\* خير الورى كلهم حياً ومقبورا

---

(758) ترجمته في: الإحاطة 548/3 - بغية الوعاة 109/2 - البيان المغرب 111/2.

(759) الإحاطة 548/3.

(760) البيان المغرب 111/2.

(761) نفح الطيب 55/1 .

(762) الإحاطة 552/3 .

ابن مقانا<sup>(763)</sup>

كان أبوزيد عبدالرحمن بن مقانا الأشبوني البطليوسي أديباً وشاعراً، وقد اشتهر بقصيدته النونية التي مدح بها إدريس بن يحيى وهي قصيدة حسنة، فصيحة الألفاظ، صحيحة التراكيب<sup>(764)</sup>، ويعرّف ابن بسام ابن مقانا قائلاً: له شعر يعرب عن أدب غزير تصرف فيه تصرف المطبوعين المجيدين في عنفوان شبابه<sup>(765)</sup>...

وفي شعره يمدح إدريس بن يحيى بن حمود ويقول<sup>(766)</sup> :

البرقُ لاحَ لي من أندرين \*\*\* دَرَقْتَ عيناك بالماء المَعِين  
ثم يقول:

يا بني أحمد يا خير الورى \*\*\* لأبيكم كان وفد المسلمين  
نزل الوحي عليه فاحتبى \*\*\* في الدجي فوقهم الروح الأمين  
خلقوا من ماء عدل وتقى \*\*\* وجميع الناس من ماء وطين  
انظرونا نقتبس من نوركم \*\*\* إنه من نور رب العالمين

---

(763) ترجمته في: الذخيرة 786/2/2 - بغية الملتبس رقم 1044 - الوافي بالوفيات 327/8 - نفح الطيب 214/1 و

264/3 - البيان المغرب 135/3.

(764) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 578/4.

(765) الذخيرة 786/2/2.

(766) المعجب ص118.

يوسف بن موسى المنتشاقري<sup>(767)</sup>

يوسف بن موسى بن سليمان بن فتح بن أحمد الجذامي المنتشاقري من أهل رندة يكنى أبا الحجاج<sup>(768)</sup>، وله مؤلفات منها: «كتاب ملاذ المستعين في بعض خصائص سيّد المرسلين»، و«كتاب قبول الرأي الرشيد في تخميس الوتریات النبوية لابن رشيد» وكتب أخرى<sup>(769)</sup>. ومن شعره يمدح النبيّ (صلى الله عليه وآله) مصدراً بالنسيب لبسط الخواطر النفسانية قوله<sup>(770)</sup>:

لَمَّا تَنَاهَى الصَّبُّ فِي تَشْوِيقِهِ \*\*\* دَرَرَ الدَّمُوعُ اعْتَاضَهَا بِعَقِيقِهِ  
مَتْلَهْفٌ وَفُؤَادُهُ مَتْلَهَبٌ \*\*\* كَيْفَ الْبَقَا بَعْدَ احْتِدَامِ حَرِيقِهِ  
حَتَّى يَقُولَ:

حُبِّي وَمَدْحِي أَحْمَدُ الْهَادِي الَّذِي \*\*\* فَوْزُ الْأَنَامِ يَصْحُ فِي تَصْدِيقِهِ  
أَسْمَى الْوَرَى فِي مَنْصَبٍ وَبِمَنْسَبٍ \*\*\* مِنْ هَاشِمٍ زَاكِي النَّجَارِ عَرِيقِهِ  
وَالْمَعْجَزَاتُ بَدَتْ بِصَدَقِ رَسُولِهِ \*\*\* وَحَقِيقُهُ بِالْمَأَثَرَاتِ خَلِيقِهِ  
كَالْظَّبْيِ فِي تَكْلِيمِهِ وَالْجَذَعِ فِي \*\*\* تَحْنِينِهِ وَالْبَدْرِ فِي تَشْقِيقِهِ  
وَالنَّارِ إِذْ خَمَدَتْ بِنُورِ وَلَادَةِ \*\*\* وَأَجَاجِ مَاءٍ قَدْ حَلَا مِنْ رِيقِهِ  
وَمِنْ قَصِيدَتِهِ الْآخَرَى، الَّتِي ذَكَرَ الْمُقْرِي بِأَنَّهَا أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ بَيْتًا مِنْهَا<sup>(771)</sup>:  
صَفْوَةُ الْخَلْقِ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ \*\*\* مُرْشِدُ النَّاسِ لِلطَّرِيقِ السَّوَاءِ  
وَالْعِمَادُ الْمَلَادُ فِي اللَّأْوَاءِ \*\*\* وَشَفِيعُ الْعُصَاةِ يَوْمَ الْجَزَاءِ  
يَوْمَ يَبْدُو لَدَيْهِ جَاءٌ عَظِيمٌ \*\*\* فَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ

ناهض الوادي آشي

هو ناهض بن محمد الأندلسي الوادي آشي المتوفى سنة 615 هـ ، كان معاصراً لصفوان بن إدريس، «وله قصيدة في بكاء الحسين (عليه السلام) شديدة الأسى والنياح وقد اختار

(767) ترجمته في: الإحاطة: 377/4 - نفح الطيب 139/6 - الكتيبة الكامنة ص119.

(768) الإحاطة 377/4.

(769) نفح الطيب 145/6 .

(770) الإحاطة 381/4 .

(771) نفح الطيب 359/10.

لها إطاراً فنياً، أضفى عليها ظلالاً من الحزن وشحنها بأنغام شجية باكية<sup>(772)</sup>، وقد أشار في القصيدة بأن الإمام الحسين (عليه السلام) فرع نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) أشرنا إليها في الفصل السابق وكان مطلعها:

أمرئة سجت بعود أراك \*\*\* قولي مولهء علام بُكاك<sup>(773)</sup>

ابن هانيء<sup>(774)</sup>

هو أبو القاسم محمد بن هانيء الأزدي الأندلسي، ولد في مدينة إشبيلية بالأندلس نحو سنة 320 هـ / 932 م أو 326 هـ<sup>(775)</sup>، وقتل في رجب سنة 362 هـ، واشتغل وحصل له حظ وافر من الأدب، كان حافظاً لأشعار العرب وأخبارهم. «وأبوه يعضده ويرشده لأنه هو نفسه أديب»<sup>(776)</sup>، وكان من فحول الشعراء، وخرج من الأندلس وعمره سبع وعشرون سنة<sup>(777)</sup>، واتصل بالخليفة المعز لدين الله الفاطمي ومدحه. له ديوان شعر يحتوي على أربعة آلاف بيت في قصائد طوال مدحاً ورتاءً.. ومعظم قصائده مملوءة بالألفاظ والمدارك الفاطمية، وحينما توفي قال المعز عنه: هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم

---

(772) درر السمط ص42 نقلاً عن أعمال الأعلام المخطوط رقم 807 / 697 الخزانة الملكية بمدينة الرباط.  
(773) دائرة المعارف الحسينية ديوان القرن السابع ص138- نفح الطيب 71/5 - 70- أدب الطف 249/3 - دائرة المعارف الشيعية 302/4.

(774) ترجمته في: وفيات الأعيان 421/4 - الإحاطة 289/2 - أدب الطف 77/2 - تاريخ الأدب العربي (عمر فروخ 267/4 - حسن الزيات 236، حنا الفاخوري: 831) تاريخ الأدب في المغرب العربي ص57 - ابن هانيء الأندلسي حياته وشعره - ظهر الإسلام 135/3 - أدباء العرب لبطرس البستاني 84/3 - معجم الأدباء 92/9 - خريدة القصر 248/1 - الوافي بالوفيات 352/1 - دائرة المعارف الحسينية ديوان القرن الرابع ص117 - دائرة المعارف الإسلامية 785/3 - أعيان الشيعة 112/7 - 85/10 - الأعلام للزركلي 354/7 - ديوان ابن هانيء - نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر ص29 - الأدب الأندلسي صور فنية واجتماعية ص140.

(775) أدب الطف 78/2.

(776) تاريخ الأدب العربي حسن الزيات 236.

(777) الإحاطة 289/2.

يقدرّ لنا ذلك<sup>(778)</sup>، وأيضاً جاء فيه أن ديوانه من أحسن الدواوين وليس في المغاربة من هو في طبقته لا من متقدميهم ولا من متأخريهم بل هو أشعرهم على الإطلاق<sup>(779)</sup>، وسمّوه متنبّي المغرب أو متنبّي الغرب<sup>(780)</sup>.

وهو في كثير من أشعاره يمدح أهل البيت أو يرثيهم ويذكر فيها نسبهم إلى النبيّ الكريم (صلى الله عليه وآله) يقول<sup>(781)</sup> :

ورث المقيم بيثرب فالمنبر الـ \*\*\* أعلى له والثروة العليا  
فيه تنزل كلّ وحي منزل \*\*\* فلاهل بيت الوحي فيه ثناء  
فتطول فيه أكفّ آل محمّد \*\*\* وتغلّ فيه عن الندى الطلقاء  
وفي قصيدة أخرى يقول<sup>(782)</sup>:

---

(778) وفيات الأعيان 421/4.

(779) وفيات الأعيان 421/4.

(780) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ 267/4.

(781) ديوان ابن هانيء ص16.

(782) المصدر السابق، رقم القصيدة 71 - أدب الطف 76/2.

فإن يتخرّم خير سبطي محمّد \*\*\* فإن وليّ الثّار لم يتخرّم  
وفي أي دين الوحي والمصطفى له \*\*\* سقوا آلَه ممزوج صاب بعلقم

محمّد بن عليّ بن هانيء اللّخمي السبتي<sup>(783)</sup>

محمّد بن هانيء اللّخمي السبتي، يكنى أبا عبدالله ويعرف باسم جدّه، أصله من إشبيلية،  
كان إماماً في العربية، حافظاً للأقوال، متوسط النظم، فائق الترسّل، كثير الاجتهاد  
والعكوف...<sup>(784)</sup> توفي سنة 733 هـ وله همزية أشار فيها إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل  
بيته (عليهم السلام)<sup>(785)</sup>:

هذا إلى الشرف الذي قد فزت \*\*\* من عليائه بالعزّة والقعساء  
شرف السليل من الرسول وسيلة \*\*\* قامت بابن سنا وابن سناء  
حسنٌ وأبو حسن وفاطمة ابنة \*\*\* الهادي البرية خاتم الثّبلاء

محمّد بن يحيى العزفي<sup>(786)</sup>

محمّد بن يحيى بن عبدالله بن محمّد بن أحمد العزفي من أهل سبتة، يكنى أبا القاسم من  
أهل الظرف والبراعة والذكاء ونظمه كثير. كان آل العزفي من أعرق أسر سبتة جاهاً وعلماً  
وفضلاً<sup>(787)</sup>.

ومما أنشد ليلة ميلاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) قصيدة كان مطلعها<sup>(788)</sup>:

إذا لم أطق نحو نجد وُصولاً \*\*\* بعثت الفؤاد إليها رسولا  
ومنها:

وحجّوا أو زاروا نبيّ الهدى \*\*\* محمّداً الهاشمي الرسولا  
نبيّ كريم سما رفعة وقد \*\*\* درأ جليلاً ومجداً عظيماً  
وكان لأُمته رحمة بفضد \*\*\* ل الشفاعة فيهم كفيلاً

(783) ترجمته في: الإحاطة 143/3 - بغية الوعاة 192/1 .

(784) الإحاطة 143/3.

(785) المصدر السابق.

(786) ترجمته في الإحاطة 11/3.

(787) الإحاطة 11/3.

(788) المصدر السابق 15/3.

له المعجزات إذا عدّدت تفو \*\*\* ت النّهي ونكّل العقولا  
ولن يبلغ القول معشارها \*\*\* وإن كان الوصف فيها مُطيّلا

### محمّد بن يحيى الغساني

هو عتيق بن أحمد بن محمّد بن يحيى الغساني الغرناطي، يكنى أبا بكر ويعرف بابن الفرّاء، كان من أهل الجلالة والفضل، جميل الرّواء، فاضلاً، جامعاً لفنون من المعارف<sup>(789)</sup>، ولد سنة 635 هـ / 1238 م وتوفي سنة 685 هـ / 1288 م. من مؤلفاته: كتاب نزّهة الأبصار في نسب الأنصار<sup>(790)</sup>. ومن شعره<sup>(791)</sup>:

يا راكباً يبغي الجناح الأشرفا \*\*\* ومُنَاه أن يُلقَى الكريم المُسعفا  
عرج بطيبة مرة لتري بها \*\*\* علمي قبول رحمة وتعطفا  
وإذا حللت بها فقبل ثربها \*\*\* وارغب جلالهم عسى أن يُسعفا  
واجعل شفيحك إن قصدت عناية \*\*\* قبراً تقدّس ثربة وتشرّفا  
قبرٌ تضمن نور هدىً واضحاً \*\*\* لم يحتجب عن مُبصريه ولا اختفى  
قبر به الهاشمي محمّد أبهى \*\*\* الأنام سناً وأوفى من وفا

---

(789) الإحاطة 81/4.

(790) المصدر السابق.

(791) المصدر السابق.

أبو محمد عطية بن يحيى المحاربي<sup>(792)</sup>

هو أبو محمد عطية بن يحيى بن عبدالله بن طلحة بن أحمد بن عبدالرحمن بن غالب بن عطية المحاربي<sup>(793)</sup>، ولد في مدينة آش سنة 709 / 1312 م وانتقل إلى جوار ربّه سنة 756 هـ / 1359 م.

كان خطيباً، ناظماً، ناثراً، وكذلك كان من تلامذة لسان الدين بن الخطيب.  
ومن شعره<sup>(794)</sup> :

إليك رسول الله شوقي مجدد \*\*\* فياليتني يمّت صدر الركائب<sup>(795)</sup>  
حبيبي شفيعي منتهى غايتي التي \*\*\* أرجى ومن يرجوه ليس بخائب  
رسول كريم رقع الله قدره \*\*\* وأعلى له قدراً رفيع الجوانب  
سراج الهدى ذو الجاه والمجد والعلا \*\*\* وخير الورى الهادي الكريم المناسب  
له معجزات مالها من معارض \*\*\* وآيات صدق مالها من مغالب  
تحدّى بهن الخلق شرقاً ومغرباً \*\*\* وما ذاك عمّن حاد عنها بغائب

---

(792) ترجمته في: نفح الطيب 143/10 - الإحاطة 555/3.

(793) نفح الطيب 143/10.

(794) الإحاطة 561/3.

(795) يمّت: قصدت.



## الخاتمة

هذا البحث تناول شعر المديح النبوي في الأندلس خلال ثمانية قرون حيث وقف عدد كثير من الشعراء إلى جانب الرسول (صلى الله عليه وآله) مادحين ومدافعين وذاكرين فضله وعظمة الرسالة الإسلامية التي بعث الله بها هداية للعالمين وبقي ذكره يتردد دوماً على السنة عامة المسلمين في عباراتهم وصلواتهم وأيام أعيادهم الدينية ومناسبات أفراحهم وأحزانهم مسترحمين ومتوسلين به أن يكون لهم شفيعاً عند الله فاتحاً لهم سبحانه وتعالى أبواب رحمته الواسعة في الدنيا والآخرة.

وفي نهاية المطاف يمكن القول بأننا توصلنا من خلال هذه الدراسة الى بعض النتائج، منها:

1 - لم يكن للأندلس دور علمي في العصور القديمة والعرب بعد دخولهم فيها هم الذين بدأوا الحركة العلمية بعلومهم اللغوية والدينية فيها وصارت الأندلس هي البوابة التي سلكت من خلالها الثقافة العربية الإسلامية وأخذت طريقها إلى أوروبا التي تعيش آنذاك في حالة الجهل وعدم العلم. وبعد هذا الاتصال والاحتكاك بينهما برزت فكرة متطورة ورؤية جديدة عن الدين والدنيا.

2 - ظهر الشعر الديني في أيام تعرضت البيئة الأندلسية للمحن السياسية والاجتماعية واشتعلت الحروب والفتن ودبّ الضعف في مكانة الحكام واشتد القلق النفسي لدى الفرد الأندلسي وفاض إحساسه بالخوف من الأوضاع العامة في المجتمع وما وقع فيه فرأى أنه ليس له غير الدين سبيلاً يوفر له تلك الراحة النفسية وينقذه من طيش الحياة وعواصفها.

3 - من أنواع الشعر الديني المدح النبوي الذي ظهر في الأندلس في القرون الأولى وازدهر في عصر الموحدين وما بعده خاصة قصائد التشوّق إلى زيارة الرسول (صلى الله عليه وآله) والأماكن المقدسة في الحجاز. لعلّ بُعد الأندلسيين من الحرمين الشريفين وقلة

استطاعتهم وصعوبة السفر إليها تعتبر من الدواعي التي تثير في نفوسهم الشوق واللهفة إلى مكة والمدينة.

4 - إن الشعراء في الأندلس سبقوا المشاركة في إنشاد قصائد كاملة في مدح الرسول(صلى الله عليه وآله) زمنياً. نجد هناك انتشار المديح النبوي بأشكال مختلفة مثل الخمسات، المعشرات، المسدسات، والعشرينيات و... وهذا الاهتمام بالشكل الشعري والبحث عن التميز من خلاله يُرينا أن الشاعر في مديحه للنبي(صلى الله عليه وآله) وصل إلى مرتبة متقدمة فالمضمون عنده قد انتهى إلى ما لا مزيد عليه.

5 - المضمون الأصلي في المدائح النبوية هو مدح النبي(صلى الله عليه وآله) يتألف من الإشادة بأخلاقه وشمائله بالقيم التقليدية والدينية وبمكانته بين الأنبياء واستقصوا فضائله وخصائصه الكريمة وحرصوا على ألا يفوتهم شيء منه وحرصوا كذلك على ذكر سيرته العطرة وذكروا كثيراً من معجزاته الباهرة وأظهروا حبهم العميق والخالص له.

6 - وأما الموضوع الآخر الذي تناوله الشعراء في مدح الرسول(صلى الله عليه وآله) فهو الحقيقة المحمدية وهي ظاهرة في الأبيات بأن الله خلق النور المحمدي أولاً ثم خلق منه جميع المخلوقات وأفرغ فيه جميع الخيرات وقسمها على الخلائق بحسب استعدادهم.

7 - اعتاد الشعراء أن يختتموا قصائدهم المدحية بالصلاة على النبي(صلى الله عليه وآله) وأله(عليهم السلام) غالباً، ويرددها من أجل التلذذ والتقرير والتأكيد.

8 - وصلت علاقة الشاعر بالنبي(صلى الله عليه وآله) إلى أعلى مراحل الاتصال الروحي بحيث يجعل المحب يميل وينتمي إلى كل ما هو ذو صلة بالمحبوب ومثاله اهتمامه الكثير بوصف تمثال النعال الشريفة وآثاره الكريمة و... تبركاً بها.

9 - يعدّ التوسل وطلب الشفاعة من الميزات الأساسية في المدائح النبوية وظهور هذا المفهوم فيها كمؤشر على تأثر الشعراء بالإسلام ومدى اعتقادهم بالآخرة.

10 - يرى في الشعر الأندلسي أن بعض المدائح النبوية تضارع القدماء في صياغتهم وألفاظهم وطريقتهم في التعبير الشعري وتتابعهم في خصائص شعرهم مثل المعارضات.

11 - تكثر المولديات في الأندلس في الاحتفالات الرسمية.

12 - أما أفكار ومضامين المدح فمعظمها مأخوذة من القرآن والحديث والسيرة النبوية والتراث العربي شعره ونثره.

13 - تكثر في هذه الأشعار، الإشارات التاريخية وأسماء المواضع والأماكن ذات الصلة بالسيرة وبيئاتها .

14 - يعتبر مدح أهل البيت(عليهم السلام) لون من ألوان المديح النبوي قد ظهر في أشعار الأندلسيين من القرن الرابع الهجري.

15 - قد صرّح الشعراء بقراءة أهل البيت(عليهم السلام) بالرسول الكريم(عليهم السلام) في ألفاظ كثيرة مثل: ابن رسول الله، ابن النبوة، أبناء فاطمة(عليها السلام)، الهاشمي، الفاطمي...

16 - ظهور قصائد مستقلة في رثاء الإمام الحسين(عليه السلام) تسمى بالحسينيات وفي كثير منها أشير إلى جدّه(عليه السلام) النبي(صلى الله عليه وآله) .

17 - نرى المزج بين طبيعة الأندلس الجميلة وشعر المدح النبوي وأهل البيت(عليهم السلام) .

18 - يكثر اعتذار الشعراء عن التقصير في أداء الواجب الكامل نحو محبة الرسول(صلى الله عليه وآله) .

19 - ظهور المدائح النبوية في قالب الموشحات التي ابتكرها الأندلسيون.  
خ - يميل الشعراء في هذه الأشعار إلى البساطة والسهولة ورقة العبارة، ولعلّ سبب ذلك يرجع إلى البيئة الأندلسية الجميلة التي بهرت الشعراء بجمالها.

21 - إنّ عاطفة الشعراء القوية الصادقة الحارة وتجربتهم الجياشة في حب الرسول(صلى الله عليه وآله) وآله(عليهم السلام) وهي تجربة حقيقية مفعمة بالشوق الدقاق والصدق الديني الذي لا تشوبه شائبة النفاق أو الرياء. ظهر لنا بوضوح قوّة أشعارهم وحرارتهم وانسيابها الى الأرواح قبل الأسماع.

«والحمد لله ربّ العالمين»

## المصادر

شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني،

- 1 - القرآن الكريم
- 2 - آثار أبي زيد الفازاري، تقديم وتحقيق عبد الحميد عبدالله الهرامة، دار قتيبة، الطبعة الأولى، 1412 هـ / 1991م.
- 3 - آفاق الشعر في العصر المملوكي، الدكتور ياسين الأيوبي، الطبعة الأولى، لبنان طرابلس، 1415 هـ / 1995م.
- 4 - ابن زيدون شاعر العشق والحنين، الدكتور عبد الحميد الحرّ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت. لبنان.
- 5 - ابن هانيء الأندلسي حياته وشعره، أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 6 - ابو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس. الدكتور محمّد رضوان الداية، مكتبة سعدالدين، الطبعة الثانية 1406 هـ / 1986م.
- 7 - اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، الدكتور نافع محمود، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الأولى 1990م.
- 8 - الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، حقق نصّه ووضع مقدمته وحواشيه د. محمّد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- 9 - أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم، لمؤلف مجهول.
- 10 - أدباء العرب في الأندلس عصر الانبعاث، بطرس البستاني، دار مارون عبود، بيروت.
- 11 - الأدب الأندلسي التطور والتجديد، د. عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان 1412 هـ / 1992م.

- 12 - الأدب الأندلسي صور فنية واجتماعية، الدكتورة يسرى محمد سلامة، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.
- 13 - الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، الدكتور أحمد هيكل، دار المعارف، الطبعة الحادية عشرة 1994م.
- 14 - الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت 1986م.
- 15 - أدب الطف أو شعراء الحسين (عليه السلام). جواد شبر، مؤسسة البلاغ، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان 1409 هـ .
- 16 - الأدب العربي في الأندلس، الدكتور عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية 1976م.
- 17 - الأدب العربي في الأندلس تطوره، موضوعاته وأشهر أعلامه، الدكتور عليّ محمد سلامة، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى 1989م.
- 18 - الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن النعمان الملقب بالمفيد، ترجمه وشرحه السيد هاشم رسولي المحلاتي، انتشارات علمية إسلامية، الطبعة الثانية.
- 19 - أزهار الرياض في أخبار عياض، شهاب الدين أحمد بن المقرئ التلمساني، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي.
- 20 - الإسلام في الأندلس وصقلية وأثره في الحضارة والنهضة الأوربية. الدكتور أمين الطيبي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. طرابلس.
- 21 - أصول الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، ترجمه وشرحه السيد جواد المصطفوي. دفتر نشر وفرهنگ أهل البيت (عليهم السلام) .
- 22 - الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي.
- 23 - أعيان الشيعة، حققه وأخرجه حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت 1406 هـ .
- 24 - البديعيات في الأدب العربي نشأتها وتطورها وأثرها، عليّ أبوزيد، عالم الكتب، الطبعة الأولى 1403 هـ / 1983م.
- 25 - بردة البوصيري بالمغرب والأندلس خلال القرنين الثامن والتاسع، الأستاذ سعيد بن الأحرش، المملكة المغربية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1419 هـ / 1998م.

- 26 - البسطي آخر شعراء الأندلس، الدكتور محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان.
- 27 - بغية الملتبس، لأحمد بن عميرة الضبي، مكتبة المثنى بغداد، مؤسسة الخانجي بمصر.
- 28 - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبدالرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعه عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى 1384 هـ / 1965م.
- 29 - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن العذاري المراكشي، تحقيق ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة 1418 هـ .
- 30 - البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف، الدكتور سعد اسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.
- 31 - تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العربي، بيروت، لبنان.
- 32 - تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، بيروت، دار مكتبة الحياة 1983 م.
- 33 - تاريخ الأدب الأندلسي، الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، الطبعة الثانية، بيروت. لبنان 1971 م.
- 34 - تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، الإشراف على الترجمة العربية الدكتور محمود فهمي حجازي، نقل الكتاب إلى العربية أ. د. السيد يعقوب بكر و أ. د. رمضان عبدالقواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1975م.
- 35 - تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار المعرفة، بيروت. لبنان، الطبعة السادسة والعشرون.
- 36 - تاريخ الأدب العربي (الدول والامارات، الأندلس) الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة - الطبعة الثانية.
- 37 - تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري.
- 38 - تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ (المجلد الرابع والخامس والسادس) دار العلم للملايين، بيروت، لبنان 1984م.
- 39 - تاريخ الأدب في المغرب العربي، حنا الفاخوري، دار الجيل 1417 هـ / 1996م.
- 40 - تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، يوسف أشباح، ترجمة عنان، القاهرة 1941م.

- 41 - تاريخ التراث العربي، فؤاد سرگين، نقله إلى العربية د. عرفة مصطفى، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، الطبعة الثانية، قم، إيران 1412 هـ .
- 42 - تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، منشورات دار المكتبة الحياة، بيروت، لبنان 1967م.
- 43 - تاريخ الشعر العربي، محمد عبدالعزيز الكفراوي، دار نهضة مصر، القاهرة الطبعة الأولى.
- 44 - تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي، المكتبة الأندلسية، دار المصرية للتأليف والترجمة 1961م.
- 45 - تاريخ الفكر الأندلسي، جنثالث بالنثيا، ترجمة د. حسين مؤنس، مكتبة النهضة العربية، القاهرة 1995م.
- 46 - الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، بيروت، دار الجيل 1985م.
- 47 - جيش التوشيح، لسان الدين بن الخطيب، حققه وقدم له وترجم لوشاحيه، هلال ناجي، مطبعة المنار، تونس 1967م.
- 48 - الحلة السيرا، لابن الأبار القضاعي، تحقيق دورزي، ط، ليدن 1851م.
- 49 - الحلة السيرا في مدح خير الوري، ابن جابر الأندلسي، تحقيق عليّ أبوزيد، عالم الكتب، الطبعة الثانية 1405 هـ / 1985م.
- 50 - جريدة القصر وجريدة العصر (قسم المغرب والأندلس) عماد الدين الإصفهاني، تحقيق عمر الدسوقي وعليّ عبدالعظيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
- 51 - خزانة الأدب وغاية الأرب، لتقي الدين أبي بكر عليّ المعروف بابن الحجة الحموي، بيروت، دار القاموس الحديث.
- 52 - خط سير الأدب، الدكتور عبدة عبدالعزيز.
- 53 - دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية عباس محمود وآخرون.
- 54 - دائرة المعارف البستاني لبطرس البستاني مطبعة المعارف، بيروت 1880م.
- 55 - دائرة المعارف الحسينية (ديوان القرن الرابع، الخامس، السادس، السابع، الثامن)، محمد صادق محمد الكرباسي، المركز الحسيني للدراسات، لندن، المملكة المتحدة 1418 هـ .
- 56 - دائرة المعارف الشيعية، حسن الأمين، بيروت 1393 هـ / 1973 م.

- 57 - دار الطراز في عمل الموشحات، ابن سناء الملك، نشر د. جودت الركابي دمشق 1949م.
- 58 - درر السمط في خبر السبط، لابن الأبار القضاعي، تحقيق السيد أبو الفتح دعوتي، مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 1421 هـ .
- 59 - دولة الاسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، د. محمد عبدالله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1960م.
- 60 - ديوان ابن الأبار، قراءة وتعليق الدكتور عبدالسلام الهراس، الدار التونسية للنشر، 1405 هـ / 1985م.
- 61 - ديوان ابن الجنان الأنصاري الأندلسي، جمع وتحقيق ودراسة الدكتور منجد مصطفى بهجت 1410 هـ / 1990م.
- 62 - ديوان ابن حيوس، تحقيق خليل مردم بك، مجمع اللغة العربية بدمشق، المطبعة الهاشمية 1371 هـ / 1951.
- 63 - ديوان ابن خفاجة الأندلسي، تحقيق السيد مصطفى غازي ط. دار المعارف الإسكندرية، 1960م.
- 64 - ديوان ابن زُمر، جمعه وقدم له وفهرسه الدكتور أحمد سليم الحمصي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- 65 - ديوان ابن سهل، تحقيق بطرس البستاني، مكتبة صادر، بيروت 1953م.
- 66 - ديوان ابن عربي، شرح وتقديم نواف الجراح، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 1999م.
- 67 - ديوان ابن هانيء، شرحه الدكتور عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، الطبعة الأولى، بيروت لبنان 1418 هـ / 1998م.
- 68 - ديوان أبي إسحاق الإلبيري الأندلسي، حققه وقدم له الدكتور محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1396 هـ / 1976م.
- 69 - ديوان أبي الحيان الأندلسي، تحقيق الدكتور أحمد مطلوب، الدكتور خديجة الحديثي، مطبعة العاني بغداد، الطبعة الأولى 1388 هـ / 1969م.
- 70 - ديوان كعب بن زهير، شرح العكبري، وزارة الثقافة القاهرة، 1965م.
- 71 - ديوان الوسائل المتقبلة، عبدالرحمن الفازازي، المطبعة الثانية، بيروت.

- 72 - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن عليّ بن بسام الشنتريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1942م.
- 73 - الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، عبد الملك المراكشي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
- 74 - رحلة ابن جبير، تحقيق حسين نصار، دار مصر للطباعة.
- 75 - رسالة أدب التشيع في الأندلس، الدكتور عبدالأمير عبد الزهرة عناد الغزالي الجامعة الحرّة الإسلامية قم.
- 76 - روائع من الأدب العربي، صلاح الدين الهواري، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان.
- 77 - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، طبعة جديدة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 78 - الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، الدكتور فوزي سعد عيسى، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1991م.
- 79 - شعر ابن عبد ربه، صنعة الدكتور محمد أديب عبدالواحد جُمران، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى 1421 هـ / 2000م.
- 80 - الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس. د. محمد مجيد السعيد، الدار العربية للموسوعات، بيروت لبنان.
- 81 - شعر النابغة الجعدي، تحقيق عبدالعزيز رباح، المكتب الإسلامي بدمشق، الطبعة الأولى 1964م.
- 82 - الشعر والبيئة في الأندلس، د. ميشال عاصي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع.
- 83 - شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني الشيخ محمد باقر المحمودي. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت - لبنان.
- 84 - صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1375 هـ.
- 85 - الطليعة من شعراء الشيعة، العلامة الشيخ محمد السماوي، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي، بيروت لبنان 1422 هـ.
- 86 - ظهر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان، 1388 هـ / 1969م.

- 87 - العبر في خبر من غبر، للذهبي، تحقيق المنجد وفؤاد السيد، ط الكويت 1969م.
- 88 - العبر وديوان المبتدأ والخبر، عبدالرحمن بن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 89 - عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس. عبدالله عنان، الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1964م.
- 90 - العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني، دار المعارف، القاهرة.
- 91 - غابر الأندلس وحاضرها، محمد كرد علي، تحقيق محي الدين عبدالحميد، القاهرة، الطبعة الأولى.
- 92 - فتح المتعال في مدح النعال، أحمد بن يحيى المقري التلمساني، تحقيق د. عليّ عبدالوهاب، عبدالمنعم فرج درويش، دار القاضي عياض للتراث، الطبعة الأولى 1417هـ / 1997م.
- 93 - الفتوحات المكية، ابن عربي، دار الكتب العربية، مطبعة بولاق، القاهرة.
- 94 - فجر الأندلس، د. حسين مونس، الشركة العربية للطباعة والنشر 1959م.
- 95 - فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، د. حكمة عليّ الأوسي، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد.
- 96 - فن التوشيح، مصطفى عوض الكريم، دار الثقافة، الطبعة الثانية، بيروت لبنان 1974م.
- 97 - الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.
- 98 - فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي، تحقيق د. احسان عباس، دار صادر، بيروت .
- 99 - في الأدب الأندلسي، د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان ودار الفكر دمشق سوريا، الطبعة الأولى 1421 هـ / 2000م.
- 100 - في الأدب الأندلسي، د. جودت الركابي، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة.
- 101 - في الأدب الأندلسي، د. محمد زكريا عناني، تقديم الدكتورة سعيدة محمد رمضان.
- 102 - في تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، دار النهضة العربية، بيروت 1987م.
- 103 - قصة الحضارة، تأليف «ول» ترجمة محمد بدران.
- 104 - القصيدة الأندلسية، د. عبدالله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، الطبعة الثانية 1999م.

- 105 - الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق د. احسان عباس دار الثقافة، بيروت، لبنان.
- 106 - لسان الدين بن الخطيب عصره وبيئته... أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 107 - لسان العرب، محمد بن مكرم (ابن منظور)، دار المعارف.
- 108 - المثالي في اللغة العربية، عبد الجليل أحمد جماد، حسن أبوالمعاطي خليفة، مصطفى إسماعيل سعدية، مكتبة مصر.
- 109 - المجموعة النبوية في المدائح النبوية، جمعها العلامة الشيخ يوسف بن اسماعيل النبواني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1417 هـ / 1996 م.
- 110 - المحمدون من الشعراء عليّ بن يوسف القفطي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند 1996 م.
- 111 - المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، د. محمود سالم محمد، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر دمشق، سورية، الطبعة الأولى 1417 هـ / 1996 م.
- 112 - المدائح النبوية في الأدب العربي، د. زكي مبارك، مطبعة دار الشعب، بالقاهرة.
- 113 - المدائح والنبويات في بلاد الشام، الدكتور عمر موسى باشا، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- 114 - المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية، د. سعيد عبدالفتاح عاشور، الطبعة الأولى، سنة 1963 م.
- 115 - المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبدالواحد المراكشي، تحقيق محمد سعيد العريان، ط. القاهرة 1954 م.
- 116 - معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار الفكر.
- 117 - معجم أعلام شعراء المدح النبوي، الدكتور محمد أحمد درنيقة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى 1996 م.
- 118 - معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي، دار صادر بيروت 1388 هـ.
- 119 - معجم المؤلفين، عمر رضا الكحالة، مكتبة المثنى بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1376 هـ / 1957 م.

- 120 - المعجم الوسيط، الدكتور ابراهيم أنيس، الدكتور عبدالحليم منتصر... دفتر نشر  
فرهنگ اسلامي، الطبعة الثالثة 1408 هـ .
- 121 - المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد ومقدمة د. شوقي ضيف، دار المعارف مصر.
- 122 - المفيد في الأدب العربي، جوزيف الهاشم، أحمد أبو حاقه، إيليا حاوي، المكتب  
التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- 123 - الموازنة بين الشعراء، د. زكي مبارك، شركة مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي،  
دار الكتب 1393 هـ / 1973م.
- 124 - الموشحات الأندلسية، انطوان محسن القوّال، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة  
الثانية، 1416 هـ / 1996م.
- 125 - الموشحات الأندلسية، د. محمد زكريا عناني، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس  
الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت.
- 126 - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن المقري التلمساني. دار صادر -  
بيروت.
- 127 - نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر، ضياء الدين يوسف بن يحيى الحسيني اليمني،  
تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان 1420 هـ / 1999م.
- 128 - هدية العارفين لأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، مكتبة  
الجعفري التبريزي، الطبعة الثانية.
- 129 - الوافي بالوفيات، للصفدي، دار فرانزشتانيرفسبادن، المعهد الألماني للدراسات  
الشرقية، بيروت 1980م.
- 130 - وفيات أعيان في أنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار  
صادر، بيروت 1978م.
- 131 - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، للثعالبي، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، دار  
الفكر، بيروت 1353 هـ / 1934م.
- 132 - ينباع المودة لذوي القربى، للشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، تحقيق سيد  
عليّ جمال أشرف الحسيني 1220 هـ - 1294 هـ

## الفهرس

كلمة المجمع ... 7

المقدّمة ... 9

التمهيد ... 15

الفصل الأول:

اسم الأندلس ... 21

جغرافية الأندلس ... 25

إسبانيا قبل الفتح ... 29

فتح إسبانيا ... 31

الحياة السياسية ... 35

1- عهد الولاة 92- 138 هـ / 711-755 م ... 35

2- العهد الأموي 138- 400 هـ / 755-1019 م ... 38

3- عهد ملوك الطوائف 400- 536 هـ / 1019-1141 م ... 40

4- دولة المرابطين 495- 555 هـ / 1101 - 1160 م ... 44

5- دولة الموحدين 526 - 667 هـ / 1129-1268 م ... 46

6- دولة بني الأحمر 635- 898 هـ / 1237-1492 م ... 50

الحياة الاجتماعية ... 55

عناصر الشعب الأندلسي ... 55

1- العرب ... 55

2 - البربر ... 56

3 - الموالي ... 56

4 - المولدون ... 57

5 - أهل الذمة ... 57

صفات أهل الأندلس ... 59

عاداتهم ... 59

زيّهم ... 60

حبّهم للغناء... 60

نساؤهم... 61

رغبتهم في العلم... 61

الحياة الثقافية... 63

الحياة الدينية... 71

#### الفصل الثاني:

الشعر في الأندلس ومراحل تطوره... 77

عوامل ازدهار الشعر في الأندلس... 83

مميزات وخصائص الشعر الأندلسي... 84

أوزان الشعر وقوافيه... 87

الفرق بين الشعر الأندلسي والشعر العباسي... 87

أطوار الشعر الأندلسي... 89

الموشّحات... 91

الشعر الديني... 97

المدح في الشعر العربي... 101

#### الفصل الثالث:

المدائح النبوية... 105

نشأة المدح النبوي وتطوره... 107

عوامل نضج وازدهار المديح النبوي... 121

أنواع المدائح النبوية... 125

قصيدة التشويق... 127

المولديات... 135

البديعيات... 143

الفروق بين المدائح النبوية الثلاث... 147

#### الفصل الرابع:

- مضامين المدح النبوي ... 153  
صفات الرسول (صلى الله عليه وآله) وفضائله ... 155  
الحبّ والمحبة ... 161  
المعجزات ... 165  
المشفعات ... 171  
الحقيقة المحمدية ... 175  
الشعر الصوفي ... 179  
الصلاة على النبيّ (صلى الله عليه وآله) ... 183  
المعارضة ... 191

#### الفصل الخامس:

- ذكر أهل البيت (عليهم السلام) في الأشعار ... 201

#### الفصل السادس:

- تراجم الشعراء ... 233  
ابن الأبار القضاعي ... 234  
ابن الأحمر ... 235  
يوسف بن الأحمر (يوسف الثالث) ... 236  
أبو البقاء الرندي ... 237  
ابن البراق ... 238  
أبو القاسم البرجي الغساني ... 240  
البسطي ... 241  
ابن جابر الأندلسي ... 242  
ابن جبير ... 244  
أبو القاسم ابن جزي ... 246  
أحمد بن محمد بن جزي ... 247  
أبو جعفر أحمد بن محمد بن جزي ... 248

- أبو جعفر الرعيني 249...  
ابن الجنان 250...  
أبو الحسن عليّ بن الجياب 251...  
أبو الحسن بن محمد الجياني 253...  
حازم القرطاجني 254...  
ابن الحناط الكفيف 256...  
أبوحيان الغرناطي 257...  
ابن أبي الخصال 258...  
ابن دراج القسطلي 260...  
ابن رُشيد الفهري 261...  
ابن زمرك 262...  
منذر بن سعيد البلوطي 263...  
ابن سهل الإشبيلي 264...  
صفوان ابن إدريس 265...  
ابن الصقر الخزرجي 267...  
محمد بن عيسى الفقيه 268...  
ابن عبدون 268...  
ابن عربي 270...  
ابن العريف 272...  
ابن عيسى المرسي 273...  
أبو زيد الفازازي 274...  
ابن الفخار الرعيني 276...  
أبو سعيد بن لبّ 277...  
محمد بن لب الأمي 278...  
لسان الدين ابن الخطيب 279...  
مالك بن المرحل السبتي 281...  
المنتبّي الجزيري 283...

عبدالملك بن حبيب بن مرداس السلمي 285...

ابن مقانا 286...

يوسف بن موسى المنتشاقري 287...

ناهض الوادي آشي 288...

ابن هانيء 289...

محمد بن عليّ بن هانيء اللخمي السبتى 290...

محمد بن يحيى العزفي 291...

محمد بن يحيى الغساني 292...

أبو محمد عطية بن يحيى المحاربي 293...

الخاتمة ... 296

المصادر ... 299

الفهرس ... 313